

وصول
رقم التعداد
رقم الجرد
تاريخ الوصول
رقم الترتيب
06/06/04
1
dec. 953-09/03

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

العلاقات الثقافية و النجارية بين المغرب الأوسط
و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان

رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ

إشراف

أ. د عبد الحميد حاجيات

إعداد الطالب الباحث

أ. د بودواية مبخوت

لجنة المناقشة :

أ. د شايف عكاشة رئيسا

أ. د عبد الحميد حاجيات مشرفا مقرورا

أ. د دحو فغورور مناقشا

د. محمد مجاود مناقشا

د. معروف بلحاج مناقشا

د. عبدلي خضر مناقشا

السنة الجامعية 1426-1427 هـ / 2005-2006 م

الإهداء

إلى الذين جاهدوا من أجل الجزائر ...

إلى روعي أمي و أبي الطاهرتين ...

إلى زوجتي الفاضلة التي تحملت معي مشقة العمل وعانت من

غيابي و أنا حاضر .

إلى كمال الدين العيد ، سميرة و الطفلة المدللة هديل ...

إلى أفراد العائلة الكبيرة :

أخي و رفيقي محمد ، إلى أبناءه و زوجته

إلى أختي و أبنائهن

إلى خيرة و فاطمة و لطيفة و الهوارية

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر و تقدير

أتقدم بخالص الشكر و العرفان لأستاذي الدكتور عبد الحميد حاجيات أطل الله في عمره ، الذي تفضل بقبول الإشراف على الدراسة ومتابعتها متابعة مستمرة و الذي هداني إلى كثير من التعديلات في المتن و الحاشية كما أشكره على التوجيهات و الرعاية التامة التي لم ييخل بها على في سبيل العلم و المعرفة .

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة و أتقدم بالشكر إلى كل الذين وضعوا بصماتهم على هذا العمل .

مبخت بودواية

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كانت اهتماماتي و أنا طالب في مرحلة الليسانس ، بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء و ما عرفه من تطورات ثقافية و اقتصادية ، وتساءلت يوماً هل كان للمغرب الأوسط دور في ذلك ؟ أم كان ذلك للمغرب الأقصى فقط كما يري مؤرخوه ، وقد لاحظت أن جل الدراسات التي تكلمت عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) هي دراسات سياسية فقط تجاهلت الحياة الاقتصادية و الثقافية ومدى أثر العالم الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة في ذلك ، هذا ما دفعني إلى اختيار موضوع دراستي هذه و الموسومة بالعلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان .

إشكالية البحث

إنه ليس من السهل تقديم توقيت زمني لمختلف مظاهر الترابط و التواصل التي و طّدت العلاقات التاريخية (الثقافية و التجارية) بين السودان الغربي و المغرب الأوسط في عهد أزهي فترات تاريخ المغرب الأوسط و المتمثلة في الفترة الزيانية 633-962 هـ - 1236/1554م، هذه الفترة تعد بحق أبرز حقبة في تاريخ الصلات والروابط التي طبعت ببصماتها سجل التطورات الثقافية و الاقتصادية و السياسية

التي عرفها المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة مالي الإسلامية ومملكة سنغاي في عهد الاسيقيين .

لقد سيطرت الدولة العبد الوادية على المغرب الأوسط طوال الثلاثة قرون ؛ عرف فيها المغرب الأوسط استقرار سياسيا وتطورا اقتصاديا و ثقافيا ، الأمر الذي دفع بسلاطين الدولة إلى التطلع إلى أماكن بعيدة وغريبة عنهم لنشر ثقافتهم العربية الإسلامية وتشجيع التجار لتسويق منتجات دولتهم و استيراد مواد و سلع ثمينة . وهنا يمكننا أن نطرح بعض التساؤلات : ما هي الطرق والأساليب التي مكنت التاجر المغربي من الوصول إلى أسواق ومدن السودان الغربي ؟ وما مدى أثر الفقهاء و علماء المغرب الأوسط في ازدهار الثقافة العربي الإسلامية بالسودان الغربي ؟

للإجابة على هذه التساؤلات قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة أبواب ، قسمت الباب الأول إلى فصلين تناولت في الفصل الأول دولة بني زيان سياسيا و أهم التطورات السياسية التي طرأت على المنطقة بعد أفول السيطرة الموحدية ، أما في الفصل الثاني فقد خصصته للحياة السياسية بالسودان الغربي وظهور الممالك الإسلامية بعد أفول سيطرة إمبراطورية غانة الوثنية .

أما الباب الثاني فقد عنونته بالحياة الثقافية والتعليمية بالمغرب الأوسط وقسمته إلى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الأول أهم المؤسسات الثقافية

والتعليمية من مساجد وزوايا ومدارس ابتدائية ومعاهد عليا ، أما الفصل الثاني فقد خصصته للعلوم الدينية من فقه وتصوف أما الفصل الثاني فقد خصصته للتحديث عن العلوم اللسانية من أدب وعلم اللغة بالإضافة إلى التحديث عن العلوم العقلية .

أما الباب الثالث فقد عنوانته بالحياة الثقافية والتعليمية بالسودان الغربي ومدى تأثرها بثقافة المغرب الأوسط الإسلامية وقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، تطرقت في الفصل الأول إلى أهم المؤسسات الثقافية من مساجد ومدارس ومعاهد عليا ، وأهم العلوم التي كانت تدرس بها من علوم نقلية من أدب و نحو و لغة وفقه و منطق وتاريخ وعلوم عقلية من حساب وجبر وفلك، أما في الفصل الثاني فقد تطرقت فيه إلى أهم الأعلام السودانيين الذين كان لهم دور كبير في الإشراف على التعليم بالمدارس و الجامعات و الكتابيب خاصة بمخاضر السودان الغربي المشهورة (تمبوكتو و غاو و جني) كما تطرقت في هذا الفصل أيضا إلى أهم الكتب والتأليف المتداولة بالسودان الغربي لفقهاء و علماء ينتمون إلى عائلات سودانية مشهورة كعائلي آقيت و بغيغ بالإضافة إلى المؤلفات التي كانت متداولة بالبلاد الإسلامية كمؤلفات التفسير و الحديث و المنطق و التصوف و التاريخ و الأدب و غيرها كثير . أما الفصل الثالث فقد خصصته إلى الروابط الثقافية بين السودان الغربي و المغرب الأوسط و دور العلماء و الطرق الصوفية و الزوايا في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي .

أما الباب الرابع فقد عنوانته بالعلاقات التجارية بين السودان الغربي و المغرب الأوسط في عهد الزيانيين وقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الأول الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان من نشاط فلاحي وصناعي وتجاري، أما الفصل الثاني فقد خصصته للحياة الاقتصادية بأهم مدن السودان الغربي من نشاط فلاحي وصناعي وتجاري أيضا، أما الفصل الثالث فقد خصصته للعلاقات التجارية بين الإقليمين و بينت فيه أهم المسالك و الطرق التجارية الرابطة بين الإقليمين ودورها في المبادلات التجارية والتي عرفت بالتجارة الصامتة، وأهميت دراستي هذه بخاتمة تطرقت فيها إلى أهم النتائج المتوصل إليها .

المنهج المنبع

لقد اتبعت منهاجا وصفيا تحليليا لتحقيق هذا الإنجاز المتواضع ، وهو الوقوف عند بعض المصادر القديمة المتصلة بموضوع الدراسة من كتب الرحلة والجغرافيا وكتب التاريخ المتصلة بموضوع البحث ، مقتبسا منها المادة بعد مقارنتها و تحليلها إلى جانب الاعتماد على المؤلفات الحديثة العربية منها والأجنبية التي حاول مؤلفوها تحليل تاريخ الإقليمين .

صعوبات البحث

لقد واجهت أثناء عملي صعوبات عديدة منها قلة المصادر و المراجع التي أرّخت لهذه الفترة الهامة من تاريخ العالم الإسلامي من الناحية الاقتصادية والثقافية ولم أعر على أي علاقات دبلوماسية أو معاهدات حدثت بين الزينيين والسودانيين سواء كانت سياسية أو تجارية .

دراسة في المصادر والمراجع .

1- المصادر المطبوعة:

إن دراسة العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي يتطلب من الباحث الوقوف مطولا عند المصادر المتصلة و المعاصرة لفترة البحث سواء كانت مصادر تاريخية أو جغرافية أو مصادر الرحلة، ومن بين المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة هي :

📖 كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب أو المعروف بالمسالك وممالك لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت 478 هـ / 1113 م) يعد كتابه من المصادر الجغرافية الهامة ولقد وصف لنا بالتدقيق الطرق التجارية والأسواق وحركة التجارة و السلع الصادرة و الواردة و الأسعار و المكابيل والموازين ، كما وصف لنا المدن المغربية ومدن السودان الغربي وصف دقيقا .

📖 كتاب وصف إفريقيا الشمالية عن نزهة المشتقات في اختراق الآفاق لصاحبه أبي عبد الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي توفي حوالي سنة 562 هـ / 1166 م وهذا الكتاب صححه ونشره هنري بيرس في الجزائر سنة 1376 هـ وقد حققه وترجمه إلى الفرنسية محمد الحاج صادق وعنوانه بالمغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق سنة 1983 ، وتحدث فيه عن الأنشطة الاقتصادية ، و الطرق التجارية والبرية و بعض المراسي و المدن المغربية .

📖 كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لمؤلفه الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى سنة 821 هـ / 1418 م وقد وقف مطولا عند إمارات المغرب الإسلامي في القرنين السابع و الثامن الهجريين (13 - 14 م) .

📖 كتاب الرحلة المسماة : تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،
لصاحبه محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة و الملقب بشمس
الدين (779 /704 هـ - / 1304 -1377 م) ، وقد سجل فيه صاحبه مشاهداته
أثناء رحلته عبر عدد كبير من أقاليم المشرق و المغرب الإسلاميين وممالك بلاد
السودان الغربي خلال القرن الثامن الهجري (14 م) وقد استغرقت رحلاته
الثلاث كلها زهاء تسع وعشرين سنة ، أطولها السفارة الأولى التي لم يترك فيها
ناحية من نواحي المغرب و المشرق إلا زارها ، وقد جاءنا هذا المصدر بأهم
المعاملات في الأسواق وعن السلع المتوفرة من صادرات و واردات .

📖 كتاب وصف إفريقيا لصاحبه محمد بن الحسن الوزان المعروف بليون
الإفريقي واختلف المؤرخون في تحديد سنة ولاته ، فيجعلها بعضهم عام 901 هـ
/ 1495 م بعضهم عام 906 هـ / 1500 م ، ألف كتابه حوالي سنة 1526 باللغة
الإيطالية و ترجمة إلى الفرنسية A Epaulard وقد ضم هذا الكتاب تسع رحلات
ويهمنا هذا الرحلة الثالثة وهي رحلة إلى بلاد السودان وقف فيها عند أهم
الأسواق و المعاملات التجارية و السلع و البضائع التي كانت يقبل عليها الناس
وبعض الأسعار كما تكلم عن أهم مدن السودان الغربي و التي كان لها ذلك
الدور الكبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة تحدثه عن المدن
المغاربية كتلمسان و فاس و تدلا و وهران و تنس ...

📖 كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة
1406 هـ و يتضمن معلومات هامة عن تاريخ الدولة العبد الوادية اعتمدنا عليها.

في موضوع الدراسة وما كان لها من علاقات مع الحفصيين و المرينيين بالإضافة إلى اعتمادنا على مقدمته .

📖 كتاب " أنس الفقير وعز الحقير " لصاحبه أبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (تـ 810 هـ / 1408 م) الذي اعتنى بنشره الأستاذ محمد الفاسي و أدولف فور، وتكمن أهمية هذا المصدر في التحدث عن كثير من فقهاء وعلماء المغرب و الأندلس ، ومنهم على سبيل المثال الفقيه العلامة سيدي أبي مدين الغوث .

📖 كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " لصاحبه أبي زكرياء يحيى بن خلدون (734 هـ / 780 هـ) في جزأين حقق و نشر الجزء الأول الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات سنة 1980 أما الجزء الثاني نشره ألفريد بال سنة 1910 .

فقد بدأ يحيى بن خلدون حياته السياسية في سنة 757هـ في خدمة الحفصيين أولا ثم انتقل لخدمة بني زيان واتخذه أبو حمو موسى الثاني كاتباً للرسائل في ديوانه ، ثم التحق بخدمة بني مرين أيضا ثم غاد لخدمة أبي حمو الذي رحب به و أعاده لمنصبه إلى أن قتل في شهر رمضان سنة 780 هـ / 1378 م .

وتكمن أهمية مؤلفه بغية الرواد في غزارة المادة التاريخية ، وأهمية هذا المؤلف ترجع إلى تناول تاريخ دولة بني زيان وركز فيه على فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، ويعتد مؤلفه هذا مصدر تاريخي اعتمد عليه كل من كتب عن تاريخ المغرب الأوسط في عهد الزيانيين .

📖 كتاب تاريخ بني زيان ملوك بني زيان مقتطف من كتاب نظم الدر و العقبان في بيان شرف بن زيان لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني الذي ولد سنة 830 هـ نشأ بتلمسان ودرس بها وقد حقق هذا المقتطف محمود بوعياذ سنة 1985 وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام خصص القسم الأول لحياة المؤلف وآثاره ووقف مطولا عند المؤلف الأصلي نظم الدر و العقبان في بيان شرف بن زيان وقد اعتمدنا على هذا القسم لماله من صلة بموضوع بحثنا.

📖 كتاب الرحلة المغربية لصاحبه محمد العبدري البنسي إثر ترحاله نحو المشرق سنة 689 هـ / 1289 م وقد حقق هذا الكتاب أحمد بن جدو وقد أفادني في التعريف ببعض المدن كمدينة تلمسان التي قال عنها " تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر ... لها جامع عجيب مليح متسع".

📖 كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب " بابن مريم الشريف الملقب المديوني التلمساني منشأ ومولدا ودارا ، ترجم العلامة ابن مريم في البستان لاثنين و ثمانين ومائة عالم ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها ، وقد أفرد المؤلف نفسه قائمة لمصادر البستان في خاتمة الكتاب فذكر منها:

- نيل الابتهاج بتطريز الدياج لأحمد بابا التمبوكتي .
- بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون.
- التقييد في مناقب الأربعة للعلامة السيد محمد السنوسي ، روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين للسيد ابن صععد.

- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب للسيد ابن سعد الكواكب
الوقادة فيمن كان نسبه من العلماء . والصالحين القادة ، ولم يعرف
مؤلفه.

📖 كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديياج لصاحبه أحمد بابا التنبكتي (963 /
1036هـ) ، وضع هذا الكتاب ليكون نيلا على كتاب الديياج المذهب في
معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المدني المتوفى سنة 799 هـ فهو
مشارك للديياج في جوانبه الثقافية و الفكرية التي ساقها صاحب الديياج في
ثنايا تراجمه .

وكتاب الديياج معروف لتراجم علماء المالكية وقد ترجم لأكثر من ثمانمائة
عالم وفقه من فقهاء المالكية ، وقد اعتمدنا على جانب منه في التعريف
ببعض الفقهاء و العلماء الذين كان لهم دور كبير في ازدهار الحضارة العربية
الإسلامية بالمغرب الأوسط أو السودان الغربي .

📖 كتاب إفريقييا لصاحبه مارمول كرنخال ، يعرض من المؤلفات المهمة التي
كتبت في القرن السادس عشر عن إفريقييا عامة و شمالها خاصة ، ويحتل
الدرجة الثانية بعد وصف إفريقييا للحسن الوزان ، وقد تعاصرا هذان المؤلفان
ولم يفصل بين كتابهما غير نحو أربعين سنة ، وإذا كان كتاب الحسن الوزان
لا يثير أي أشكال من حيث محتواه لكفاءة الرجل العلمية و نزاهته الفكرية
والدينية فان مارمول على العكس من ذلك كان متعصبا لمسيحيته ضد
الإسلام ، ولقد اعتمد في تأليفه لكتابه على الوثائق التي استقاها من مكنتات

الأديرة وحوليات القساوسة وهي مليئة بالأساطير طافحة بالكراهية والحقد والتحامل.

📖 كتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس لصاحبه محمود كعت وبعض حفده حقه و ترجمه إلى الفرنسية . موداس ودولافوس، الكتاب غني بمادته التاريخية إذ يسلط الأضواء على تاريخ بلاد السودان منذ ما قبل الإسلام إلى عصر المؤلف .

📖 كتاب تاريخ السودان لصاحبه عبد الرحمن السعدي السوداني يحتوي إضافة إلى الأحداث التاريخية ، على تراجم العلماء و الملوك و الباشوات والأئمة و القضاة المغاربة والمشاركة والسودانيين وقد اعتمدنا على هذا المؤلف في التحدث عن آثار و الروابط الثقافية و الدينية بين العالم الإسلامي والسودان الغربي وفضل العلماء و الفقهاء المسلمين في بناء الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي .

📖 كتاب إنفاق الميسور في تاريخ التكرور من تأليف أحمد بلو بن عثمان فودي حققته بهيحة الشاذلي سنة 1996 م، الكتاب بمتنه النظري الذي خصصه للتراجم وتاريخ وسط إفريقيا (كانم برنو) و التي كانت لها صلات بالسودان الغربي .

📖 كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور لصاحبه محمد بن أبي بكر الصديق^{البرنلي} الولاقي (1727 - 1804) من فقهاء ولادة ترجم في مؤلفه للعلماء المغاربة و السودانين المالكين.

📖 كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لصاحبه أحمد ابن يحيى بن فضل الله العمري 700-749 هـ / 1301-1349 م) يعد أهم مصدر اهتم مباشرة لمملكة مالي فهو مصدر أساسي و موثوق به و هو يهتم أيضا بالعلاقات العربية المشرقية مع السودان .

📖 كتاب سورة الأرض لصاحبه (أبو القاسم محمد الناصبي) المعروف بابن حوقل عاش في القرن الرابع للهجري ، العاشر الميلادي زار شمال إفريقيا والصحراء و الأندلس و الغالب في الذكر زار مدينة أودغشت ، وتبقى أهميته مؤلفه بالنسبة للفترة السابقة على مالي.

2- المراجع :

📖 كتاب لأبي حمو موسى الزياني حياته و آثاره ، طبع في الجزائر 1982 للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات ، وهو يغطي الفترة الواقعة ما بين بداية الدولة الزيانية إلى غاية حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني وقد تطرق فيه المؤلف إلى مختلف الأحداث العسكرية و الصراع المريني الزياني ، والصراع الزياني الحفصي .

📖 كتاب مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591 لصاحبه عبد القادر زبادية ، عالج فيه تاريخ بلاد السودان في عهد مملكة سنغاي و علاقاته بالشمال الإفريقي ، وقد وقف مطولا عند الحياة الاقتصادية و التجارية لمملكة سنغاي و أوضح فيه أهم الطرق و المسالك التجارية الرابطة بين أسواق السودان الغربي و الشمال الإفريقي .

📖 كتاب الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ إلى 1100 م في عهد الممالك الإسلامية ، غانة و مالي و صاحبه (أبو بكر إسماعيل ميغا) و تحدث فيه على دور العلماء و الفقهاء المغاربة في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في السودان الغربي .

📖 كتاب مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي (15/13 م) لصاحبه الهادي المبروك الدالي وقد أشار في مؤلفه لدولة مالي الإسلامية و لأهم المدن الحضارية كتومبوكتو و جني و غو وعلاقتها بأسواق الشمال الإفريقي .

3- المراجع الأجنبية

لقد اعتمدت في هذا البحث على بعض المراجع باللغة الاجنبية خاصة الفرنسية ومنها كتاب لـ Dhina (A), le royaume Abdel ouadide à l'époque d'Abdou - Hammou Moussa 1^{er} et D'Abou - Tachefin 1^{er} ولقد أشار فيه صاحبه إلى تاريخ الدولة الزيانية ، ووضعية تلمسان أثناء تعرضها للحصار المريني الأول ، وقد أشار أيضا بأهمية التجارة بين تلمسان الزيانية و بلاد السودان الغربي أما كتابه الثاني و المعنون بـ Les états de l'occident musulman au XIII et XIV siècle وأشار فيه إلى العلاقات التجارية بين المسيحيين في جنوب أوروبا و المسلمين في بلاد المغرب .

📖 كتاب Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin XVI siècle لصاحبه Cuoq أشار فيه إلى أهم المراكز الإسلامية في

السودان الغربي وقد تكلم أيضا على الممالك الإسلامية كمملكة غاو وسنغاي
في عهد الاسيقيين .

كتاب l'Afrique noire dans les relations internationales au XVI siècle
لصاحبه Zakari issifou وقد أشار فيه إلى أهم المراكز الإسلامية ودور
فقهاء و علماء الشمال الإفريقي في نشر الثقافة العربية الإسلامية و إنشائهم
للمعالم الحضارية من مساجد و مدارس و معاهد عليا بالسودان الغربي .
وفي الأخير أوجه شكري إلى الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي تتبع
خطوات هذا البحث بكل عناية ، فساعدني بملاحظاته القيمة .

و لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي يد العون و المساعدة في إنجاز هذه

الرسالة .

و الله ولي التوفيق

== = ==

الباب الأول

المغرب الأوسط و السودان

الغربي سياسيا

الفصل الأول

المغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان سياسيا

تمهيد

أولا: نشأة بني زيان

ثانيا: العلاقات الزيانية بالدولتين الحفصية والمرينية

1. العلاقات الزيانية الحفصية

2. العلاقات الزيانية المرينية

حركة الموحدين الكبرى عبر مناطق المغرب الأقصى و المغرب الأوسط، استولوا خلالها على بلاد تادلا و فازار و الريف و كلها مناطق جبلية ثم توجه الموحدون نحو المغرب الأوسط، وحلوا بقرية تاجرا مسقط رأس عبد المؤمن بن علي وتمكنوا من هزم المرابطين مستغلين الفتنة التي ظهرت ما بين لمتونه و مسوفة بعد وفاة علي بن يوسف و الصراع الذي كان قائما بين قبيلتي بني يلومي حلفاء المرابطين و بني ومانو⁽¹⁾ التي التحقت "بعبد المؤمن بن علي" وقد هزم الموحدون المرابطين في عدة مواقع ما بين سنة 539هـ - 540هـ، و احتلوا تلمسان سنة 539 و قتلوا عدد كبير من أهل أغادير وأشياخ تاجرار⁽²⁾.

و لم تلبث دولة الموحدين تتقوى و تزدهر حتى عرفت عدة مشاكل و اضطرابات و فوضى عجلت في سقوطها كالثورة التي عرفتها إفريقية و التي دارت رحاها ناحية قفصة 574-575هـ⁽³⁾ و لم تنته هذه الثورة إلا بعد أن توجه الخليفة الموحي يوسف بن عبد المؤمن بنفسه و تمكن من إخمادها.

(1) بني ومانو وبنو يلومي هما من الطبقة الأولى من قبيلة زناتة و كانتا من أوفر بطون زناتة و أشدهم شوكة و موطنهما جميعا بالمغرب الأوسط فكان بنو ومانو في الجهة الشرقية من واد مئى، بينما بنو يلومي بالعدوة الغربية من جهة الجعبات و البطحاء وسيك، و جبل هدارة وبن راشد إلى أن تغلب عليهم بنو عبد الواد و توجين من بن بادين أنظر العبر ج7، ص 54-55.

(2) يحيى بن خلدون ج1 المصدر السابق، ص 170-171.

(3) نفس المصدر، ص 309.

و ثورة بني غانية⁽¹⁾ 580هـ و الذين حاصروا و استولوا على قلعة بن حماد وقسنطينة⁽²⁾ إضافة إلى موقعة العقاب 609هـ - 1212 التي أنهزم فيها الموحدون⁽³⁾ أمام النصارى الأسبان.

لقد أدت هذه العوامل مجتمعة على إضعاف سلطة الدولة الموحدية وظهور دويلات على أنقاضها وهي:

الدولة الحفصية (بالمغرب الأدنى) 627-923 هـ الموافق 1229-1536هـ والجزائر الحفصية وهي عمالتا قسنطينة و الجزائر إلى ما بعد مليانه و الجنوب نحو ورقلة، والدولة المرينية 668-961هـ الموافق / 1235-1554م، و هي تشمل المغرب الأقصى. و الدولة الزيانية أو العبد الوادية 633-962 / 1235-1554 وكانت تمتد طولا من البحر إلى الصحراء (توات) و عرضا من ناحية واد مينة و جبال سعيدة حيث تجاور توجين و مغراوة إلى نهر ملوية و فقيق و بلغت حدودها الغربية إلى سجلماسة و شمالا إلى البحر المتوسط.

(1) بنو غانية ينسبون إلى أهمهم غانية من العائلة المرابطية الحاكمة وكان والدهم علي بن يوسف من أعيان قادة مسوفة (من قبائل الملمنين)، تربي والده يحيى ومحمد في بلاط يوسف بن تاشفين، و قد تزوجت أمهما بعد وفاة والدهما أبا عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني والي قرطبة، ولقد لمع نجم يحيى ببراءة في قيادة الجيوش فولاه يوسف المرابط على مدينتي بلنسية و قرطبة، و عندما حدثت اضطرابات في جزيرة ميورقة نتيجة لتدمير سكانها من واليها المرابطي ونور بن أبي بكر فعزله على بني يوسف وولى عليهم محمد بن علي بن غانية، فوصل إلى الجزيرة سنة 520هـ - 1126م بصحبة أولاده عبد الله و إسحاق وعلي و الزبير وطلحة وإبراهيم لما قضى الموحدون على المرابطين رفض محمد بن غانية الولاء لهم وأعلن استقلال ولايته وتفرد بالحكم إسحاق بعد قتله لأبيه وأخيه 546هـ / 1151 ثم اعتقال علي بن إسحاق بن غانية للولي الموحد بن البربرتي، انظر العبر ج 6، ص 505-507، أنظر أيضا الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء 1955، ص 159.

(2) نفس المرجع ص 309، انظر أيضا محمد بن عمر و الطمار تلمسان عبر العصور، الجزائر 1984، ص 79.

(3) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ، مدينة فاس، 1843، ص 160.

أولاً: نشأة الدولة الزيانية.

- يغمر سن بن زيان و تأسيس الدولة الزيانية:

لقد تمكن يغمراسن بن زيان⁽¹⁾ من تأسيس دولة مستقلة عندما كان واليا من قبل الدولة الموحدية بالمغرب الأوسط حيث اغتتم فرصة تراجع جبل بني راشد وضعف سلاطين كل دولة و اضمحلال سلطتهم.

و ينتمي يغمراسن إلى قبيلة بني عبد الواد⁽²⁾ وهي في الأصل من القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيتهم و يترددون ما بين فتيق و مديونة إلى جبل بن راشد ومصاب، ولم يزلوا على ذلك الحال حتى فتح الموحدون أعمال المغرب الأوسط، فكانوا عوناً لهم على ذلك، و صاروا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم⁽³⁾.

(1) تولى يغمراسن بن زيان الحكم من سن 633هـ/1236 إلى سنة 681هـ/1283 كان قد عين من قبل الخليفة الموحدى عاملاً على تلمسان وبلاد زناتة، وبعد نحو أربعين سنة زالت دولة الموحدين، واستقل يغمراسن بن زيان بالإقليم الذي يحكمه وكان استقلاله بالإمارة في أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون 630-1232/640-1242، انظر التنسي (محمد بن عبد الله)، نظم الدر و العقيان في بيان شرف بن زيان تحقيق محمود بوعباد الجزائر 1985، ص 116. أنظر بغية الرواد المصدر السابق، ص 205-206.

BERGES, Histoire des BENI -ZEYAN Roi de Tlemcen, Paris 1852.

BERGES , Tlemcen, Ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859.

LAROUÏ (ABDALLAH) , l'histoire de Magreb Librairie François Maspero 1976, p181.

(2) بنو عبد الواد فرع في فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، استقر هذا الفرع منذ أزمنة طويلة بمنطقة الغرب للمغرب الأوسط، وتمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية وهذا الفرع بن ولد باديس بن محمد أخوة بن توجين، ومصاب وزردال، وبن راشد، ويرتبط المرينيون معهم بالمعاصرة، وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها بن خلدون ستة وهي: بنوياتكين وبنو أرلو وبنو ورهطف، و بنصوحة، وبنو تومرت وبنو القاسم و الفرع الأخير هو الذي كانت إليه الرئاسة خلال عهد الموحدين، ويتألف من عدة بطون، بن يكمئين، و عبد الحق بن منخفاج، و بني مطهر وبن علي.. انظر يحي بوعزيز المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية، 1236-1554، مجلة الأصالة عدد 26، 1975 ص 13.

(3) بن خلدون بغية الرواد، ج 1 ص 198، العبر ج 7، ص 148-150.

فكان منهم، لعهد بن عبد المؤمن عدوي بن بكنمين وعبد الحق بن منغفاد فمنحهم الموحدون جزاء إخلاصهم ضواحي المغرب الأوسط بلاد ومانو وبني يلومي، وتركوا الصحراء واستقروا في التل بما وجدوه من خصبه و غضارة عيشه فاتخذوه مرتعا ومصطافا و وضعوا رجالهم في خدمة الموحدين و اتخذوهم أنصار و حماة لبلاد المغرب الأوسط، و كانت الحرب بينهم وبين بن مرين سجالا إلى سنة 623 هـ — حيث حدثت فتنة بين بني طاع الله و بني كمي من بطونهم فقتل كندوز من بني كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بني طاع الله فخلفه ابن عمه حاجر بن يوسف، وقد بعث برأس كندوز إلى يغمراسن بن زيان و أثناء تلك الفتنة لحق عبد الله بن كندوز في قومه إلى تونس أيام أبي زكريا، الحفصي.

و لم يسيطر بنو عبد الواد على تلمسان إلا بعد أن حدثت اضطرابات خطيرة بها، وثار أحد رجال لمتونه للمستخدمين آنذاك في الجند على الوالي و اعتقله، فكان دخول بن عبد الواد تلمسان سنة 627 هـ⁽¹⁾ بقيادة جابر بن يوسف، خطوة أولى نحو تأسيس الدولة الزيانية وبعد وفاة جابر آل حكم الدولة إلى ابنه الحسن 629 هـ⁽²⁾ فأخيه عثمان 630-631 هـ ثم إلى ابن عمه زيدان بن زيان 631-633 هـ و لم يبايع هذا الأخير من بني عبد الواد سوى بني مطهر، الذين استعانوا ببني راشد فحاربوه فقتل زيدان⁽³⁾ أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان 633 هـ فخلفه يغمراسن و أول عمل سياسي قام به إعلانه لاستقلال قبيلته بالحكم واتخاذ تلمسان عاصمة لدولته وذلك راجع إلى طبيعة موقعها الجغرافي وقدرة هذا الموقع

(1) بغية الرواد، ص 199.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 200.

(3) عبدلي لحضر: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط عهد بني زيان 633-962 هـ/1236-1554. رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ كلية الأدب والعلوم الإنسانية و العلوم الاقتصادية، جامعة تلمسان 2004-2005، ص 30-31.

على مقاومة عوامل الانهيار (الهجمات الخارجية)، وكانت تلمسان⁽¹⁾ قاعدة المغرب الأوسط⁽²⁾ اشتهرت بأسواقها المكتظة بالبضائع وبمساجدها العامرة وقصورها العجيبة حتى صارت مقصدا للتجار من الشرق و من الغرب ومن الجنوب (السودان) و الشمال (أوربا) ودارا لطلب العلم.⁽³⁾

- الحدود السياسية للدولة الزيانية:

كانت حدود الدولة الزيانية * تشمل المغرب الأوسط يحدها شالا البحر المتوسط و جنوبا الصحراء الكبرى الفاصلة بينها وبين بلاد السودان الغربي⁽⁴⁾ أما غربا كان يفصلها عن الدولة المرينية نهران هما وادي ملوية ونهر زان⁽⁵⁾ وشرقا يحدها عن بلاد صنهاجة الواد الكبير⁽⁶⁾ وتمتد دولة بن زيان على مسافة تسعمائة وثلاثين كم من الشرق إلى الغرب لكنها تضيق من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى المسافة

(1) تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مهمة للأمم سالفة ، وبينها وبين وهران مرحلتان، هي في سفح جبل ، وكان لها ماء مجلوب من عمل الأول من عيون تسمى لوريط ولها نهر كبير يسمى سطفسييف لها سور متقن الوثائقه وهي مدينتان في واحدة، ولها نهر، كانت تلمسان دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر وهي كثيرة الخصب و الرخاء كثيرة الخيرات، و النعم ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام و باب وهيب و باب خوخة وفي الشرق باب العقبة و في الغرب باب أبي قره وفيها بقية النصارى ولهم بها كنيسة معمورة، ولها أسواق ومساجد. انظر الحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في أخبار الأقطار تحقيق إحسان عباس، ط1، 1975 ط2، 1980 ص 607 ، انظر أيضا البكري ص 76.

(2) الحميري المصدر السابق ص 608

(3) مولاي بالحميسي، نهاية دولة بن زيان مجلة الأصاله عدد26، 1975، ص 30 انظر أيضا مؤنس (حسين): تاريخ المغرب و حضارته المجلد الثاني العصر الحديث للنشر و التوزيع ط1 لبنان 1992، ص 123.
* انظر الملحق رقم -01-

(4) الوزان : وصف إفريقيا ، ص 7.

(5) نفس المصدر، والصفحة عينها. انظر أيضا ابن خلدون، مجلد11، ص 202.

(6) العبر، مجلد11 ، ص 203.

خمسة و عشرين ميلا في بعض النقاط من البحر الأبيض المتوسط إلى تخوم صحراء نوميديا وكان ملوك تلمسان دائما مضطرين إلى أن يهدئوهم بأداء إتاوات جسيمة وتقديم الهدايا لهم لكن لم يستطيعوا قط إرضائهم جميعا وقلما توجد في البلاد سبل آمنة ، ولهذا المملكة ميناءان مشهوران ميناء وهران و ميناء المرسى الكبير، اللذان لعبا دورا كبيرا في الناحية الاقتصادية للمجتمع الزياني بالإضافة إلى هذين الميناءين كانت دولة بني زيان تتشكل من مدن كان لها أدوار سياسية واقتصادية وثقافية ومن بينها مدينة وهران، مليانة، ندرومة، أرشكول، البطحاء، مستغانم، مازونة، وغيرها.

ثانيا: العلاقات الزيانية بالدولتين الحفصية والمليانية

1- العلاقات الزيانية الحفصية:

غلب على العلاقات الزيانية الحفصية⁽¹⁾ الصراع والتنافس للاستحواذ على أكبر قسم من الدولة الموحدية، ولقد حاول حاكم الدولة الحفصية أبو زكرياء الحفصي الاتصال بحاكم الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان لقطع الصلة بمراكش والانضمام إليه غير أن الحاكم الزياني رفض ذلك، لأنه كان يدرك مدى خطورة حاكم مراكش عليه من ناحية، وقرب تلمسان من مراكش أكثر من تونس من

(1) تنسب الأسرة الحفصية إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المصمودي، من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة وهم المسمون بالجماعة وهم عبد المؤمن بن علي، وعمر بن علي أزناق، إسماعيل بن مخلوف، و أبو إبراهيم، وإسماعيل ابن موسى، و أبو يحيى أبو بكر بن تنجيت، و أبو عبد الله بن سليمان، و عبد الله بن ملويات، و أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، و أبو محمد عبد الله البشير، و أن اسم أبي حفص عمر كان قد سماه به المهدي بن تومرت و اسمه و اسمه الأصلي هو فاصكة بن ومزال.

انظر المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب القاهرة ط1 - 1914، ص 189-190، انظر أيضا العبر مج 12، ص 983-594، انظر أيضا الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 108.

ناحية أخرى⁽¹⁾ الأمر الذي دفع بالحفصيين إلى شن حملة عسكرية خرجوا بها من تونس العاصمة 639هـ - 1241 صوب مدينة تلمسان و كانت هذه الحملة مشكلة من الجيش النظامي الحفصي ورجال القبائل وقد وصلت أسوار مدينة تلمسان 640هـ⁽²⁾ 1242 بزعامة أبي زكرياء الذي تمكن من الدخول إلى تلمسان وإرغام يغمراسن بن زيان على الهروب نحو الجبال المجاورة⁽³⁾ و أصبحت تلمسان تابعة للحفصيين إلى أن عزم الخليفة الموحي أبو الحسن علي السعيد 640-646/ 1242-1248 على التحرك نحو إفريقيا للقضاء على الدولة الحفصية في نهاية سنة 645هـ وبعد مقتل السعيد الموحي عاد الزيانيون إلى سابق ولائهم للحفصيين، وأعلنوا تمسكهم لخليفة أبي زكرياء الحفصي أبي عبد الله محمد.⁽⁴⁾

لقد استغل الزيانيون الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الحفصية، و المتمثلة في الحملة التي قام بها ملك فرنسا سان لويس على تونس، بهدف توسيع نفوذهم في المغرب الأوسط فتمكنوا من الاستيلاء على مدينة مليانة 668هـ 1269م ثم محاصرة مدينة بجاية سنة 686هـ/1287م و إخضاع قبيلتي مغراوة و توجين اللتين كانتا تؤيدان الحفصيين غير أن المرينيين حاصروا تلمسان سنة 698هـ 1298م.

ولقد حاول الزيانيون بعد فك الحصار المريني الطويل من 698هـ/1298م إلى غاية 706هـ/1306م مهاجمة تونس مستغلين أوضاع الحفصيين المتردية و قد تمكنوا من

(1) عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس 981/626هـ، رسالة ماجستير، جامعة

القاهرة، 1991 ص 127-128.

(2) باقة السوسان، المرجع السابق، ص 80.

(3) الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ) تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق، منور، ط2،

1966م، ص 29.

(4) العبر، مج 12، ص 620.

السيطرة على مدينتي تدلس و الجزائر 712⁽¹⁾، وبعد هذه السنة توالى حملات الزيانيين العسكرية على الدولة الحفصية كالحملة التي جهزها أبي تاشفين الثاني بقيادة موسى بن علي الكردي الذي التقى بالجيش الحفصي بقيادة أبي يحيى بكر الحفصي برغيس قرب مرماجنة⁽²⁾ سنة 723هـ/1323م غير أن الزيانيين فشلوا في حملتهم هذه الذي لم ينقص من عزيمتهم في استرجاع المدن الواقعة تحت السيطرة الحفصية كجاية و قسنطينة بإرسالهم لحملات عسكرية صوب الدولة الحفصية كحملة سنوات 726هـ - 728 و 729هـ، أي بمعدل حملة كل سنة و تمكن الجيش الزياني من دخول تونس في سنة 730هـ/1329م ولم تسلم الدولة الحفصية من التهديدات الزيانية حتى تولى أبو الحسن المريني الحكم 732-749هـ /1331-1348م الذي سيحاصر تلمسان كما سيأتي بيانه لاحقا - لتنتهي مؤقتا - المتاعب الحفصية بعد الجلاء الزياني عن القسم الغربي من الدولة الحفصية.

و لم تسلم الدولة الزيانية من التحرشات الحفصية بعد التخلص من التبعية المرينية 814هـ/1411م على عهد أبي مالك عبد الواحد الزياني 814-827هـ/1411-1423م الذي كان المرينيون قد نصبوه خلفا لأخيه سعيد 814/1411م⁽³⁾ لتبدأ حملات عسكرية أخرى على تلمسان وأول حملة حفصية كانت في سنة 827هـ/1422م⁽⁴⁾ في عهد أبي فارس عبد العزيز الحفصي الذي عزل حاكمها - تلمسان

(1) الزركشي، المصدر السابق، ص 61-62.

(2) مدينة تقع بشرق الجزائر ما بين مدينتي بونة و قسنطينة، و ذكر الإدريسي ما بين مرماجنة إلى مدينة بجاجة مرحلتان خفيفتان و هي مدينة صغيرة تشتهر بالقمح و الشعير انظر الإدريسي المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ص 155، انظر مجهول الاستبصار تحقيق سعد زغلول عبد الحميد بغداد، 1986، ص 162.

(3) يحيى بن خلدون المصدر السابق، ص 218.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 149.

— أبا مالك عبد الواحد بن أبي حمو الزياني ونصب عليها الأمير أبا عبد الله⁽¹⁾ محمد الزياني، ليعزل فيما بعد ولينصب بدله أخوه أبو العباس أحمد بن أبي حمو الزياني الذي سيعزل فيما بعد⁽²⁾. و منذ أن تولى أبو عبد الله محمد الثابتي الحكم بتلسمان 881-911هـ/1476-1505م طبع على العلاقات الحفصية الزيانية الفتور وذلك راجع للظروف التي تغيرت في حوض البحر المتوسط منذ سقوط مدينة غرناطة الإسلامية تحت سيطرة النصارى المسيحيين 897هـ/1492⁽³⁾ فاشتدت التحرشات الإسبانية و البرتغالية على بلاد المغرب الإسلامي بالإضافة إلى ظهور الدولة العثمانية بالمنطقة في بداية القرن السادس عشر.

2- العلاقات الزيانية المرينية:

لقد اتسمت العلاقات الزيانية المرينية⁽⁴⁾ بالعداء الشديد فلم تسلم الدولة الزيانية من الحملات الحفصية فحسب بل عانت من الحصار المريني لتلمسان لمرات عديدة فأول حملة كانت علي يد الخليفة الموحيدي أبي الحسن السعيد صاحب السلطة الشرعية بمراكش على تلمسان و كانت سنة 646هـ/1248م تمكن الجيش الزياني خلالها من الانتصار على الجيش المريني في معركة كانت حامية الوطيس

(1) نفس المصدر، الصفحة عينها.

(2) ابن أبي دينار (القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد سمام، تونس 1967، ص 160.

(3) التنسي، المصدر السابق، ص 119.

(4) المرينيون وهم فخذ من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، ينتسبون إلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتانيس بن المعز بن إبراهيم بن ساحيك بن واسين اخوة بنو يلومي، و مديونة و مواطنهم بواد ملوية و الذين تولوا الملك فرعان ينتسبان إلى وزير قبيلة بن عبد الحق، وبنو وطاس بن فحوس بن برمات بن مرين، أنظر العبر مج 13، ص 343.

قرب قلعة تامزدكت⁽¹⁾ و الاستيلاء على جميع ما كان مع الخليفة الموحد أبي الحسن السعيد من أموال وذخائر نفسية ومن جملة هذه الذخائر المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف "بالثعبان" و كان لهذا الانتصار صدى عظيم في جميع أقطار المغرب الأمر الذي دفع بالمرينيين و الحفصيين إلى الإسراع لاحتلال تلمسان وبالتالي القضاء على الدولة الزيانية، فانتهز لهذا الصدى بنو مرين الذين كانوا قد استولوا على جميع ما كان للموحدين بالمغرب الأقصى فأسرع سلطانهم الأمير أبو بكر ابن عبد الحق المريني إلى تلمسان لمحاربة السلطان يغمراسن و كسر شوخته قبل أن يعظم شأنه فالتقى الجمعان بنهر إسلي⁽²⁾ قرب مدينة وجدة عام 646هـ/ 1248م فانكسر في هذه المرة جيش بن عبد الواد وولي الأدبار⁽³⁾ بعد مقتل ابنه يغمراسن أبو عنان⁽⁴⁾ و كان مع يعقوب شاعره الملزوزي فرفع إليه قصيدة منها هذه الأبيات :

هنيئا لكم نصر مبين على العدا ❖ وصول سعود شأنها متداوم
 أمير "تلمسان" أبدت جيوشه ❖ و ما هو مظلوم و لا أنت ظالم

(1) تقع في الحد بين قفر أنجاد وبلاد المغرب الأوسط، شيد قديما على صخرة و كان ملوك تلمسان يجعلونه في حالة تأهب دفاعي لحراسة أماكن للمرور لجند ملك فاس، و يسيل في سفحه هر تافنة انظر الوزان المصدر السابق، ص 11-12.

(2) قصر قديم شيده الأفارقة في سهل مجاذي قفر أنجاد و تحيط به بعض الأراضي التي يزرع فيها الشعر و الدخان و كان في القديم كثير السكان محاطا بأسوار متينة دمرت أثناء الحروب ، ثم سكنه رجال يعيشون على طريقة الزهاد المنقطعين ويتمتعون باحترام كبير من ملوك تلمسان و من الأعراب أيضا، و هم يقدمون الطعام و الشراب مجاناً و لا يشتمل القصر إلا على أكواخ سيئة ذات جدران من الطين وسقوف من القش ويمر به جدول ما يسقى المزروعات. انظر الوزان المصدر السابق ، ص 12.

(3) باقة السوسان، المرجع السابق ص 80؛ انظر أيضا الطمار، المرجع السابق ص 86.

(4) مؤنس (حسين) تاريخ المغرب و حضارته المجلد الثاني، ط 1 دار العصر لبنان 1992، ص 129.

- ❖ أيقضان حس أنت أم أنت نائم ؟
- ❖ فديتك يا يغمور هل لك زاجر
- ❖ وتسى لك الغيد الحسان الكرائم
- ❖ أفي كل عام تترك ابنك للقبني
- ❖ وقلت عسى الأيام يوما تسالم
- ❖ أتيت لأخذ الثأر ويحك منهم
- ❖ وليدك لن تشفق عليه الضراغم
- ❖ فخلفت أيضا للصوارم فارسا
- ❖ بحرمانه قرنا فمريزاحم⁽¹⁾
- ❖ فها أنت كالعير الذي يتغي

و قد أحصى المؤرخون أفخاذ العرب الذين انضمت جماعات منهم إلى حسين يعقوب بن عبد الحق:

- قبائل جشم أهل تامسنا، وهم سفيان و الخلط و العاصم و بنو جابر و من معهم من الأثبح.

- قبائل ذوي حسان و الشبانان من المعقل أهل السوس الأقصى.

- قبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهبط.⁽²⁾

و لقد طال حصار يعقوب بن عبد الحق لتمسان دون أن ينال منها منالا، فقرر رفع الحصار و العودة إلى سلطنته 670هـ / 1272م و هكذا نجت تلمسان من القبضة المرينية، و أتيحت لسلطانها يغمراسن بن زيان الفرصة لأن يعاودا نشاطه

(1) الطمار، المرجع السابق، ص 86.

(2) مؤنس، المرجع السابق، ص 129.

ويلم شعت إمارته⁽¹⁾، و أمن ناحية جاره القوي يعقوب بن عبد الحق الذي شغل بعد ذلك بأمر سبتة و طنجة ثم أمر الجهاد في الأندلس.⁽²⁾

الحصار المريني الثاني لتلمسان:

مرض يعقوب بن عبد الحق وكانت وفاته سنة 1286م⁽³⁾، 687هـ ليخلفه ابنه أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، فحدث أن ابنا له يسمى أبا عامر كان قد ولاه مراکش فثار بأبيه، وظهره في ذلك وزير له يسمى ابن عطوا، فسار إليه أبوه وهزمه، فانتهب الأمير و وزيره مال مراکش و فرا إلى تلمسان 688/1269 فما كان من أبي سعيد عثمان⁽⁴⁾ الذي خلف أبا المتوفى 681هـ، إلا أن أكرمهما و أجار أبا عامر على أبيه ثم عفا السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عن ابنه و أعاده إلى فاس⁽⁵⁾، ثم طلب أبو يعقوب أن يمكن من ابن عطوا فأبي عليه الملك أبو سعيد⁽⁶⁾ فعزم على غزو تلمسان و سار إليها في جنوده حتى نهزها فتحصن أبو سعيد عثمان بأسوارها فحاصره أبو يعقوب يوسف و نصب عليها المجانيق ثم سار يعيث في نواحيها مخربا القرى و محطما الزرع و لقد أدار على تلمسان سورين بينهما فيصل، و شدد في الحصار حتى لم يخطر إليها الطير لا بل الطيف، وابتنى مدينة كاملة إلى جوارها و أقام على الحصار مائة شهر و عندما

(1) ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية

للنشر، القاهرة 2001. ص 24.

(2) ابن خلدون العبر مج 13 ص 406.

(3) الطمار، المرجع السابق، ص 98 انظر مؤنس 131.

(4) بعد وفاة السلطان يغمراسن بن زيان 681هـ بايع بنو عبد الواد ابنه الأمير أبا سعيد عثمان في أوائل ذي الحجة

681هـ/ 1283 واستمر حكمه إلى غاية 703هـ/ 1303 م. انظر التنسي مصدر سابق، ص 129.

(5) التنسي المصدر السابق، ص 131.

(6) التنسي المصدر السابق 131، مؤنس المرجع السابق، ص 131، باقة السوسان المرجع السابق ص 81.

دخلت 702هـ/1302م اختط إلى جانب ذلك السور بمكان فسطاطة وقبابة قصر لسكانه و اتخذ به مسجدا لصلاته و أدار عليهما سورا يجرزهما، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك، فبنوا الدور الواسعة و المنازل الرحبية و القصور الأنيقة، واتخذوا البساتين، وأجرؤا المياه و أمر السلطان باتخاذ الحمامات و الفنادق و المارستان، وابتنى مسجدا جامعاً أقامه على الصهريج الكبير، شيد له منارا رفيقا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب سير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرائها، ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الأفاق وسمها "المنصورة"¹ أو تلمسان الجديدة، و كانت تلمسان أثناء ذلك تذوق الأمرين الخوف و الجوع كما أن جنود بني مرين احتلوا في ذلك ندرومة، و هنين و وهران و جميع ما كان بيد بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبلاد بني توجين وبلاد مغراوة ولم يستسلم السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن حتى الموت⁽²⁾، وقد خلفه ابنه محمد بن عثمان و اجتمعوا عليه و بايعوه ودام حكمه أربع سنوات 703هـ-1303م إلى سنة 707هـ-1308م⁽³⁾ و قد دافع عن عاصمته تلمسان بكل بسالة، وكان لموت أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني أثناء الحصار عام 706هـ (1307م) و كان موته إنقاذا لبني زيان من الهلاك المحقق و قد دام الحصار ثمانية أعوام و أربعة أشهر وبضعة أيام ولقد كان لهذا الحصار آثار وخيمة على أهل تلمسان حيث أنه ماتت من الخلق ما يربو على

٥

(1) عبد الرحمن بن خلدون العبر 256-257، التنسي المصدر السابق ص 129.

(2) قال عبد الرحمن بن خلدون "العبر" ج 7، 90-97: «أخبرني شيخنا العلامة محمد ابن إبراهيم الأبلي و كان في صباه قهرمان دراهم (أي بني زيان) قال: «هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس و كان قد أعد لشربه لبنا، فلما أخذ منه الديماس و عطش دعا بالقدح شرب اللبن و نام، فلم يكن لأوشك أن فاضت نفسه، و كنا نرى معشر الصنائع أنه داق فيه السم تفاديا من معرفة غلب عدوهم إياهم».

(3) انظر التنسي المصدر السابق، ص 131.

مائة ألف نسمة وتدهورت الحياة الاقتصادية فيقال أن صاع القمح بيع بتلمسان
بدينارين وربع⁽¹⁾ وحتى أنهم اضطروا إلى أكل القطط و الفئران و الجيف.⁽²⁾
وكان لهذه الوضعية وقع في نفوس الشعراء كالشاعر أبي عبد الله محمد بن خميس⁽³⁾
فقد أشار في همزيتة ما حل بتلمسان من هلاك و لا تكاد تنقضي ليلة إلى وهو مشدد
إليها مشتاق إلى رؤيتها يقول:

❖ سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء
❖ فعند صباحها من تلمسان أنباء
❖ وفي خفقان البرق منها إشارة
❖ إليك بما تنمي إليها و إيماء
❖ تمر الليالي ليلة بعد ليلة
❖ و للأذن إصغاء و للعين إكلاء
❖ و إني لأصبو للصبا كلما سرت
❖ و للنجم مهما كان للنجم إصباء
❖ و أهدي إليها كل يوم تحية
❖ وفي رد إهداء التحية إهداء
إلى أن يقول:

❖ و إني لمشتاق إليها و منبئ
❖ ببعض اشتياقي لو تمكن إنباء
❖ و كم قائل تغني غراما مجبها
❖ وقد أخلقت منها ملاء و إملاء

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 134، انظر باقة السوسان ، ص 83.

(2) يحيى بن خلدون: بغية الرواد. المصدر السابق، ص 86، 87 ، انظر ابن خلدون مج 7 المصدر السابق ص 93.

(3) هو محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس الحميري الحجري الرعيني التلمساني :

و إن انتسبت فإني من دوحة تقتيل الأقبال برد ظللا

من حمير من ذي رعين من دري حجر من الغطاء من أقبالها

انظر الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (لسان الدين) تحقيق محمد عبد الله عنان ط1 القاهرة، 1974م،
ص 556.

ثم انتقل إلى الحديث عن حالتها وهي تحت الحصار الذي ضربه عليها السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني و الذي دام أكثر من ثماني سنوات⁽¹⁾ فيذكر أنه قد عبث فيها فسادا وعم أرجاؤها الدمار و الخراب و شرد أهلها و سلبت أحوالهم يقول:

❖ لعشرة أعوام عليها تجرمت
❖ إذا ما مضى قيظ بها جاء إهراء
❖ يطنب فيها عابثون و حرب
❖ ويرحل عنها قاطنون وأحياء
❖ كأن رماح الناهيين لملكها
❖ قداح و أموال المنازل أبداء
❖ فلا تبغين فيها مناخا لراكب
❖ فقد قلصت منها ضلال وأفياء⁽²⁾

لم تسلم تلمسان من الخطر المريني فحوصرت مرة أخرى من قبل السلطان أبو الحسن المريني⁽³⁾ ودام هذا الحصار سنتين استولى عليها سنة 1337⁽⁴⁾ وإعادة بناء مدينة المنصورة التي خربها الزيانيون⁽⁵⁾ بعد فك حصار 706هـ، وتأسيسه لمدينة ملكوية غربي مدينة تلمسان.

لقد اقتحم الجيش المريني العاصمة الزيانية، وملكها عنوة و ألحق الهزيمة بالزيانيين وكان ذلك أول انتصار هام حققه بنو مرين في المغرب الأوسط، عظم به نفوذ أبي الحسن المريني و ظهر بمظهر الملك القوي⁽⁶⁾، و أصبحت مدينة المنصورة مركز

(1) فرحات الشريف خوالد أبو عبد الله ، ابن خميس التلمساني (650-708هـ) حياته و أدبه، رسالة ماجستير،

الجامعة الأردنية، 1993، ص 95-96.

(2) الخطيب، المصدر السابق ص 539

(3) التنسي المصدر السابق، ص 149.

(4) عطاء الله دهبية و آخرون، الجزائر في التاريخ، م.و.ك الجزائر 1984، ص 376.

(5) الطمار، المرجع السابق، ص 132.

(6) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني المرجع السابق، ص 21.

الحكم لأبي الحسن المريني وقد بعث الأوربيون سفراءهم إلى أبي الحسن المنتصر واتصل بتهاني و هدايا ملك قشتالة سلطان مالي الإسلامية، و لقد استغل الزيانيون وعلى رأسهم أبي سعيد و أبي ثابت هزيمة أبي الحسن المريني على مشارف القيروان أبريل 1348م فقد اجتاز الأميران وجمعهما إفريقية و المغرب الأوسط حتى وصلوا إلى سكاك في ملتقى وادي الصفصيف بوادي يسر قرب تلمسان، وهناك اعترضت سبيلهم فرقة أرسلها بن جرار⁽¹⁾ لصددهم بقيادة أخيه ولكنها هزمت وتابح الأميران سيرهما، فدخلتا تلمسان في 749هـ⁽²⁾ و أعادا لقبيلتهما ملكها و استرجعا بعض مدن المغرب الأوسط كوهران ثم غزا ناحية شلف 750هـ، مازونة، وتمكن أبو ثابت من هزم الناصر ابن أبي الحسن المريني بتعزيزن⁽³⁾ ناحية شلف 751هـ.

لقد تمكن أبو ثابت أبعاد الخطر المريني عن المغرب الأوسط و استرجاع نفوذ أجداده فسيطر على برشك⁽⁴⁾ ومليانة⁽⁵⁾ و المدية⁽⁶⁾ و الجزائر⁽⁷⁾ وبذلك تمكن بنو زيان من جمع شتات قبائل المغرب الأوسط و تكوين قوة عسكرية و إبعاد الخطر المريني عن قطرهم و أصبحت حدود دولة بني زيان تمتد بين إفريقية و المغرب

(1) عثمان بن يحيى بن جرار من شيوخ بني عبد الواد و أولاد تيدوكسن بني طاع الله، نزل بتلمسان بعد اندثار دولة بني عبد الواد سنة 737هـ/1337م وقد أغرق أبا عنان بعد نكبة أبيه في القيروان.

(2) التنسي، ص 154.

(3) التنسي، ص 154.

(4) برشك عند التنسي وبريشك عند الوزان، مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط بعيدة عن مدينة مستغانم بعدة أميال يسكنها أناس خشنون معظمهم يشتغلون بجياكة الأقمشة، ويكثر فيما التين، الكتان والشعير، ولم يبق لبريشك أثر وقد اندثرت بسبب زلزال عام 1531م انظر الوزان المصدر السابق، ج2، ص 32.

(5) مدينة قديمة بناها الرومان و أطلقوا عليها اسم ماكانة، تقع في سفح جبل زكار الغربي على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، وجبل زكار مليء بالعيون ومكسو بالأشجار الجوز، انظر الوزان مصدر سابق، ص 33.

(6) المدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد نحو ثمانين ميلا من البحر المتوسط وتقع في سهل خصيب جدا، سكانها أثرياء، انظر الوزان المصدر السابق، ص 41.

(7) التنسي. المصدر السابق، ص 153.

الأقصى⁽¹⁾ وسرعان ما تلاشت هذه السيطرة ، بعد انهزام بنو زيان في موقعة أسلي على يد الجيش المريني 11 جمادى الأولى 753هـ / يونيو 1352م⁽²⁾ وقبض أثر ذلك، على الأمير أبي سعيد ليقتل سنة 1352م⁽³⁾ على يد أبي عنان المريني الذي أعلن نفسه خليفة لأبيه أبي الحسن 1348-1358م، لتبقى تلمسان تابعة لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات أخرى إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني من انتزاعها من المرينيين عام 760هـ-1359م.⁽⁴⁾

و السلطان أبو حمو موسى الثاني هو بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بني يحيى بن يغمراسن بن زيان، ولد بالأندلس في مدينة غرناطة سنة 723هـ، و قد نشأ أبو حمو في تلمسان لينتقل إلى فاس أثناء الاستيلاء المريني على تلمسان سنة 737هـ ليعود إلى تلمسان ويستقر بندرومة، و عاش هناك بعيدا عن كل نشاط سياسي إلى غاية تنقله إلى تونس 753هـ / 1352م "ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافرجين فأكرم نزله" وقد أمدت إقامته إلى أوائل 758هـ-1357م، و قد استغل انشغال السلطان المغربي أبي عنان في مهاجمة بلاد إفريقية و راح يشن الغارات على جنوب المغرب الأوسط سجلماسة⁽⁵⁾ رفقة أولاد عثمان بن سباع وبن عامر ثم تمكن أبو حمو من اقتحام أسوار تلمسان محققا بذلك آمال قبيلته و إنهاء الاحتلال المريني و إحياء الدولة الزيانية 760هـ⁽⁶⁾ وكان على تلمسان آنذاك محمد بن

(1) حاجيات المرجع السابق، ص 30.

(2) حاجيات، المرجع السابق، ص 32، انظر عطاء الله دهبينه المرجع السابق، ص 392.

(3) العبر مج، 7 ص 399، انظر أيضا الزركشي المصدر السابق ص 94.

(4) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 34.

(5) مدينة سجلماسة: مدينة كبيرة هي مقصد للوارد و الصادر كثيرة الخضرة و الجنات، راققة البقاع و الجهات ولا حصن عليها و إنما هي قصور وديار متصلة على نهر كثير الماء انظر الإدريسي ص 76، انظر أيضا البكري ص 148.

(6) انظر عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق ص 88.

السلطان أبي عنان، يتولى شؤونها بمساعدة مربية سعيد، و الأمير يغمراسن بن عثمان بن سليمان المريني.

وقد شرع أبو حمو في تنظيم شؤون دولته وبسط سلطته على نواحي القطر غير أنه لم يتمكن من استرجاع وهران ومليانة و المدينة و الجزائر التي كانت لا تزال تحت السيطرة المرينية ولم يكن له ذلك إلا في 762هـ حيث فتح وهران عنوة و تدلس 763هـ و لم تدم سيطرة أبي حمو موسى على المغرب الأوسط طويلا إذا سرعان ما تمكن سلطان المغرب السلطان عبد العزيز في 10 محرم 772هـ / 1370م و الاستيلاء على تلمسان و بقي بها حتى وفاته عام 776هـ - 1374 وقد أرغم أبا حمو موسى الاعتصام بالصحراء بتيقورارين (قورارة) مما يتاخم بلاد السودان (1).

و لقد تمكن أبو حمو بعد وفاة السلطان المريني عبد العزيز 776هـ من الرجوع إلى تلمسان و استرجاع عرش أسلافه و استرداد المناطق الأخرى بالمنطقة الشرقية، مازونة 775هـ و شلف، مليانة، الجزائر، إلى أن ولي عليها الوزير السابقين ابن برغوث و أخذت أحوال الدولة الزيانية السياسية تسير سيرها الطبيعي، بعد أن شمل المغرب الأوسط الهدوء و الاستقرار، و تواصل تنظيم شؤون الدولة، و تحسين العلاقات مع مختلف القبائل إلى أن تآزم الوضع (2) في المغرب الأقصى في سنة 784 هـ، و نهض ضد السلطان أبي العباس المريني ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يفلوس بمراكش الذي كان ينافسه على مدينة سجلماسة و مراكش، فتحالف أبو حمو مع

(1) باقة السوسان، المرجع السابق، ص 206، أنظر أيضا عبد الحميد حاجيات، ص 129.

(2) أنظر عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص 137.

هذا الأخير، وظاهره على خصمه مما أثار حفيظة أبي العباس على أبي حمو و أدى هجومه على تلمسان⁽¹⁾.

- الصراع المريني الزياني على مدينة تلمسان في عهد السلطان أبي العباس المريني.

كان عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بمراكش يعاني من حصار السلطان أبي العباس منذ أشهر ما فاستصرخ بأبي حمو و أرسل إلى ابن عمه أبا العشائر، رفقة يوسف بن علي بن غانم شيخ أولا حسين من المعقل⁽²⁾ وأجاب أبو حمو صرختها فأرسل معه ابنه أبا تاشفين و توجهوا إلى ناحية مكناسة⁽³⁾ لشن الغارة عليها، بينما أغار أبو حمو على ناحية تازا قصد شغل أبي العباس المريني و حمله على رفع الحصار عن مراكش و الإفراج عليها إلا أن السلطان المريني اقتحم مراكش في تلك الأثناء، و استولى عليها و قضى على منافسيه أواسط سنة 785هـ، فما كان من أبي تاشفين و أبي العشائر و يوسف بن علي بن غانم إلى الرجوع كما عاد إليها أبو حمو بعد أن هدم قصر تازروت و مسجدتها قرب تازا، و خرب قصر مرادة الذي كان بناه ونزمار بن عريف السويدي⁽⁴⁾ في ناحية بطوية من أحواز تازا و قد أدى

(1) عطاء الله دهينة، المرجع السابق، ص 416 انظر عبد الحميد حاجيات، ص 140.

(2) المعقل من العرب النازحين إلى المغرب في القرن الخامس هـ / 11م برفقة بني هلال و بني سليم و قال عنهم ابن خلدون في العبر، ج 6 ص 118-119 و هذا القيل لهذا العهد بن أوفر قبائل تلمسان، و ينتهون إلى البحر الأقصى من جانب الغرب. انظر التنسي المصدر السابق، ص 268.

(3) مدينة هي مسماة بأقراوات و مكناسة باسم مكناس البربري لما نزلها مع بنيه عند ملوكهم بالمغرب و بين مكناسة و فاس أربعون ميلا في جهة الغرب. انظر الإدريسي ص 96.

(4) من شيوخ قبيلة سويد بقي على طاعة السلطان أبي الحسن المريني قال ابن خلدون (العبر)، ج 6، ص 99، "عقد السلطان أبو الحسن لوزمار بن عريف على سويد و سائر بني مالك و جعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله". انظر التنسي، ص 152.

هذا العمل من قبل أبي حمو وما صاحبه من تخريب إلى تأزم الوضع بينه وبين أبي العباس المريني من جهة و إلى استياء سويد الشديد وغضبه من جهة أخرى، فما عاد السلطان المريني إلى عاصمته بعدما تمكن من القضاء على الفوضى التي كانت بالجنوب حتى أخذ يعد العدة للنهوض إلى تلمسان، انتقاما لموقف أبي حمو العدائي⁽¹⁾ وعندما اطلع أبو حمو على ما كان يدبره أبو العباس من استعدادات للزحف، استنجد بابن الأحمر، و كان لهذا الأخير نفوذ كبير على الدولة المرينية، فقد نصح أبا العباس على مهاده و مسالمة أبي حمو غير أن السلطان المريني لم يتأخر عن تنفيذ خطته فهاجم المملكة الزيانية، و استولى على تلمسان، بعد أن غادرها أبو حمو متوجها إلى البطحاء⁽²⁾ ثم إلى حصن تاجحمومت في أراضي بني سعيد و كان رد فعل ابن الأحمر أن أنهض منافس للسلطان أبي العباس أبي عنان، وبعث مع قوة عسكرية نزل بها سبتة⁽³⁾ في غرة الربيع الأول 786هـ، ثم توجهوا صوب فاس فحاصروها، ثم استولوا عليها في 19 ربيع الأول.

(1) دهينة، المرجع السابق، ص 417 أنظر عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص 142-143.

(2) كانت البطحاء قائمة عام 1119م/513هـ عندما نزل بها مجاهد بن تومرت في طريق عودته من المشرق ويجهل الآن موقعها، لكن أغلب الظن أن البطحاء كانت تقع على الطريق الكبرى المؤدية من تلمسان إلى عاصمة الجزائر على الضفة اليسرى لوادي منى قرب أغيل إزان (ربوة الذئاب) أنظر الوزان، ص 27-28.

(3) سبتة مرفأ واقع على مضيق جبل طارق و هو يطل على البحر المتوسط وقد لعبت المدينة دورا هاما في تاريخ المغرب الأندلس، و هي على ضفة البحر الرومي و هو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جد و البحر يحيط بها شرقا و شمالا و قبلة و لو شاء ساكنوها أن يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة، و هي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله... انظر البكري ص 103، أنظر أيضا إسماعيل العربي المدن المغربية، الجزائر 1984 ص. انظر أيضا التنسي المصدر السابق ص 286.

ولما بلغ الخبر إلى السلطان أبي العباس بتلمسان غادرها فوراً وقبل الخروج منها أمر بإيعاز من ونزار بن عريف السويدي، بهدم قصور بني زيان بتلمسان وقسم هام من أسوارها، انتقاماً من تخريب أبي حمو لقصر تازروت وقصر مرادة، لقد كان لتخريب هذين القصرين أثر في العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية و المرينية واحتلال عبد العزيز المريني على المغرب الأوسط مدة سنتين وتصدع العلاقات التي كانت ما بين أبي حمو وقبيلة سويد و نصرته لقبيلة بني عامر المعادية لقبيلة سويد وكانت النتيجة الحتمية لموقف أبي حمو المعادي لسويد أن فقد تأييدها مما جعل نفوذه يضعف بشكل ملحوظ كانت منذ تغلبها على بني عامر سنة 777هـ، تشكل قوة سياسية عظيمة، لا يستقيم أمر السلطان إلا بإرضائها و استمالتها، ولا يسود الاستقرار السياسي في البلاد إلا بتأييدها و الحصول على طاعتها.

ولقد أصبحت المملكة الزيانية تعيش في جوّ تسوده الفوضى، وتقلص نفوذها، وظهر الانقسام من القوة السياسية في الدولة بين الإخوة الأعداء مما أثر سلباً على الحياة السياسية للدولة الزيانية.

الفصل الثاني

السودان الغربي سياسيا

مهيـد

أولا: غانـة

ثانيا: مالي .

ثالثا: سنغاي .

مُهَيِّد:

إن العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى فسمو بلادهم ببلاد السودان التي يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى و جنوبا درجة 10° شمالي خط الاستواء و المحيط الأطلسي من الغرب وينقسم السودان إلى ثلاثة أقسام : السودان الشرقي و الأوسط و الغربي وهذا الأخير يطلق عليه اسم إفريقيا الغربية التي تقع إلى الجنوب من إفريقيا العربية يحدها شرقا بحرية تشاد وغربا المحيط الأطلسي و جنوبا خليج غينيا ، وقد قامت بإفريقيا الغربية عدة ممالك خدمت التقدم و أوجدت العلم و الثقافة وأخرجت سكان هذا الإقليم من طور البداوة التي ظلت مسيطرة على غيرهم من المناطق الإفريقية ومن أهم هذه الممالك :

أولا: غانانة .

كلمة غانانة تعني باللغة المحلية الساراكولة القيادة العسكرية - تم تحول الاسم إلى العاصمة مركز القيادة ثم أطلق على المملكة وغانانة⁽¹⁾. بمعنى مدينة ذكرها عدد كبير من المؤرخين والرحالة الذين كان لديهم بعض الإلمام ببلاد الزنوج منهم ابن حوقل الذي قال أنها " أيسر من على وجه الأرض " ⁽²⁾ ويذكر أن أسرة سوداء أسست غانانة من قبائل " السنونكي " بقيادة " قيمغ " ⁽³⁾ الذي كان حاكما لقبائل السنونكي في " وغدو " وقد أثبت أنه قائد واسع الحيلة ، ولم

(1) بفتح العين المعجمة بعدها ألف ، ثم نون مفتوحة في الآخر وهي ليست بدولة غانانة الحالية ، ذلك أن غانانة

القديمة كانت تقع في أراضي جمهورية مالي الحالية بالقرب من الحدود مع موريتانيا .

(2) نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام - كوناكري 1960 ص 28.

(3) ابن حوقل : صورة الأرض دار مكتبة الحياة بيروت 1979 ، ص 98.

تعرضه أية صعوبة في غزو غانة ، فاليعقوبي ⁽¹⁾ يقول في كتابه أن ملك غانة ملك عظيم وان بلاده غنية بمناجم الذهب و يخضع له عدد كبير من الممالك . ويتفق أغلبية المؤرخين على أن مملكة غانة بلاد زنجية كابن حوقل و البيروني * والبكري الذي قال عن غانة " وغانة سمى ملوكهم واسم البلد أو كار و إسم ملوكهم اليوم وهي سنة سنتين وأربع مائة تنكامين ... وغانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه ولها الايمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها آبار عذبة منها يشربون و عليها يعملون الخضروات ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمسكن بينهما متصلة و مبانيهم بالحجارة و خشب السنط وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حايط الكسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك و حول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيها قبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس ولا يمكن لأحد دخولها و لا معرفة ما فيها وهناك سجون الملك فإذا سجن أحد انقطع عن الناس خبره... " ⁽²⁾ .

وغانة بمعنى بلد كبير (إمبراطورية) وردت بتلك الصفة عند عدد من المؤلفين منهم الإدريسي الذي ذكرها وقال أنها " تتصل من غربيها ببلاد مقرارة ومن

(1) قيمغ هو الذي بدأ السلطنة ودار إمارة غانة و تعني هذه الكلمة ملك الذهب .

* البيروني : هو أبو الريحان محمد ابن أحمد الخوارزمي البيروني 1048/ 973 مؤلف عربي من أصل فارسي حصل كثير من العلوم فكان مؤرخا و لغويا و أدبيا وعالما بالرياضيات و الفيزياء و الفلك و الطب و الفلسفة والتصوف وله في ذلك مؤلفات كثيرة قيمة تتميز بالإحاطة الشاملة منها الآثار الباقية عن القرون الخالية .

(2) البكري ، المصدر السابق ، ص 174 - 175 .

شرقها ببلاد ونقارة ، وشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان و أرض البربر، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها " (1) .

لقد كانت تضم غانة مجالا جغرافيا واسعا يشمل غرب مالي وغينيا العليا وجنوب شرق موريتانيا وبعض شرق السنغال ، وشمال معادن الذهب في بامبوك وقاليمي وهذه الحدود بلغت أيام عزتها وقوتها (2) وفي أيام ضعفها بقيت نفس الحدود ولكن الولايات أصبحت أكثر استقلالاً بحيث التبعية أصبحت اسمية أكثر منها عملية .

* مملكة غانا سياسيا:

يحيينا وصف البكري لعاصمة مملكة غانة على وضعية سياسية مركزية ، حيث يباشر الملك سلطته انطلاقا من العاصمة غانة (3) "أكور" ثم نقلت إلى "كومي صالح" (4) * ويساعده في مهامه عدد من الوزراء و الموظفين جلهم من المسلمين ، وكان الملك يحكم البلاد من خلال ولاية ينوبون عنه في تسيير شؤون الجهات والأقاليم .

(1) الادريسي : وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق نشر هنري بريس ، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية الجزائر 1957 ، ص 8.

(2) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى شواطئها ، م. و . ك الجزائر 1983 ص 283.

(3) أحمد شكري : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 - 1430 أبو ظبي 1999 ، ص 114.

(4) يحيى بوعزيز : تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع 160 إلى مطلع ق 20 ، هما للطباعة و النشر الجزائر 1996 ، ص 22.

* كومي صالح كانت واسعة الأرجاء أنيقة المباني بها أسواق عديدة تزينها أشجار النخيل و الحناء ، وكانت تعد من أنشط المراكز التجارية بالمملكة بالإضافة إلى بعض المدن المجاورة كمدينة أودغشت التي كانت ملتقى القوافل التجارية . وتبعد مدينة كومي صالح بـ 205 كلم إلى الشمال من مدينة باماكو الحالية .

ما من نظام يشاهد بين قبائل إفريقيا السوداء سواء أكان اجتماعيا أم سياسيا أم اقتصاديا ألا وهو يتركز على فكرة دينية ، والوثنية في جميع أنحاء إفريقيا تتلقى عند أساس واحد هو شدة الشعور بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمع بالبيئة الطبيعية وبالأجداد القدماء و تمتزج الطبيعة وما وراءها عندهم . فالميت يعود على شكل ثعبان له أثر في خصب الأرض وفي جلب الرزق (1) .

وكان الغانيون يقدسون الحية و ويقدمون إليها كل عام إحدى الفتيات قربانا . ويذكر البكري ببعض ما شهدته في تلك البلاد فيذكر الأسطورة الشائعة التي تتحدث عن شاب حاول إنقاذ خطيبته من هذا المصير المؤسف فحلت بمدينة غانة من جراء ذلك المصائب ولحق بها الخراب ويذكر البكري أيضا أن الأفاعي كانت تحتفل بتتويج الملك الجديد بخروجها من أوكارها. (2)

وكان ينظر إلى الملك على أنه ممثل الإله لأنه زعيم عظيم لأقوى القبائل وتشرط فيه القوة التي هي عنصر مقدس بل أن زعيم القبيلة يتدحرج على الأرض المحروثة ليحلب لها الخصب . (3) كانت توجد بغانة معابد عبارة عن أبنية بسيطة مربعة ذات أبراج أسطوانية مزينة بالصور.

إن بداية الإسلام في مملكة غانة ارتبط بالمدن في حين ظلت الأرياف بعيدة عن التأثير الإسلامي وهذه الظاهرة كانت عامة في بلاد السودان ولا تخص مملكة غانة وحدها (4) ونقصد بالتأثير الديني الذي هو الأثر الذي تركه الإسلام في غانة .

(1) نعيم قداح : إفريقيا الغربية ، المرجع السابق ص 34.

(2) نفس المرجع ، ص 34.

(3) نفس المرجع ، ص 35.

(4) أحمد شكري ، المرجع السابق ، ص 115.

غانة خاصة و الدول الإفريقية عامة * كان التغلغل الإسلامي في غانة في أكثر أحواله سلميا. وقد بدأ حين قدم التجار المسلمون إلى كومبي صالح فبنوا لسكانهم مدينة خاصة على الطراز المعماري في المغرب فلم يلبث الملك والأشراف أن استقدموا المهندسين المعماريين العرب ليقوموا ببناء القصور والمساجد وإنشاء المدارس القرآنية وقد أقبل المؤمنون الإفريقيون على هذه المدارس بشغف كبير ، مما جعل اللغة العربية لغة الثقافة الوحيدة في البلاد بالإضافة إلى أنها اللغة التجارية المستعملة في التبادل التجاري (1). وقد شارك المسلمون العرب الأفارقة في إدارة البلاد بخراتهم الواسعة فمثلا كان وزير الخزانة من المسلمين الأمر الذي سمح لهم من تنظيم أمور المالية لخيرتهم بها ولثقة الكبيرة التي كان الملك الوثني يشعر بها نحوهم. ولما أسلم الملوك أخذوا بالتقاليد الإسلامية التي فرضت على الحاكم أن يتجول في شوارع المدينة ليحرف بنفسه على سير الأمور في مملكته .

وكان من تأثير الإسلام في مملكة غانة أن أوقف التنافر القبلي بين القبائل ، وقد أطل الإفريقيون بواسطة الحضارة الإسلامية على عالم الثقافة و النور فلم تلبث القبائل التي اتخذت الإسلام ديناً أن حملت لواء نشره في أوساط القبائل الإفريقية الأخرى ، فنشر الإسلام في أودية النيجر و السنغال وهناك ظهرت مملكة كان الإسلام عنصراً أساسياً وهاماً في تكوينها ألا وهي مملكة مالي .

* دور المرابطين في سقوط غانة :

* انظر الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الدراسة .

(1) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 41.

لقد عملت القبائل الصحراوية على الإطاحة بالإمبراطورية الزنجية وبالممالك المستقرة في شمال إفريقيا وهذه القبائل عرفت عند ابن خلدون بالمشيمين " هذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعثوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فترحوا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بألبان الأنعام و لحومها انتبازا عن العمران و استئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر فترلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين البربر و بلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما يتميزوا بشعاره ما بين الأمم وعفوا في تلك البلاد وكثروا و تعددت قبائلهم من " كذالة فلمتونة فمسوفة فوتريكة و كافزغاوة ثم لمطة اخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة، و للمتونة فيهم بطون كثيرة منهم بنوزمال وبنورتنطق وبنوصلان وبنوناسجة وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كأكرم، وكان دينهم جميعا الجوسية شأنهم برابرة المغرب " (1).

في القرن التاسع نجحت قبيلة صنهاجة في فرض سيطرتها على غرب الصحراء الكبرى وكان تعاضم قوتها يعني أنها سرعان ما ستدخل في نزاع مع مملكة غانة خاصة بعدما فقدت هذه الأخيرة مقاطعاتها النائية في الشمال لاسيما بعدما تمكن حاكم صنهاجة من عرقلة تجارتها وهو ما يعد ضربة عنيفة لهذه التجارة التي كان البربر متحكمين في مسالكها ومن ثم قيادة جيش كبير للقضاء على غانة للسيطرة على مقاطعاتها وقد وصل تعدادها ثلاثون ألف بزعماء عبد الله بن ياسين تحرك به نحو الشمال و سيطر على سجلماسة المركز العظيم لتجارة الصحراء ثم

(1) ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر مج 6 ص 181.

اتجه جنوبا وقرر فتح المركز التجاري العظيم الآخر في قلب الصحراء
أودغست⁽¹⁾ وتم له ذلك عام 1054 م⁽²⁾ وبدأت تسقط المقاطعات الغانية
الأخرى تباعا حتى سنة 1076 م أين سقطت مملكة غانة نهائيا في أيدي المرابطين
فالتجارة التي قام عليها رخاؤها دمرت ، و المركزان التجاريان أودغست
وسحلماسة كانا في أيدي المرابطين الذين مزقوا الإمبراطورية إلى جزأين الشمالي
منها سقط في أيدي المرابطين وفي الجنوب ظلت الأسرة الوثنية القديمة تحتفظ
بالسلطة⁽³⁾ فغانة الإمبراطورية استمرت موجودة بعد المرابطين . وهي لم تنته
بسبب فتحهم إياها، بل بسبب عدم قدرتها على توحيد الإمبراطورية ثقافيا
وسياسيا واجتماعيا وهو ما انعكس على وحدتها الإقليمية التي عرفت عدة
اختراقات سياسية و ثقافية ارتدت على إثرها بعض القبائل عن الإسلام ،
كقبائل السرير و الولوف وبعض السراكولي وبنبرا ... ، مدة قبل أن تغير عليها
قبائل الصوصو السوننكية⁽⁴⁾ .

ثانيا: مالي

(1) أودغست : واحة تغداواست الحالية في تاغنت وكانت أهم محطات القوافل في هذه المنطقة ويسمىها اليعقوبي
"غسط" وأودغست مدينة بين جبلين جنوب سحلماسة بها أسواق جليلة وهي مصر من أمصار جليل وأهلها
مسلمون يقرءون القرآن ويتفقهون ولهم مساجد وجماعات أسلموا على يد المهدي عبيد الله.

(2) الهادي المروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية ط 2 ، 1999 ، ص 19.

(3) ك . مادهو بانيكار تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، تر/ أحمد فؤاد بليغ ، ط 2 لندن 1998 ،
ص 86.

(4) سعيد حراش : العلاقات الفكرية بين العامل العربي الإسلامي و غرب إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين
16-17 من الرحلة إلى الهوية و الكتابة رسالة جامعية لنيل شهادة الدراسات العليا جامعة محمد الخامس 1993 ،
ص 44.

تمتد مالي على طول وادي النيجر الأعلى في مسافة لا تقل عن ثلاثمائة فرسخ، يحدّها عن الغرب الأطلسي ومن الشرق بلاد البرنو وشمالاً الصحراء الكبرى وجنوباً الغابات الاستوائية ، وقد اشتملت على خمسة أقاليم كل منها مملكة مستقلة، ثم اجتمعت كلها تحت ملك صاحب مالي :

وأول من ذكر مالي هو الرحالة البكري حيث يتحدث عن بلد ملل⁽¹⁾ أي أهل مالي وعرفت عند الإدريسي بللم⁽²⁾ وهم كفار مهملون يأكلون الناس ويبدأ ابن خلدون حديثه فيقول عنها: وكانت تجاورهم أي غانة من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم النقالون تعرف بصوصو ... ثم أمة تعرف بمالي ثم بعدها أمة تعرف بكوكو ...⁽³⁾

يقترن ذكر مالي بغانة حيث إنها كانت من مقاطعاتها ، وكان سلطانها تابعا لها⁽⁴⁾ وبعد ضعف هذه الأخيرة على أثر الهجمات المرابطية ، أصبحت أقوام أخرى تسيطر على المنطقة وهي أقوام الصوصو الذين سيطروا على جل منطقة السودان الغربي .

* تأسيس المملكة : تطلق الدراسات التاريخية على القبائل التي أسست إمبراطورية مالي اسم الماندينغ* أو المانديغو ومن بين هذه الدراسات دراسة الرحالة الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي الذي عرف بليون الإفريقي

(1) البكري ، ص 178.

(2) الإدريسي ، وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية ، المصدر السابق ، ص 4

(3) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 412.

(4) أحمد شكري ، المرجع السابق ، ص 166 |نظر أيضا عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 45.

* انظر الملحق رقم -02-

(1483- 1526) ⁽¹⁾ وكان شعب الماندينغ من بين أوائل الشعوب في غرب إفريقيا التي اعتنت الإسلام ، وكان في البداية يدين بالولاء لمملكة غانة، وعندما انهارت غانة أمام هجمات الصوصو الوثنيين ، تصدى شعب الماندينغ لهذه الهجمات و تمكن من الانتصار عليها بقيادة الزعيم سوندياتا كيتا Soundiata kaïta في معركة " كيرينا " Kierina عام 1235 م ⁽²⁾ * الذي يرجع له الفضل في تأسيس مملكة مالي الكبرى وحدد الركائز الأولى لدولته ⁽³⁾ .

ولقد اختلفت المصادر في اسم هذا الزعيم فيذكره ابن خلدون على شكل ماري جاطة ، ماري بمعنى الأمير وجاطة بمعنى الأسد ، ولقد حيكت حول هذه الشخصية الخرافات و الروايات ، فالرواية تقول إن " سوندياتا " كان وحيد أمه، وكان يعاني من عاهة في رجله ، والى حدود السن السابعة لم يكن يستطيع استعمالها بشكل جيد، لكن بواسطة العصا السحرية الملكية يستعيد سوندياتا قوته، و يظهر ولعا وقدرة كبيرة على الصيد و المبارزة . يطرد سوندياتا من مالي على يد أحد اخوته الكبار ، الذي كان يجلس على عرش الإمارة ، وبعد رحلة شاقة يستقر مع أمه وأحد اخوته عند صاحب مملكة " ميمبا " حيث توجد بها

(1) ليغون الإفريقي 1483-1526 هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي جغرافي ومؤرخ ورحالة زار إفريقيا الغربية وقد أسره القراصنة في إحدى رحلاته في البحر المتوسط عام 1517 وقادوه إلى روما حيث أكره على اعتناق المسيحية و يسمى بليون الإفريقي ، وقد عمل في روما معلما للعربية له كتاب وصف إفريقيا .

(2) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد ط1 الدار البيضاء 1988 ، ص 60.

* توجد كرينا بين مدينة باماكو و كانكيا في جمهورية مالي الحالية .

(3) العبر ، مج 6 ، ص 413.

بقايا أسرة السونينكي الذين حكموا - في السالف - مملكة غانة التي استضافت هذه الأسرة وتساعدتها على الرجوع إلى مالي لتحكم مالي أكثر من عشرين سنة وعرف عهد ماريجاتا عهدا مشرقا إذ شهد تطورا ملحوظا في كافة نشاطات مملكة مالي الإسلامية . وقد نظم مملكته على النحو التالي :

- 1- أعاد بناء عاصمة جديدة للبلاد وهي " نياني " Niani على شاطئ نهر السانكار في شمال شرق غينيا .
- 2- قسم مملكته إلى مقاطعات ولى عليها أقرباءه .
- 3- شجع زراعة القطن و اهتم بالصناعة و كلف بها الأسرى الذين وقعوا في يديه أثناء الحروب .
- 4- اتبع سياسة الصداقة بين مختلف قبائل مملكته بأن تزوج عددا من نسائها كما جعل في بلاطه عددا من الشعراء يمثلون مختلف القبائل .
- 5- شجع التجارة ولاسيما تجارة الذهب (1) .

وقد خلفه على العرش ابنه البكر " منسا أولين " أي الملك الأحمر لأنه كان نحاسي البشرة (1255-1270 م) ويعد من أعظم ملوك مالي . وحج أيام الظاهر بيبرس (2) وزار القاهرة ثم قام ببعض الفتوحات في السنغال (3) و خلفه أخوه منساواتي ouati ثم خليفة ثم أبو بكر ابن أخ ماري جاطة (سونديات) وفي عام 1285 اغتصب الحكم أحد القواد من عبيد العائلة المالكة و اسمه سكورة=

(1) نعم قداح ، إفريقيا ، المرجع السابق ، ص 50.

(2) خالد شكر اوي : الدين و السلفة في إفريقيا الغربية رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس

كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1990-1991 ، ص 27.

(3) نعيم قداح إفريقيا ، المرجع السابق ، ص 51.

1285 Sakoura - 1300 ومن أعماله قام بتوسيع المملكة حيث عزا "قاو Gao" وصل إلى حدود "البرنو" و عرفت التجارة الصحراوية في عهده نموا و ازدهارا كبيرين وقد توفي وهو راجع من الحج في الفترة الواقعة ما بين 1300-1307 تتالى على حكم المملكة عدد من السلاطين مسينا قو ثم ابنه محمد بن قو وبذلك ينتهي حكم الفرع الأول من أسرة ماري جالطة لينتقل العرش إلى ولد أخيه أبي بكر ويقال أنه توفي عندما ركب المحيط الأطلسي في محاولة لاكتشاف مجاهله (1) اعتلى العرش السلطان منسا موسى أو كما عرف بـ "كنكاموسى" وكان كان والده ويسميه العرب سلطان التكرور وهو ابن أحد أخوة سوندياتا (ماري جالطة) ولقد شكلت فترة حكمه مع فترة حكم أخيه منسا سليمان مرحلة ثالثة تميزت بالتطور الثقافي و العلمي للمملكة ، مع تمتين العلاقات الخارجية و الدبلوماسية و لقد تحدث المؤرخون عن زيارته للأماكن المقدسة و للقاهرة بإعجاب كبير سنة 1324 في عهد الملك ناصر بن قلاوون (2) وكان برفقه زوجته " ناركنت" وموكب كبير اختلف المؤرخون في عدده و كمية الذهب التي يحملها ، فذهب البعض إلى حد قوله " وخرج بعدما وصل رأس قافلته بتمبكت وهو بداره في مل" كما أورد أن عدد العبيد وصل ما بين ثمانية إلى تسعة آلاف إلى سبعمائة ألف عبد وحمل أربعين بغلة ذهبا (3) وهناك من أورد أن السلطان منسا موسى حمل معه ثمانين حملا من التبر ، وفي كل حمل ثلاثة

≡

(1) العمري : مسالك الأبيصار ، المصدر السابق ، ص 70.

(2) خالد الشكراوي ، المرجع السابق ، ص 28، انظر أيضا عبد الله حسن محمد وقفات مهمة في التاريخ الإفريقي ، ط 1 ، جدة السعودية 1982 ، ص 29-30.

(3) محمود كعت ، انظر أيضا تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس باريس 1981. ص 33-

قناطير⁽¹⁾ . لقد كان لهذا الحج أثر عميق في نفوس المشاركة و المصريين خصوصا .

لقد تمكن منسا موسى من الحفاظ على النظام و الأمن حتى وصل بالبلاد إلى درجة عالية من الرقي و التطور و ووطد علاقتها بما جاورها من بلاد وبلغ صيتها بلاد الأندلس و أوروبا و المشرق العربي و المغرب الإسلامي و قد أهله تقواه وصلاحه و عطفه على رعيته أن يكسب حبههم و تقديرهم و من ثم يضمن استقرار حكمه و توطيد دعائمه⁽²⁾ . وقد سمح هذا السلطان بإرسال البعثات الثقافية من بلاده إلى فاس و القاهرة و كان المتعلمون يعودون ليحتلوا مراكز القيادة في بلاده فمنهم الأئمة و القضاة و المعلمون في المدارس و المساجد في تمبوكتو و غاو و جني و نياني التي غدت مراكز إشعاعية ثقافية - كما سنرى لاحقا - أما العلاقات التجارية مع البلدان المغربية المغرب الأوسط خاصة فقد ازدهرت نظرا لكثرة القوافل التجارية من جهة و لسيطرة الأمن في طرق القوافل من جهة أخرى و قد بلغ تعداد القوافل عام 1350 أكثر من عشرة آلاف جمل و كانت البضائع المصدرة من السودان الغربي و القادمة إلى البلدان المغربية تشكل مادة حيوية في اقتصاد مالي الإسلامية⁽³⁾ *

بعد حكم منسا موسى الذي دام أكثر من خمس و عشرين سنة خلفه ابنه منسا ميغا Mansa Migha الذي لم يبق على رأس الحكم إلا أربع سنوات ليخلفه عمه

(1) الهادي ميروك ، المرجع السابق ، ص 32 ،

(2) عبد الرحمان السعدي ص 7 .

(3) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 55 .

* انظر الباب الرابع من هذه الدراسة .

منسا سليمان و الذي يمثل أحد أواخر عهود الازدهار التي عرفتھا مالي الإسلامية إذ سرعان ما تدخل البلاد في اضطرابات سياسية تمثلت في :

1- الصراع على السلطة ، وظهور عناصر تتوخى الوصول إلى سدة الحكم.

2- تسلط و استبداد الموظفين الكبار من وزراء و مستشارين بالسلطة⁽¹⁾.

أثرت هذه الاضطرابات على العائلة المالكة وسمحت بانتقال الحكم لصالح قوى أخرى في منطقة تمثلت في سنغاي التي ستشكل استمرارية لدولة مالي الإسلامية على المستوى السياسي و الاقتصادي و الثقافي و الديني .

ثالثاً: دولة سنغاي .

يعد تاريخ مملكة سنغاي الأكثر وضوحاً ضمن تاريخ ممالك السودان الغربي في العصر الوسيط و قد عرفت هذه المملكة من خلال أهم مراكزها الحضارية و الاقتصادية و السياسية كمرکز اجني و غاو و تومبوكتو ...

تأسست دولة الأسقيين سنغاي⁽²⁾ في القرن السابع ميلادي و استمرت تتقوى باستمرار و تتوسع حتى القرن السادس عشر .

(1) شكر اوي ، المرجع السابق ، ص 32 .

(2) سنغاي نسبة إلى قبيلة كانت تقطن من نهر النيجر إلى حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد الأولى ثم أخذت تنتقل إلى الشمال نحو النيجر ، وفي القرن السابع ميلادي كانت تمتد مساكنها حول نهر النيجر بحوالي 150 كلم ، و كانت تمتهن صيد الأسماك و عرفت بمجموعة الصيادين المرشحين على طول نهر النيجر و ففة أخرى منها كانت تمتهن الزراعة و عرفت بمجموعة الفلاحين المستقرين على شاطئ النيجر .

وأن أول من تملك دولة سنغاي هو " زا الأيمن " ومعناه جاء من اليمن وحسب الروايات أن قدومه إلى كوكيا تصادف مع وقت كان يعاني فيه أهل سنغاي. من جيروت حوت كبير كانوا يعبدونه و يهابونه ، ليتمكن "زا الأيمن" من قتل الحوت ويصبح ملكا على مملكة سنغاي .

وأول ملك مسلم من أسرة " زا " هو الملك " زا كوسي " « Za Koussi * ويقال له مسلم دان و يؤرخ السعدي لواحد و ثلاثين ملكا من أسرة "زا" (1) .

بوصول سن علي إلى الحكم ، تأسست أسرة جديدة هي أسرة سني و الفترة المهمة لهذه الأسرة الفترة الأولى 1464 - 1492 حكم خلالها سني علي الدولة بيد من حديد إذ عرف بقسوته و بطشه و كراهيته للطوارق و الفولانيين الذين حاول إفنائهم . اشتهر سني علي بدخوله مدينة تومبوكتو حيث عاث فيها فسادا و تصرفه السيئ مع الفقهاء و الهيئات العلمية ليخلفه على العرش 1493 ابنه "سني يار " الذي لم يبق سوى سنة واحدة على العرش فسرعان ما قام عليه أحد قواده العسكريين الكبار و أزاحه عن الملك و عرف هذا القائد بـ "أسقيا" ومعناه المعتصب أي أنه اغتصب العرش من أسرة سني علي الذي حكم ست و عشرين سنة وهذا الأسقية هو محمد توري وهو أمير المؤمنين و سلطان المسلمين أبي عبد الله أسقيا محمد ابن أبي بكر و يلقب أبوه "بلرلوم" من قبيلة "السلوي" (2) و قيل

* انظر الملحق رقم -03-

(1) السعدي ، تاريخ السودان ، ص 3-4.

(2) نسبة إلى كما يعرف بسلا إحدى فروع قبائل السونينكي

من طور⁽¹⁾ و أمه كاساي بنت كُرْكُي ويذكر كعت أن للرجل مناقب وحسن السياسة ما لا يخص و لا يوجد له مثل⁽²⁾ ، يعد أسقيا محمد المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي الإسلامية الكبرى ولقد دام حكم الأسيقيين أكثر من قرن ، وقد اختلفوا في تطبيق سياستهم سواء في الداخل من حيث تنظيم البلاد و ضبطها وتوسيع حدودها أو في الخارج من حيث علاقاتهم مع الدول المجاورة و خصوصا بشمال إفريقيا (المغرب الأوسط و الأقصى) بالرغم أن عائلة الأسيقيين لم تحكم طويلا لكنهم وصلوا بالمملكة من حيث قوة و الازدهار و التوسع إلى الحد الذي لم تصله أية مملكة من الممالك السودانية .

ويعد تاريخ مملكة سنغاي الإسلامية الأكثر وضوحا ضمن تاريخ ممالك السودان الغربي في العصر الوسيط وتتحدث المصادر عن مملكة سنغاي من خلال أهم مراكزها الحضارية و الاقتصادية و السياسية .

ومن بين الملوك الأسيقيين شهرة محمد أسقيا الأول المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي كما ذكرنا و الذي اغتصب الحكم عنوة⁽³⁾ وبوصوله السلطة سيواجه أسقيا محمد إشكالا أساسيا سيرافقه طوال فترة حكمه وتمثل هذا الإشكال في كيفية ومشروعية وصوله إلى السلطة فعمل على التقرب من العلماء و الشرفاء (المسلمين) بمنحهم الضياع و الهدايا و مشاورتهم في أمور الدين⁽⁴⁾ .

(1) طور هي إحدى مناطق الفوتا بحوض السنغال

(2) محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، ص 59 .

(3) قد جرت معركة فاصلة بين أنصار محمد أسقيا و أنصار أسرة سني قرب مدينة غاو في مكان يدعى أنكو تمكن أنصار أسقيا من تحقيق النصر و إرغام سني بار على الفرار نحو مدينة آير .

(4) شكراوي ، المرجع السابق ، ص 40. انظر أيضا عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 32.

ولقد تمكن الأسقيا محمد الأول تجسيد الروح الإسلامية على بلاد السودان فأرغم النساء على العزلة في الحرم و أصبح على نساء الطبقة العليا ارتداء الحجاب كذلك أخذ بوجهة النظر العربية بأن وضع الأب و ليس الأم هو الذي يحدد ما إذا كان الطفل يولد حرا أم عبدا ، فكان الطفل الذي يولد لأب حر وأم جارية يعد حرا .

وبينما امتدح المؤرخون العرب منسا موسى سلطان مالي الإسلامية باعتباره داعية الإسلام في غرب بلاد السودان ، و فاضوا في الثناء عليه فإن الأسقيا واتاه الحظ بأن امتدحه المؤرخون الذين عاصروه . وكان عائد تقواه أو عائد إرضاء مطالب العلماء عائدا ضخما نسبت معه تماما جريمة قتله لسني علي و قوبلت أسرته كصاحبة السيادة الشرعية (1) .

كان عهد الأسقيا و خلفاء يمثل المرحلة التي انتشر فيها الإسلام و استقراره في السودان الغربي عصره الذهبي بصفة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة قبلهم ولا بعدهم كما بلغ ازدهار التبادل العلمي و الثقافي و التجاري في هذا العهد بين سكان السودان الغربي و العالم الإسلامي (2) ولقد توالى على كرسي المملكة تسعة ملوك من بينهم الأسقيا موسى 1531/1528 الذي قضى سنوات حكمه في نزاع مستمر مع أفراد عائلة و أنصار أبيه ، و لم ينجز شيئا يستحق الذكر من صاحب المملكة وخلفه أسقيا موسى الذي كان متعطشا للدماء فأول عمل أقدم عليه بعد توليه الحكم هو قتل كل من يحتل ظان ينازعه العرش ولقي كثير من

(1) الوثنية الإسلام ، المرجع السابق ، ص 135 .

(2) أبو بكر إسماعيل ميغا ، الحركة العلمية الثقافة الإسلامية في السودان الغربي من 400 إلى 1100 هـ في عهد الممالك الإسلامية غانة ، مالي ، ص 38 .

من اخوته نهاية مأسوية⁽¹⁾ ، و سبب غلظة قلبه وعدم تقواه ناهضه العلماء
وحكام الأقاليم الذين لم يخفوا رغبتهم في رؤية أسقيا جديد ، ولم يدم حكمه
طويلا فقد ثار اخوته ضده بعد حكم لم يتجاوز الواحد و العشرين شهرا⁽²⁾
ليبايعوا الأسقيا محمد الثاني وهو في مدينة منصور بإقليم جني بعد وفاة الأسقيا
موسى مباشرة . كان محمد الثاني رزينا عاقلا محبا للرحلات وقد نتج عن هذه
الرحلات تعاظم الفخامة في موكب الأساقيا منذ ذلك الوقت أكثر من ذي
قبل⁽³⁾ ، وفي أبريل 1537 بعد حكم دام ستة سنوات و شهر واحدا تمكن ائتلاف
من اخوته إلحاق الهزيمة به و نودي بإسماعيل أحد أبناء الأسقيا محمد ملكا
جديدا⁽⁴⁾ واستمر حكمه ما بين 1537 / 1539 * ، ثم تولى الحكم الأسقيا
إسحاق الأول 1549/1539 الذي أعاد النظام وروح الانضباط إلى الإدارة
فأجرى حركة تطهير واسعة ، وأعدم قادة الجيش والحكام الذين تسبوا في
المؤامرات والاضطرابات التي عرفتها المملكة وبعد إن استعاد إسحاق النظام قام
ما بين 1546 / 1547 بإرسال أخاه داود على رأس حملة عسكرية ضد مالي
لضمن آخر أملاكها لسنغاي ، غير أن هذه الحملة لم تنجح في تحقيق الهدف
المنشود ، وبعد وفات الأسقيا إسحاق خلفه أخوه الأسقيا داود والذي اشتهر
بغزواته العديدة⁽⁵⁾، يعد هذا الملك من أبرز السلاطين من أهل أسقيا و قد اشتهر
بمحنكته السياسية في إدارة الحروب و في عهده أمر محمد الشيخ السعدي بقتل

(1) الوثنية والإسلام ، المرجع السابق ، ص 142 .

(2) نفس المرجع و الصفحة عينها .

(3) زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 42 .

(4) الوثنية والإسلام ، المرجع السابق ، ص 143 .

* لقد حدث ما بين هذين السنتين مجاعة دمرت سنغاي ، انظر تاريخ الفتاش ، ص 85 .

(5) السعدي ، المصدر السابق ، ص 99 .

"مند أكوما" عامل تغازا* . الأمر الذي دفع بالطوارق إلى الخروج منها .⁽¹⁾ وبعد 32 سنة من الحكم توفي الأسقيا داود أوت 1582 م وقد خلف داود الحاج الأسقيا محمد الثالث 1582 / 1586 وقد نجح في غزو مالي و قتل حاكم "وغد" أو "وكد" وعاد برقيق كثير⁽²⁾ و قد أصيب في آخر عهده بمرض فتاك فعزله أخوه "محمد بان" الذي حكم المملكة لسنة و أربعة أشهر 1586/1588 م، وقد عرف عهده الاضطرابات و الفوضى ليخلفه الأسقيا إسحاق الثاني 1588/1591 م على عرش مملكة سنغاي و هي في غاية من الضعف إذ أنهكتها الحروب التي كان الأساقي لا يخوضونها باستمرار سواء على الثائرين داخل البلاد أو على الدول المجاورة ، لقد قضى الأسقيا إسحاق سنة كاملة في محاربة حاكم تومبوكتو* بالاما المسمى "ساليكي تونكارا" ، وما انتهى من ذلك حتى دخل في معركة مع المولى أحمد المنصور الذهبي⁽³⁾ سلطان المغرب الأقصى فقد كانت مملكة سنغاي موضع تفكير حكام مراکش⁽⁴⁾

* حول مدينة تغازا ، أنظر الفصل الثاني من الباب الرابع من هذه الدراسة .

(1) شكراوي ، المرجع السابق ، ص 42 .

(2) تاريخ الفتاش ، المرجع السابق ، ص 119 .

* تقع مدينة تومبوكتو على حافة الصحراء على بعد قليل من نهر النيجر إلى الشمال و يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الثاني عشر الميلادي و تروي الأساطير المحلية أن الطوارق تركوا في إحدى المرات امرأة منهم اسمها بوكو BOCTO لتقوم بحراسة البئر و بعد وقت من الزمن أصبح المكان يدعى توم بوكو TIMBOCTO أي مكان بوكو ثم تحول الاسم إلى تومبوكتو TOMBOUCTOU .

(3) استلم أحمد المنصور عرش المملكة المغربية 1578 . بعدما تمكن من إحراز النصر في موقعة وادي المخازن المشهورة أوت 1578 . ضد البرتغاليين بزعامة سان سيبياستيان وكانت المعركة حاسمة قتل فيها عدد كبير من المغاربة و البرتغاليين و قتل فيها الملك البرتغالي و المتوكل وفي نفس الوقت توفي الأمير عبد الملك نتيجة لمرض أصابه أثناء المعركة و خرج أحمد منتصرا لذا لقب بأحمد المنصور .

(4) لقد كانت بين المغرب الأقصى و بمالك السودان الغربي علاقات سياسية و اقتصادية و ثقافية تعود إلى قيام دولة المرابطين في القرن 11 و كان حكام هذه الدول يتبادلون الهدايا و السفرات و قام العلماء المغاربة بنشر الإسلام

أهم مدن مملكة سنغاي:

لقد استحوذت مملكة سنغاي على أهم مراكز الحضارية و التجارية والاقتصادية و التي تعتبر مراكز الاستقرار السكاني ، أما المناطق الصحراوية فكان يرتادها إلا البدو الرعاة من الطوارق و السودانيين بحثا عن مراعي لأنعامهم يقيمون فيها إلا أيام قليلة تم يرتحلون عنها .

أما عن المراكز و المدن الحضارية التي ازدهرت فيها الحياة الاجتماعية التي عرفت جميع مظاهر حياة الاستقرار من ازدهار علمي و ثقافي و اقتصادي و سياسي هي:

1- غاو :

حاضرت إمبراطورية سنغاي و مقر إقامة سلطانها و هي مدينة قديمة تقع على ضفة نهر النيجر فيمر بها ومنه شرب أهلها وهي تقع جنوب مدينة تادماكت بتسع مراحل⁽¹⁾ ، وقد ذكر محمود عكت أن عدد بيوتها كان حوالي 7626 بيتا⁽²⁾ ، ولقد بلغت درجة كبيرة من الازدهار و الرقي و هي من

بين سكان السودان الغربي وفي عهد المنصور الذهبي قرر غزو مملكة سنغاي لأسباب منها استغلال مناجم الملح الواقعة بمنطقة تغازا و جلب معادن التبر فأعد حملة عسكرية تزعمها المسيحي جودر باشا 1591. انظر الاستقصار ج5،

ص 39. انظر أيضا جوان جوزيف ، المرجع السابق ، ص 85-86.

(1) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 11. انظر أيضا ابن خلدون العبر ج 1 ، ص 93. أيضا جوان جوزيف ، المرجع السابق ، ص 81.

(2) محمود عكت ، المصدر السابق ، ص 146.

أجمل المدن في السودان الغربي و عمرانها أرقى منه في المدن الأخرى ، بها القصور والمساجد ومقبرة الاسيقيين (1) .

2- جني :

تقع مدينة جني أو جنة إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبوكتو (2) وقد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها فبعضهم قال ما بين 494-495 هـ / 1101-1101 م وذهب آخرون إلى أن جني أسست ما بين 435-436 هـ / 1043-1044 والفرق بين التاريخين ليس بالسهل وحسب المصادر أن المدينة كانت قائمة قبل الوقت الذي ذكره المؤرخون السابقون و أن بناءها كان قبل التاريخ بفترة طويلة وقد عثر الباحث علي مخطوط يتحدث عن أول بناء في مدينة جني حيث يورد المخطوط أن الأهالي عندما عزموا على بناء سد لحجز مياه الأمطار فكروا في بناء سور للمدينة قبل الشروع في بناء السد و قد استشاروا في ذلك الكاهنة فأشارت عليهم بدفن فتاة شابة في السور فتطوع حاكم المدينة (جنور) الذي ينسب إلى قبيلة " مرك" (3) بنته غير أن أحد أفراد رعيته وهو من قبيلة بؤس رفض ما تقدم به جنور وتطوع بابنته بحجة أن قدره وقدر قبيلته دون قدر سيده جنور الذي قبل بهذا العرض وتم ذلك وهذا أول بناء في مدينة جني (4) .

(1) عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 108.

(2) الهادي المبروك ، المرجع السابق ، ص 45. أنظر أيضا نعيم قدام ، المرجع السابق ، ص 78.

(3) قبيلة من قبائل مالي تقع في شمال البلاد وهي ذات شأن كبير.

(4) مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 45.

ويذكر السعدي أن مدينة جني مدينة شاسعة ، كان عدد قراها في القرن 10 هـ حوالي 7077 قرية⁽¹⁾ ومدينة جني معاصرة في تاريخها لمدينة تومبوكتو ، ظهر أمرها في القرن الثاني عشر ميلادي وهي مركز تجاري هام .

3- تمبوكتو :

تأسست في أواخر القرن السادس للهجري و تقع على بعد قليل من نهر النيجر إلى الشمال يعود بناء هذه المدينة إلى القرن الثاني عشر في المكان الذي كان يرتاده الطوارق في فصل الجفاف لتوفر المياه العذبة فيه و تروي الأساطير المحلية أن الطوارق تركوا في إحدى المرات امرأة منهم اسمها بوكتو لحراسة البئر وبعد مضي مدة من الزمن أصبح المكان يدعى تيمبوكتو أي مكان بوكتو⁽²⁾. وقد بدأت أهمية هذه المدينة عندما أصبحت محطة نهائية للقوافل القادمة من الشمال أو القادمة من الجنوب عن طريق نهر النيجر ، وبفضل موقعها الاستراتيجي وكثرة الآبار فيها إلى مكان لتلاقي التجار و الإقامة من حوله للراحة أحيانا وعند كثرة لقاءاتهم أصبح المكان سوقا للتبادل التجاري بين الشمال و الجنوب⁽³⁾ ومنذ ذلك الحين تكاثر سكانها وقد وصل بجوالي 25 ألف نسمة⁽⁴⁾ ، وكانت في عهد الأسقيا الحاج محمد الكبير مقسمة إلى أحياء وفي كل حي منها يسكن تجار بلد من البلدان الإسلامية ، فتجار غدامس وتجار توات لهم حي خاص بهم . أما تجار بلدان المغرب فكانوا يتوزعون بين أحياء متفرقة وكانت لغة السكان هي لغة سنغاي ، أما اللغة العربية فكانت لغة

(1) السعدي ، المصدر السابق ، ص 13.

(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 75.

(3) زبادة، مملكة ، المرجع السابق ، ص 100.

(4) سعيد خراش ، المرجع السابق ، ص 48.

التعامل بين الأجانب من العرب و السودانين⁽¹⁾ وقد اشتهرت تومبكتو بمركتها الثقافية الإسلامية .

4- تكروور:

مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة ،قال الفقيه علي الجنحاني المغربي شاهدها وهي مدينة عظيمة لا سور لها ، وأهلها مسلمون و كفار ، و الملك فيها للمسلمين وأهلها عراة رجالهم و نساؤهم ، إلا أشرف المسلمين فإنهم يلبسون قميصا طولها عشرون ذراعا⁽²⁾ ، وقد ذكر صاحب روض المعطار أن مدينة تكروور هي مدينة في بلاد السودان وهي أكبر من مدينة "سلا" وأكثر تجارة وإليها يسافر أهل المغرب بالصوف و النحاس ويخرجون منها بالتبر والرقيق أكثر مواشيهم الجمال و المعز ومن مدينة سلا وتكروور إلى مدينة سجلماسة أربعون يوما وأقرب بلاد إليها بلاد لمتونة الصحراء⁽³⁾ .

(1) إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 324.

(2) القزويني (زكرياء ابن محمد ابن محمود) ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر بيروت 1380 هـ - 1960م ص 18.

(3) الحميري ، محمد ابن عبد المنعم ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ط 1 ، 1975 . ط 2 ، 1980 ، ص 134.

الباب الثاني

الحياة الثقافية و العلمية

بالمغرب الأوسط

فؤاد محمد طوالة

بنو زيان

الفصل الأول

المؤسسات الثقافية والتعليمية

تمهيد

1. المساجد
2. الكنائس
3. الزوايا
4. المدارس

تمهيد

يعد المغرب الأوسط من المناطق التي تغذت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوحات، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي بطابعها، فنمت في أهله التثبيت بالإسلام وتعاليمه السمحاء واحترام العلم والعلماء و تجيلهم.

و قد عرف الملوك من بني عبد الواد في المغرب الأوسط بنصرتهم للعلم وتأييدهم للعلماء، فظهر فيهم المؤرخ و الشاعر والأديب و المتصوف غير أن ذلك كان - أحيانا- ضربا من ضروب المنافسة بين غيرهم من ملوك بن حفص و بن مرين، فقد عمل ملوك بن زيان على تقريب العلماء من مجالسهم كما عملوا على تضخيم سلطاتهم و توسيع أمصارهم، فأصبح ذلك سببا في عموم المعارف على المدن و القرى غير متأثرة بالاضطرابات السياسية والعسكرية.

ووراء تلك العاصفة القوية، وزياح الاضطرابات السياسية، التي كانت تقصف بالبلاد، كان هناك نشاط وازدهار ثقافي و فكري أنتج أوفر و أخصب العهود الفكرية بالمغرب الأوسط منذ تأسيس الدولة الزيانية على يد مؤسسها يغمراسن بن زيان الذي كلن يجالس الصلحاء و يكثر من زيارتهم و له في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا، و يستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهله، ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم و أهله، وفد عليه من الأندلس، خاتمة أهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتاب أبو بكر محمد بن عبد الله ابن داود بن

خطاب⁽¹⁾ فأحسن نزله وفتحناه وقرّبه من بساط العز وأدناه، وجعله صاحب القلم الأعلى⁽²⁾.

و قد سار ملوك بني زيان على درب يغمراسن بن زيان، فقد عملوا على تثبيت الأسس الثقافية و الحضارية والإبقاء على مشعل الثقافة الإسلامية موقدا. فنجدهم يسيرون على السياسة التي كانت سائدة قبل تأسيس الدولة الزيانية، حيث بنجدهم يحبون العلم ويقربون العلماء من مجالسهم و يكرّمون وفادتهم، ويبالغون في الإكرام و العطاء لأهل العلم و تشجيعهم على الإبداع في شتى مجال العلوم.

وكان التنافس حادا بين الزيانيين و المرينيين في تقريب العلماء و الأدباء من مجالسهم، فتعددت المناظرات العلمية، و ازدهرت الفنون في المغربيين الإسلاميين (الأوسط والأقصى)، فأصبح البلاط الزياني و المريني زاخرا بالأدباء والشعراء. فكان الكتاب الخبراء و الشعراء السياسيين للدولة ينطقون بمجدها ويمدحون ملوكها.

فقد وجد الشعراء الأرض خصبة لمواهبهم، فطبيعة المغرب الأوسط غامرة وتلمسان و ضواحيها خاصة فتانة من شأنها أن تؤثر على أحاسيسهم، أضف إلى ذلك تلك الأحداث والاضطرابات السياسية التي ألمت المغرب الأوسط من حصار و غزو و حروب كانت وطئتها على قلوب الناس وما أقوى ما كان تأثيرها في نفوس الشعراء فهذه العوامل كلها شحذت قرائح أهل

⁽¹⁾ هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي الأندلسي من جملة كتّاب الإنشاء ليغمراسن، أنظر

التنسي، ص 127.

(2) نفس المصدر، ص 126، 127.

القريض، فحاءوا بشعر جيد في معظمه نلمس فيه حبا للوطن وافتنانا بطبيعته
الساحرة كشعر بن خميس والمقري حيث أجادا للغاية في وصف تلمسان ومدح
سلطانها أبي حمو موسى الثاني :

- ❖ وانظر إلى زهر الرياض كأنه
- ❖ ذر على لبات ربات الحلبي
- ❖ في دولة فاضت يداها بالندى
- ❖ وقضت لكل من لكل مؤمل
- ❖ سلطانها المولى أبو حمو الرضى
- ❖ ذوا المنصب السامي الرفيع المعتل
- ❖ تاهت تلمسان بدولته على
- ❖ كل البلاد بحسن منظرها الجلي⁽¹⁾

فقد فُحصن الكتاب بالنثر فهضة فنية، اشتمل على كل مظاهر السياسية والعلمية،
والبيئية و الاجتماعية. فحقل الأدب بدولة بني زيان كان خصبا، وسوقه كانت
رائجة، وعندما حل بها المهاجرون الأندلسيون ونزولهم بها زاد الحقل خصوبة
وهذه السوق رواجها فكان منهم الشعراء و الفقهاء والكتاب.

لقد كان الأمراء الزيانيين يمنحون طلبة العلم ما يساعدهم على تحمل أعباء
دراستهم فخصصوا لهم الأرزاق، وانشئوا المكتبات بالمساجد و المدارس وغيرها
من المؤسسات العلمية - كما سيأتي تبيان - و أول من دشّن هذه الحركة كان
مؤسس الدولة الزيانية - كما ذكرنا - الذي أظهر عناية فائقة برجال العلم ورفع
من مكانتهم وشأنهم، وتألفت أنوار الحضارة المغربية أكثر أيام "أبي حمو موسى
الثاني 760-791هـ/1359-1389 الأديب الشاعر تلقا ساطعا وانتظم أمر الدولة
انتظاما بديعا، و أصبحت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط وحاضرة من أعظم

(1) المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس (د.ط) مج 7، دار صادر

حواضر العلم ومركزا من المراكز الإشعاعية في العالم الإسلامي يؤمها العلماء والأدباء والشعراء من كامل الأقطار لاسيما بعد سقوط قرطبة سنة 633هـ / 1236 م واشبيلية سنة 646هـ / 1249 م ثم غرناطة 1492 في قبضة الأسبان ، فما كان على المسلمين الأندلسيين الفارين إلا التروح نحو المغرب الأوسط والاستقرار في حواضره كالجزائر ووهرا ن و تلمسان⁽¹⁾ والتي سكنها عدد وافر منهم والتي كانت على صلة وثيقة بالأندلس من قبل ولاسيما منذ العهد المرابطي و كانوا قد حملوا معهم آدابهم وعلومهم وفنونهم.⁽²⁾

وإذا وقفنا بعض الوقت عند القرون الثلاثة التي عاشتها الدولة الزيانية فلقد شهدت المرحلة الأولى والتي تمتد إلى أواخر القرن الثالث عشر (القرن السابع الهجري) بداية ظهور تلمسان كإحدى عواصم المغرب الإسلامي الأربع (غرناطة ، فاس ، تونس) .

والأمر الذي من شأنه أن يضاعف عوامل الرقي والازدهار والنمو في المدينة ويمكنها من توفير مزيد من وسائل النمو الثقافي والعلمي من تشييد للمؤسسات التعليمية من مدارس و معاهد و جلب أبرز العلماء و الأدباء شهرة ، فكانت تلمسان تعد فخر السلطة المركزية في المغرب الأوسط و فيها بلاط ملوك الدولة الزيانية و قد تميزت هذه المرحلة بالاعتناء بالعلوم الدينية وخاصة علم الحديث والفقه والعلوم الإنسانية من لغة و نحو و صرف و يمكن اعتبار هذه المرحلة بداية

(1) حنفي هلايلي ، المرسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16-17 رسالة ماجستير في

التاريخ الحديث و المعاصر ، تحت إشراف عبد الحميد حاجيات ، جامعة وهران ، 2000/1999 ص 119 ، 120 .

(2) كان علماء الأندلس قد قصدوا تلمسان و المغرب الأقصى ثم تونس و بدخولهم أصبحت هذه الأقاليم وارثة للعلوم الأندلسية ، انظر أبا الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت 891 هـ) تحقيق محمد أبو الأحنان تونس 1978 ص 26 .

عهد الازدهار العلمي و الثقافي بتلمسان رغم ما عرفته من تدخلات أجنبية متمثلة في التدخلات الحفصية و الحصار المريني، أما المرحلة الثانية فهي تلك التي عرفها القرن الرابع عشر الذي عرف تقدما سريعا في سائر العلوم و المجالات الحضارية بتلمسان، وذلك بفضل الملوك الزيانيين الذين ضاعفوا الجهود لتوفير مختلف شروط النمو وأصبحوا يولون عناية خاصة للنشاط الثقافي و الفني والإنجازات العمرانية و هي فترة لها أهمية قصوى، إذ أنها فترة تعتبر من أخصب الفترات في تاريخ المغرب الإسلامي من حيث الإنتاج الفكري ساهمت فيها تلمسان بقسط وافر .

أما القرن الخامس عشر فقد عرف تدفق أمواج المهاجرين على سواحل المغرب الإسلامي ينشدون في حواضره الحماية و الطمأنينة و كان أفراد المهاجرين يختلفون ثقافة و جاها، ففيهم الفقير و فيهم الغني و كان من بينهم عدد وافر من المثقفين و الكتّاب البارعين و أصحاب القلم، و أصحاب الصنائع⁽¹⁾ و كأن كارثة حلت بهم كانت خيرا و بركة و فائدة على المغاربة فمصائب قوم عند قوم فوائد⁽²⁾.

لقد كان التأثير الأندلسي الثقافي بليغا و عميقا⁽³⁾ لانطلاقة من قاعدة التعليم الابتدائي إلى غاية التعليم العالي، الذي انتشر خاصة بالمساجد، و المدارس

بـ

(1) أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، ش، و، ن، ت الجزائر 1981 ص 35.

(2) بدأت الهجرة الأولى للأندلسيين منذ عصر الموحدين إثر سقوط مدينة طيطة 479 هـ - 1085 م، انظر عبد المجيد قدور الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي و نتائجها الاجتماعية و الحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية عدد 20، باتنة ديسمبر 2003، ص 171-180.

(3) محمد طالي "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين مجلة الأصالة إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية العدد 26-1975 ص 66.

والزوايا و دور العلماء و مجالس المناظرة، حيث نقلوا إليه طريقتهم الخاصة بهم في هذا المجال و التي تتمثل في تعليم الأطفال القرآن الكريم و الحديث و القواعد الأساسية لمختلف العلوم كما برزوا في تعليم روايات القرآن و أنواع قراءاته⁽¹⁾.
 ومن الأسر الأندلسية التي أنجبت عددا من العلماء الذين ساهموا بقسط وافر في دفع الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب الأوسط خاصة في مجال العلوم الدينية أسرة العقباني التي برز فيها العالم العلامة الكبير، سعيد العقباني (ت 811هـ 1408م) وقاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ 1450م):

ومن ابرز ما تميز به القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي في المغرب الأوسط ظهور عقيدة المرابط و انتشار الزوايا و افتتاح عهد التصوف الذي شمل جميع طبقات مجتمعة ، و يعود ظهور هذه الحركة (التصوف) إلى الفترة التي سبقت قيام الدولة الزيانية، وخاصة في عهد الموحدين التي ظهر فيها أكبر المتصوفة سواء في الأندلس أو المغرب و كان من بينهم العالم الصوفي أبي مدين شعيب^(*) دفين العباد خارج تلمسان إضافة إلى مولاي عبد السلام بن مشيش

(1) محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص 109.

(*) أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت 594 هـ) هو الشيخ الفقيه المحقق، الواصل، القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره إمام العباد و الزهاد و خاصة الخلاء من فضلاء العباد سيدي أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي من ناحية إشبيلية (الأندلس) و من حصين يقال له منتوجب انظر الغبرني (أبو العباس أحمد بن أحمد)، عنوان الدراية فيمن عزف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، و تحقيق رابح بونار، شون و الجزائر 1981 ص 55-56. و يقول المقرئ عن الشيخ أبي مدين شعيب: أن أبا مدين كان من أفراد الرجال و صدرا من صدور الأولياء الأبواب، جمع الله له علم الشريعة و الحقيقة و إقامة ركن الوجود هاديا و داعيا للحق فقصد بالزيارة من جميع الأقطار و اشتهر بشيخ المشايخ

انظر المقرئ نفع الطيب ج 9 ، ص 342 ، انظر ابن مريم (عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد) البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الجزائر 1986 ص 108-114.

وكذا تلميذه أبو الحسن علي الشاذلي ؛ وهذه الظاهرة ستزداد انتشارا في القرون اللاحقة . و لقد ظهر التصوف بالشرق الإسلامي أولا ثم انتقل إلى بلاد المغرب ولاسيما مذهب أبي حامد الغزالي الذي كان له في الموحدين أنصار ودعاة، ولكن المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وابتداع الحضرة و الأوراد و غيرها والالتفاف حول زاوية ذلك الشيخ أو ضريحه كل هذه أمور تكاد تكون وليدة القرن الخامس عشر و ما بعده (1) .

لقد انتشرت المراكز الثقافية عبر حواضر وقرى المغرب الأوسط عكس ما كان يعرف آنذاك عند المغرب الأقصى الذي اشتهر بمدينة فاس عاصمة المرينيين ومراكش عاصمة الموحدين كقطبيين ثقافيين و عن إفريقية التي عرفت عبر الفترات التاريخية بتمركز الثقافة بالقيروان في حين نرى المغرب الأوسط يتلأأ فيه جواهر ثقافية ثمينة ، فأصبحت المدن تمثل أوعية الفكر والثقافة والشرابين التي تسرى عبرها لتمد المغرب الأوسط الحياة، فظهرت مراكز عديدة ومؤسسات ثقافية و علمية هامة تهتم بالإطار الذي يقع فيه الطالب (2) فأصبحت كل مدينة من المدن المغرب الأوسط تحتوي على عدد من المساجد والمدارس والمؤسسات العامة و من هذه المدن نذكر مازونة ووهران و الجزائر وتلمسان التي كانت تختل الصدارة في النشاط الثقافي والفكري، بالرغم من أنها عاصمة المغرب الأوسط السياسية والاقتصادية إلا أن كثرة المدارس والمساجد بها أهلتها لتكون عاصمة ثقافية للمغرب الأوسط، فغدت مقصدا للكثير من العلماء المغاربة والأندلسيين الذين نزلوا بها رغبة منهم في النفع والانتفاع من أهل المعرفة والعلم.

(1) سعد الله، المرجع السابق، ص 37.

(2) المرجع نفسه ، ص 33.

1- المساجد:

كان المسجد أكبر معهد للدراسة فلم يكن للعبادة فقط بل كان يؤدي أعمالا مختلفة فكان محكمة التقاضي، وكان يقوم مقام المدارس والمعاهد العليا و قد أصبح المسجد مركزا إشعاعيا يشرف على الدراسات العلمية والفكرية .

و غدت المساجد ملتقى عاما للناس و من ثم صارت مركزا للعلماء ومقصدا لطلبة العلم، حتى نشأت في أركانها حلقات التعليم للثقيف في سائر العلوم خاصة العلوم الدينية و تدريب الطلبة على القراءة و الكتابة و لقد بقيت حلقات العلم متصلة ببيوت العبادة و من بين المساجد التي أدت هذه الأدوار الجسيمة في العالم الإسلامي الأزهر الشريف بمصر و القيروان والزيتونة بإفريقية والقرويين⁽¹⁾ بفاس وسارت المساجد بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان على درب المساجد المذكورة .

كانت المساجد بالمغرب الأوسط تعني بحفظ القرآن والحديث كمادة أولى أساسية ثم تدريس النحو والفقه و اللغة والأدب ، وكانت هناك مساجد أخرى تعرف بالمساجد الجامعة فإنها تشبه المعاهد العليا التي تدرّس بها العلوم

(1) أسس جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى سنة 245 هـ - 859 م و قد بنته المرأة الفاضلة فاطمة الفهرية لتقام فيه الصلوات و تلقى الخطب و المواعظ و الدروس و أصبح في القرن الرابع الهجري مقصدا لطلبة العلم يتوافدون عليه من المشرق و المغرب و الأندلس أنظر محمد خرباش ، نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث ، مجلة الحضارة الإسلامية عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي ، وهران 1993 ، ص119.

الإسلامية⁽¹⁾ كالفقه وأصوله، والحديث و القرآن و تفسيره، و اللغة و النحو والأدب و من بين هذه المساجد الجامعة⁽²⁾:

* مسجد الحظي:

لقد تم بناءه على يد إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى حين ضم تلمسان لدولته سنة 173 هـ/789 م وقد بناه بإتقان و وضع فيه منبرا و كتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽³⁾، كما قام بعده ابنه إدريس الثاني بإعادة ترميمه و توسيعه و أمر بصنع منبر آخر جاء فيه " هذا مما أمر به الإمام إدريس ابن إدريس ابن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين في شهر محرم 199 هـ/814 م⁽⁴⁾ كما حظي هذا المسجد بعناية الأمير يحيى بن يغمرا سن الذي قام ببناء مقبضته⁽⁵⁾ * و لقد ستؤذن في كتابة اسمه بها فقال بالزناتية " يست ربي " أي عرفه الله⁽⁶⁾.

(1) محمد منير موسى، التربية الإسلامية أصولها و تطورها في البلاد العربية، القاهرة 1983، ص 221.

(2) للاطلاع على المساجد الجزائرية من الناحية المعمارية انظر بوروية رشيد الكتابات الثرية في المساجد الجزائرية

(3) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 68.

(4) المصدر نفسه، ص 69. انظر أيضا رشيد بوروية، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة العدد 26،

1975، ص 171، 172.

(5) بغية الرواد، المصدر السابق، ص 207، انظر أيضا صالح بن قربة المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى

ش و للكتاب الجزائر 1986، ص 85، انظر أيضا عطاء الله دهينة و آخرون الجزائر في التاريخ، ص 362.

* انظر الملحق رقم-04.

(6) بغية الرواد، المصدر السابق، ص 207. قال التناسي و سئل أن يأمر بكتب اسمه فيها فأبي و قال " علم

ذلك عند ربي " انظر التناسي، المصدر السابق، ص 125.

* المسجد الجامع (المسجد الأعظم)

يعد هذا المسجد من أبرز المساجد المغربية التي بقيت تصارع الزمن وقد تم بناءه في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي 530هـ/1136م⁽¹⁾ وقد زينه بالزخارف الرائعة التي يزدان بهما وجه المحراب وجداره والبلاطة الوسطى⁽²⁾، وانفرد هذا المسجد بهذه المسحة المعمارية الأندلسية لان الذين أشرفوا على بنائه يكون علي بن يوسف قد جاء بهم من بلاد الأندلس⁽³⁾ فقد امتاز هذا المسجد بدعائمه وسواريه وأقواسه ومحرابه وقبته ومئذنته . وللمسجد دعائم مستطيلة أو ذات زاويتين قائمتين أو صليبية الشكل وسواري تعلوها تيجان ذات صفيين من أوزاق الاكتس تشبه تيجان مسجد قرطبة بالأندلس. وعلى الدعائم و السواري تتركز أقواس مختلفة الشكل: أقواس مكسورة وأقواس مفصصة تشابه أقواس جامع قرطبة غير أن أقواس هذا المسجد الأخير تحتوي كلها على خمسة فصوص بينما تميز الجامع الكبير بتلمسان بالأقواس ذات الخمسة فصوص أو سبعة فصوص أو تسعة فصوص أو أحد عشر فصا⁽⁴⁾. أما المحراب فله مشكاة سداسية الأضلاع، وقبتان تنصب إحداهما أمام المحراب، وهي التي أنشأت في العهد المرابطي والأخرى في البلاطة الرابعة للاسكوب الرئيسي.

(1) رشيد بورويبة جولة عبر مساجد تلمسان ص 172.

(2) عبد لي لخضر، المرجع السابق ، ص 165.

(3) Marçais (G) et william : les monuments arabes de Tlemcen , Paris 1905 P 162.

Marçais (G) ; Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui : bulletin de société des amis du vieux de Tlemcen Alger 1952 , p 20 .

(4) بورويبة جولة ، المرجع السابق ، ص 173.

وقد شيدت في العهد الزياني⁽¹⁾ وسقفه مصنوع من الخشب ، مزين بحاملات على شكل جسم متوازي السطوح مؤثث يغصون ملتوية و أوراق و ثمر الصنوبر⁽²⁾.

لقد أدى هذا المسجد الأعظم رسالة مقدسة إذ أضحى جامعة على النمط القديم كجامع الزيتونة بتونس و جامع القرويين بالمغرب و أصبح معهدا للتدريس ، خاصة بعد الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب الإسلامي ، وقبلة للعلماء وطلاب العلم الذين توافدوا عليه للأخذ من علماءه و شيوخه وظل دوره الديني و التعليمي وإشعاعه الثقافي قائما طوال العهد الزياني وصارت بلاد المغرب الأوسط كافة وتلمسان خاصة حاضرة من حواضر الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي ونبغ فيها عدد كبير من العلماء في الأدب و الشعر والنحو والصرف و علم الحديث.

*مسجد سطي أبي الحسن:

بني هذا المسجد من قبل السلطان الزياني " أبي سعيد عثمان بن يغمراسن 696هـ / 1296م⁽³⁾ وقد حمل هذا المسجد اسم الفقيه أبي الحسن التنسي الذي كان يلقي دروسا به وكان هذا الفقيه معاصرا للسلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الذي شيده ونسبه إليه إكراما له لأنه كان من أفضل علماء عهده

(1) بوشقيف (محمد): العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي (9 هـ - 15 م) رسالة ماجستير إشراف عبد الحميد حاجيات وهران 2004/2003 ص 45. أنظر أيضا رشيد بورويبة حوثة ص 174.

(2) بورويبة حوثة ص 174.

(3) محمود بوعبيد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982 ، ص 81.

وأتقاهم و أورعهم⁽¹⁾ و تاريخ بنائه تدل عليه كتابتان أحدهما مرسومة على
يمين و على يسار المحراب والأخرى تجري على لوحة من الرخام مرصعة في
الجدار الغربي فجاء في هاتين الكتابيتين:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و على آله وسلم
تسليما بنى هذا المسجد الأمير أبو عامر إبراهيم ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن
بن زيان في سنة ست و تسعين و ستمائة بعد وفاته رحمه الله⁽²⁾.

إن مسجد سيدي أبي الحسن صغير جدا بالنسبة إلى المسجد الجامع و لا يحتوي
إلا على بيت صلاة طوله 20 م و عرضه 9 م و 70 ذي ثلاثة أساكيب عمودية
لجدار المحراب و ثلاث بلاطات متوازية لجدار المحراب كما يتميز هذا المسجد
بسواريه و تيجانه و محرابه و سقفه و مئذنته و يعد محراب هذا المسجد أجمل
محراب في العالم الإسلامي كله فلهذا المحراب مشكاة سداسية الأضلاع مكللة
بقيبة مزينة بالمقرنصات تنافس في الأناقة قبيبة بمسجد الكتيبية بمراكش و يحيط
طنف مؤنثة بآيات قرآنية مكتوبة بالخط اللين بهذه القبيبة و نرى تحت الطنف
لوحة مستطيلة مزخرفة بأقواس مفصصة ترتكز على سواري من الجص موضوعة
على طنف خماسي الأضلاع مزين بآيات قرآنية⁽³⁾ و لقد أجمع الأثريون على أن
مسجد أبي الحسن* يعد من أبداع المنشآت الزبانية⁽⁴⁾.

(1) بلغة المؤسسات - المرجع السابق - ص 213.

(2) بوزونة - مجلة - المرجع السابق - ص 124.

(3) نفس المرجع السابق - ص 171.

(4) نظر المحور رقم - 05-06-07.

Merçais et william op. cit. p 173.

* مسجد أبيي الإمام:

أسس هذا المسجد حوالي أربعة عشر عام من بناء مسجد أبي الحسن التنسي من قبل الأمير أبي حمو الأول 707-718هـ/1307-1318م وهو يقع بوسط مدينة تلمسان ، و يمتاز بناؤه بالبساطة وخلوه من الزخرفة الأبهة التي تميزت بها مساجد أمراء بني زيان⁽¹⁾ وكان هذا المسجد تابعا للمدرسة القديمة حيث كان ولدي إمام من مدينة برشيك قرب تنس كانا يلقيان دروسهما وهما العالمان الجليلان الأخوين " أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى⁽²⁾، لذا جاءت تسمية المسجد نسبة إليهما. فقد هذا المسجد معظم زينته الزيانية ولم تبق فيه سوى القبة التي تعلو المحراب و المزينة بالمقرنصات التي تكفل مشكاة المحراب ومئذنتها الجميلة وقاعدتها على شكل مضلع سداسي .

* مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

لقد شيد هذا المسجد في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى جانب قبة وزاوية و مدرسة وكانت هذه المجموعة من المباني تحمل اسم المدرسة اليعقوبية وسميت بهذا الاسم تكريما و تخليدا لوالده أبي يعقوب واندثرت المدرسة و الزاوية و بقي المسجد⁽³⁾ و يتضح تأثر هذا المسجد، في بنائه بالعمارة الدينية المرابطية و الموحدية، بحيث أن أبوابه تشبه إلى حد كبير تلك التي بمسجد تينملل بالمغرب الأقصى. أما مئذنته مربعة القاعدة مزينة بالأخاديد موضوعة أمام المحراب تشابه قبة حمام الصباغين بتلمسان التي يرجع عهدها إلى العهد المرابطي غير أن

(1) marçais (G) : l'architecture musulmane d'occident Tunisie Algérie, Maroc
métiers graphique paris 1954 PP 115-116. Espagne et Sicile , arts et

(2) بن مريم البستان 123، 127.

(3) بوروية ، جولة، المرجع السابق، ص 176. انظر أيضا : أبو حمو موسى الزياتي المرجع السابق ص 182-183.

عدد الأعمدة أصبح 24 في مسجد سيدي إبراهيم بينما كان 16 أعمدة في حمام الصباغين.

* مسجد سيدي أبي مدين شعيب

يعد هذا المسجد من أهم المساجد المرينية التي شيدت بالمغرب الأوسط حيث شيده بأمر من السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 1339/739م حيث استولى علي تلمسان⁽¹⁾ و بني هذا المسجد بقربة العباد و أعطاه اسم ضريح الولي المصالح أبي مدين شعيب بن الحسين أحد متصرفي المغرب الإسلامي و المتوفى سنة 594هـ و الدليل على أن هذا المسجد بني من قبل " أبي الحسن المريني " يتضح ذلك من الكتابة المدونة على اللوحة التي لا تزال ماثلة إلى يومنا هذا والتي دون عليها: "الحمد لله وحده، أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي ابن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان، ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب عبد الحق أيده الله ونصره، عام تسعة و ثلاثين و سعمائة نفعهم الله به " (2).

و قد وصف ابن مزروق الخطيب هذا المسجد أنه اشتمل على الوضع الغريب وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات بحجارة على جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع، قد رقمت على نحو يرقم عليه أشكال التجارة، فلا يختلج في النفس شك و لا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة و هي كلها مبنية بالأجر و الفضة. واشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من المصنل و العاج والأبنوس المذهب. و أما الباب الجوفي الذي يفتح على المدرج

(1) التسي : نظم الدر و العقيان . ص 145-146.

(2) بوروية حولة ، المرجع السابق ، ص 178.

الذي يتزل فيه إلى قبو الشيخ...و إلى الشارع و هو باب النحاس المشتمل على مصرعين كل مصرع منها مصفح بالنحاس المخرم المنقوش بالخواتيم المستوفاة المشتركة العمل و تخريمه على أشكال من نحاس ملونة،فهو من غريب ما يتحدث به السفار⁽¹⁾.

وقد تميز هذا المسجد بدقة بنائه،وروعة زخارفه خاصة في محرابه ولا يزال هذا المسجد بهجة للناظرين وآيه من الفن المغربي الأندلسي بما في ذلك الصحن والمحراب و المئذنة⁽²⁾ *.

و لقد أقيمت بالجنوب الغربي من هذا المسجد مدرسة والمعروفة اليوم بمدرسته سيدي أبي مدين شعيب وذلك في مواجهة بيت صلاة الجامع، الذي بني إلى الشرق منه حماما و ميضأة ملحقين به⁽³⁾ ولقد كان لهذا المسجد و المدرسة عدة وظائف منها الوظيفة الدينية والإصلاحية و التعليمية طوال الفترة الزيانية كما سيأتي تبينه في ما بعد.

* مسجد سيدي الحلوي :

تم بناء هذا المسجد بأمر من السلطان أبي عنان فارس المريني سنة 754هـ - 1353م حيث استولى على المغرب الأوسط و تم بناء المسجد بجانب ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي المتوفى في أوائل القرن

(1) حاجيات عبد الحميد أبو حمو موسى ، المرجع السابق ، ص 64.

(2) نفس المرجع السابق ، ص 65.

* انظر الملحق رقم -08-

(3) عبد العزيز لعرج : المياني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية وفنية رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية ، الجزء الأول تحت إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر معهد الآثار 1999 ص 235.

السابع الهجري /و الذي هاجر من الأندلس واستقر بتلمسان سنة 655 هـ - 1266 م في عهد السلطان يغمرا سن بن زيان.

إن مسجد سيدي الحلوى يشابه كثيرا مسجد سيدي أبي مدين فله مثله بيت صلاة مكونة من خمسة أساكيب عمودية لجدار المحراب و صحن مربع ومئذنته موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية للصحن ولكنه يختلف عن مسجد العباد من بعض الجوانب (1).

وقد وصفه ابن الحاج النمري كاتب السلطان أبي عنان فارس "وكم أبقى (يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان و مصانع يعجز عن وصفها كل لسان، ولا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه وهو من أجمل الجوامع قد أحكمت فيه أنواع الصنائع و أبدى الاحتفال به ما شاء من البدائع...." (1).

و هناك مساجد أخرى أدت نفس الأدوار التي كانت تؤديها مساجد عاصمة الزيانيين تلمسان كمسجد وهران و مستغانم و المدية و مسجد مدينة الجزائر و ندرومة التي يعود بناء مسجدها إلى العهد المرابطي و بالضبط من قبل الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي في أواسط القرن الحادي عشر و يعد مسجد ندرومة الذي يتميز ببساطته من بين المساجد التي كانت تجمع بين العلم والعبادة

(1) بروفية - جولة ص 181

* انظر الملاحق رقم - 09 -

(1) عبد العزيز لعرج ، المرجع السابق، ص 237.

و التي ساهمت في الإشعاع الثقافي والحضاري ببلاد المغرب الأوسط خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة.

2- الكنائس:

كانت تعنى بها هو من قبيل التعليم الابتدائي و كان التعليم فيها يقوم على حفظ القرآن و رواية الشعر و التدرب على القراءة و الكتابة . مع تعلم أولويات الحساب و كانت تنتشر الكنائس في المدن و القرى و كانت عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها ~~بعض الشيء~~ وقد خصصت لتعليم الأطفال.

كانت الكنائس أو المدارس الابتدائية مؤسسات تعليمية خاصة يقوم بإنشائها خواص في الغالب لبساطتها أو استئجار بيوت مكانا للتعليم⁽¹⁾ أو تبنى من قبل جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين⁽²⁾، و إذا استأجر المعلم المحل لتعليم الصبيان معلومين فعلى أولياء التلاميذ أداء كراء المحل⁽³⁾.

وكان موضع التعليم عبارة عن مغرفة بسيطة أتاها الحصير المصنوع من السما أو الحلفاء كما كان لكل تلميذ لوح من خشب مصقول و دواة للحبر ، و قلم من قصب جاف و إناء يححون فيه ألواحهم ، و هو ما يسمى بالحو

(1) بوشامة عشور ، المرجع السابق ، ص 422 .

(2) الونشريسي (أحمد ابن يحيى) المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية

و الأندلس و المغرب ، إعداد محمد حجي و محمد العرايشي ، أحمد شرقاوي إقبال ، الجزء الثامن دار الغرب

بيروت 1981 ص 156 .

(3) ابن سحنون (محمد) كتاب آداب المعلمين تحقيق محمود عبد المولى الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

الجزائر 1981 ص 95 .

يصبون فيه الماء الطاهر ثم يجفرون له حفرة في الأرض يصبون ذلك الماء فيجف (1).

و في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي) أصبحت هذه المؤسسات التعليمية من كتاب و مدارس ابتدائية أكثر تجهيزا حيث ذكر الوزان : "... في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كقاعدة للأطفال" (2).

وكان للمعلم شروط يجب توفرها فيه ليكون أهلا لمباشرة تلك المهنة وقد أورد ابن أبي جمعة في كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان حيث قال: "المعلم الذي لا يعرف الإظهار و الإدغام و الإهمال والأعجام والتفخيم والترقيق و أحكام القرآن لا تجوز له الحدقة" (3).

وكانت هذه الكتاتيب أو المدارس الابتدائية تنتشر في كل أنحاء بلاد المغرب الإسلامي بخلاف المدارس و الجوامع الكبيرة (المعاهد العليا) التي كانت تتوفر في المدن الكبرى فقط وعلى هذا فما من شك في أن عددها كان كبيرا في كامل أقطار بلاد المغرب والأندلس وهكذا يتضح لنا أن مؤسسة التعليم الابتدائي أو الكتاتيب كانت عبارة عن مؤسسة صغيرة تعتمد عن أولياء التلاميذ .

3- الزوايا:

إلى جانب المساجد و الكتاتيب انتشرت الزوايا في العديد من نواحي المغرب الأوسط و هي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن والتعليم

(1) عبدلي لخضر الحياة الثقافية ، المرجع السابق ، ص 160 .

(2) الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 261 .

(3) عبدلي لخضر ، المرجع السابق، ص 160.

ولإقامة الطلبة وعابري السبيل كما كانت تضم مسجدا لإقامة الصلاة، و إلى جانب أهدافها التعليمية كانت تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل القرية أو البلدة. وكان ينشئها أهل الخير أو رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة⁽¹⁾ أو يشترك جماعة في إنشائها و يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها وكانت إدارتها ورعايتها توكل إلى قائم عليها يعرف بالناظر و جماعة من المساعدين، فكان الناظر هو الذي يصرف أمورها و يجتمع باتباع زاويته (الإخوان) ليلقنهم أسرار الطريقة و يقرأ معهم الأوراد الخاصة بطريقته بالإضافة إلى النشاط التعليمي الذي كان ينحصر في الوعظ و الإرشاد للكبار لبث الروح الدينية في النفوس و التربية و التعليم للشباب⁽²⁾.

ولقد اشتهر المغرب الأوسط بزواياه، و لا سيما عاصمة الزيانين التي اشتهرت بزواياها و أضرحتها ومشاهدها و منها زاوية سيدي أبي مدين بالعباد والتي كانت تهتم بالتعليم و استقبال المسافرين و كانت لها حبوس عديدة من بساتين و ضياع و زاوية سيدي السنوسي، زاوية سيدي الحلوى و زاوية أحمد الغماري و زاوية عين الحوت⁽³⁾. و كانت الجزائر تعج بالزوايا والأضرحة و القباب المقامة على الأولياء الصالحين منها زاوية و ضريح عبد الرحمن الثعالبي و زاوية ولي دادة و زاوية عبد القادر الجيلاني⁽⁴⁾.

(1) بوشامة، المرجع السابق، ص 425

(2) فرج محمد فرج، الدور الحضاري لإقليم التواتي في أفريقيا السوداء، ملتقى الدراسات الإسلامية و العربية في القارة الإفريقية أدرار، ص 02.

(3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، المرجع السابق، ص 264.

(4) سعد الله، المرجع نفسه، ص 263.

واشتهرت وهران بزائويتين زاوية سيدي الهواري و زاوية الولي الصالح سيدي إبراهيم التازي نزيل و وهران⁽¹⁾.

لقد كان بناء الزاوية يختلف إلى حد كبير عن بناء المسجد والمدرسة فالزوايا غالبا ما كانت تجمع ما بين هندسة المسجد والمترل فهي قصيرة الأجر منخفضة القباب والعرضات و قليلة النوافذ⁽²⁾ فكان لهذه الزوايا دور إيجابي لاسيما في نشر التعليم بجميع مستوياته و خدمة الدين و المجتمع .

4- المدارس:

فلقد أدت هذه المدارس أدوارا كبيرة في بعث الثقافة والفكر الإسلاميين وزادت في نمو وازدهار الحركة التعليمية بالمغرب الأوسط. وقبل خوض في التحدث عن المدارس الزاوية الخمس كان لزاما علينا أن نتكلم عن المدرسة مصطلحا ووظيفة.

* المدرسة: مصطلحا ووظيفة

يذهب المقريري من حيث تعريف المدرسة نقلا عن ابن سيدة وابن جني أنها مشتقة من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درسا و دراسة ، إذا كرره للتمكن منه، و دارست و درست، و المدرس : و هذا الموضع الذي يدرس فيه.⁽³⁾ والمدرسة منشأة من مستحدثات الإسلام فلم تكن معروفة قبله كما لم تكن معروفة في الفترة الإسلامية المبكرة، و ترجع المصادر ظهورها إلى الربع الثالث من

(1) ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص 238

(2) سعد الله، المرجع السابق، ص 269.

(3) المقريري، الخطط، ج 3 ص 313-314.

القرن الرابع الهجري و أول ما حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بهما المدرسة البيهقية⁽¹⁾ وهي نسبة لصاحبها أبي بكر البيهقي الذي توفي سنة 454هـ/1062م وكان أحد فقهاء الإسلام المعدودين.

* وظيفة المدرسة

ظهرت المدرسة كمؤسسة تعليمية لتدريس العلوم الإسلامية ودراسة علم الشريعة بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى المساعدة كالفلسفة والأدب والتاريخ و تعد المدرسة نتاج ثلاث مراحل تطويرية للمؤسسة التعليمية في الإسلام:

الأولى: كانت فيها عملية التعليم تتم داخل المسجد أو الجامع الذي يتخذ بدوره بيتا للصلاة.

الثانية: مؤسسة تجمع بين المسجد والخان الذي يستخدم لإيواء الطلبة الأجانب عن المدينة كما كان يعرف عند المصريين بمسجد الأزهر إذ كان يجوي على أروقة للمغاربة والأتراك، والأفارقة.

(1) نفسه ص 314. انظر أيضا

الثالثة: وهي المدرسة بصريح العبارة بأسسها ونظامها وهي تستجيب لوظيفة المسجد والخان والرواق وهي قائمة على وقف واحد يجد فيها الطلبة مأوى لهم⁽¹⁾.

اتخذت المدرسة وظيفتها الرئيسية من كونها أعدت لتضم بيوتا لسكنى طبقة متميزة من الفقهاء والطلاب، وأنه لا مجال للأخذ بالفكرة القائلة من أن إنشاء المدارس كان مناهضة الشيعة و نشر السنة وإعداد أئمة مختصين بالوعظ فيها وهي الأفكار المتداولة بين المستشرقين و الباحثين الغربيين، ذلك أن المساجد والجوامع كانت كفيلة بتحقيق ذلك الغرض، وأن المذاهب السنية الأربعة كانت تدرس فعلا في المساجد والصراع الذي كان قائما بين مذهب الشيعي في إيران والفاطمي القادم إلى بغداد قادما من المغرب عن طريق مصر والشام كان السبب المباشر لظهور المدرسة حيث ، شيدت مدارس كثيرة في العراق وبلاد فارس من قبل السلاجقة المتعصبين للسنة.⁽²⁾

* المدارس الزيدانية:

ظهرت المدرسة كمؤسسة نظامية (ذات نظام تعليمي وإداري ومالي) مع مطلع القرن الخامس الهجري بالشرق الإسلامي و منه امتدت إلى مختلف أنحاء العالم على فترات متفاوتة في الوقت الذي كان يعرف فيه المغرب الإسلامي نشاطا تربويا و تعليميا بالكتاتيب و المؤسسات التعليمية الصغيرة و ظل هذا الوضع قائما إلى منتصف القرن السابع الذي ظهرت فيه أول مدرسة أسست من قبل السلطان الحفصي أبي زكرياء (625-647هـ) بإفريقية وعرفت بمدرسة

(1) عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 300.

(2) نفس المرجع ص 301.

الشماعين أو المدرسة الشماعية وكانت تسمى كذلك بأسماء المدارس ويعود تاريخ بنائها إلى فترة الواقعة ما بين 633هـ/647هـ (1235-1249)⁽¹⁾ وقد عرفت الدولة المرينية نظام المدارس النظامية وأول مدرسة تم بنائها كانت مدرسة الصفارين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني 675هـ⁽²⁾.

أما في المغرب الأوسط فقد عرفت تلمسان الزيانية عددا لا بأس به من المدارس وصل عددها إلى خمس حسب الوزان "...و توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة ، لها أئمة و خطباء، وخمس مدارس حسنة ، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء و غيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان و بعضها ملوك فاس....⁽³⁾ بالإضافة إلى هذه المدارس فكانت توجد مدارس أخرى عبر أرجاء المغرب الأوسط فمثلا كان بوهران مدارس و مؤسسات تعليماته حسب الوزان حيث قال "وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة

(1) لقد توالى بعد ذلك بناء المدارس في إفريقية لتدريس العلوم الدينية و النفعية منذ النصف الثاني، من القرن 7هـ/ 13م و تواصل تشيدها طوال القرن 8هـ/14م و شارك في هذه الحركة المعمارية خلفاء أبي زكرياء وأمراء البيت الحفصي و أميراته و رجال الدولة و الوزراء، حتى فاق عدد تلك المدارس في نهاية القرن 8هـ عشر مدارس. و من بين أهم المدارس التي بنيت في هذه الفترة المدرسة التوفيقية المعروفة باسم مدرسة الهواء والتي أنشئت سنة 650هـ/ 1252م من قبل الأميرة الحفصية عطف أم المستنصر و زوجة أبي زكرياء.

(2) لقد شيدت هذه المدرسة قرب سوق صناعة النحاس، وذلك لطلبة العلم، وزودت بخزانة كتب، وقد شيدت عدة مدارس في القرن الثامن الهجري خاصة في عهد كل من أبي كل من أبي سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب 732/710هـ-1331-1331م، و السلطان أبي الحسن علي بن عثمان 732-749هـ-1331-1348م و السلطان أبي عنان فارس المتوكل 749-759هـ/1348-1357م. و أهم هذه المدارس مدرسة دار المخزن ومدرسة الصهريج ومدرسة السبعين و التي خصصت للقراءات السبع. و مدرسة تازا ومدرسة العطارين انظر عبد العزيز لعرج المرجع السابق، ص 313-314.

(3) الوزان، و وصف إفريقيا، ص 19.

الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط.... وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد و مدارس....." (1)

رغم انشغال ملوك بني زيان بجروهم الداخلية و الخارجية فقد اهتموا بالجانب التعليمي و كانوا يحبون العلم و يقربون العلماء، وقد شيد بنو زيان كثيرا من المدارس الأنيقة التي مازال أكثرها قائما إلى اليوم ، ثلاث منها بمدينة تلمسان يضاف إليها المدرستان اللتان شيدهما بنو مرين بقرية العباد و سيد الحلوي. (2)

* مدرسة ابنبي الإمام :

تعد هذه المدرسة (3) أول مدرسة تبتني من قبل ملوك بن زيان ببلاد المغرب الأوسط بأمر من السلطان أبي حمو موسى الأول ما بين 707 و 718هـ— وسميت على اسم العالمين الأخويين أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن الإمام (توفي سنة 749هـ/1348م) و أخيه أبي موسى بن الإمام (توفي سنة 757هـ/1356م) و هما ابنا الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن عبد الله بن الإمام (4).

من أهل برشك و "هما إمامان مشهوران بالعلم والرياسة ولهما سلف صالح بزلا بتلمسان في أيام السلطان أبي حمو بن السلطان أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي

(1) الوزان، وصف إفريقيا، ص 30 .

(2) Barges Tlemcen Op Cit P 325.

(3) يرى جورج مارسيه أن المدرسة كانت تقع غرب مسجد أولا الإمام و شماله، و كانت تشمل على قاعتين كبيرتين يتلقى فيها الطلبة العلم و كان يوجد على جانبي القاعتين بيتان يقيم فيهما شيوخ المدرسة. انظر

أيضا Marçais et william :les monuments op cit 168

Marçais (g) :remarques sur les medersas Funéraires en berberie, le Caire 1937 P 263.

(4) ابن خلدون، بغية ح 1 ص 130

يجي يغمرا سن بن زيان ، وقد ابنتى لها المدرسة المسماة بهما الآن داخل باب كشوطة " (1).

* المدرسة التاشفينية:

صارت المدرسة التي بناها أبو حمو موسى الأول لا تكفي عدد الطلبة وتمافتهم على العلم و الأدب ، فلم ير أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بدا إلا تشيد مدرسة أخرى ، عرفت بالمدرسة التاشفينية و قد جهز لبنائها أشهر البنائين والمهندسين و الفنانين ذوي الكفاءات و المهارات العالية في البناء والزخرفة والتنسيق حتى جعلها قصيرا من قصور الملوك ، حيث أودع فيها نماذج الزخارف التي احتوت عليها قصوره. أما موقعها فكان بجانب الجامع الأعظم⁽²⁾ فكانت تحفة فنية رائعة فكانت هذه المدرسة الجليلة عديمة النظر⁽³⁾.

وكانت سنة افتتاحها 720هـ / 1320م ، فأعتبر يوم تدشينها يوما عظيما حيث حضره العلماء و الفقهاء و قد زارها الفقيه أبو موسى عمران المشدالي⁽⁴⁾ أعرف أهل عصره بمذهب الإمام مالك⁽⁵⁾ والذي كان فقيها وعالما

(1) بغية الرواد ج 1 ص 130 انظر أيضا عبد الرحمن بن خلدون العبر مج ص 821-824، التنسي، ص 139.

(2) التنسي ، المصدر السابق، ص 141

(3) نفس المصدر و الصفحة عينها.

انظر أيضا عبد الحميد حاجيات ، أبو موسى ص 61.

Marçais (g) et w. : les monuments arabes de Tlemcen p.21

Marçais (g) remarques op cit p 274

انظر أيضا ثقادي (سيدي محمد):التصميم العمراني بمدينة تلمسان و دلالاته الاجتماعية رسالة ماجستير جامعة تلمسان 1991.ص

(4) هو أبو موسى عمران المشدالي من أكبر فقهاء عصره أصله من زاووة بجاية و توفي في حدود 745 و لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك و حفظا للأقوال أصحابه، و عرفنا بنوازل الأحكام، وصوابا في

الفتيا انظر بغية الرواد ص 130، انظر أيضا التنسي ص 141

(5) النسي ص 141، انظر أيضا ، ص 130

متفننا⁽¹⁾ وقد قال فيها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنان المكناسي: "تذكرت هنا و الشيء بالشيء يذكر ما رأيتة مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبي تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا".

- ❖ أنظر بعينيك بهجتي و سنائي و بديع إتقاني و حسن بنائي
- ❖ و بديع شكلي، واعتبر فيما ترى من نشأتي بل من تدفق مائي
- ❖ جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء
- ❖ قد حف بي أزهار و شي نمتت فغدت كمثل الروض غب السماء⁽²⁾

وظلت هذه المدرسة تمثل من أعظم مدرسة بالمغرب الأوسط تقدم و وظيفتها لمدة خمسة قرون إلى عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر وقد قامت السلطات الفرنسية بدمها وبناء دار البلدية مكانها⁽³⁾.

* المدرسة اليعقوبية :

ابتناها السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" (760-791هـ) سنة 765هـ بجانب الضريح الذي أقيم على قبور أبيه، أبي يعقوب يوسف و عميه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت ، و الذي دفن فيه بعد ذلك العالم الصالح إبراهيم

(1) التنسي ، ص 141.

(2) المقرئ، نفخ الطيب ج6 ص 47 ، انظر أيضا و محمد بن عمرو الطمار تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص 128.

(3) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 438.

المصمودي⁽¹⁾ و سميت باليعقوبية نسبة لأبيه يعقوب الذي توفي في شعبان 763 هـ⁽²⁾. و كان أول من أستند إليه التدريس فيها هو العلامة "أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني"⁽³⁾. وكان أبو حمو موسى الثاني يحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم و إكراما له⁽⁴⁾.

* مدرسة أبي مدين شعيب (العباد)

لقد شيدت مدرسة العباد⁽⁵⁾ من قبل السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وذلك عندما استولى على تلمسان سنة 737 هـ/1337م و بعد إصلاحه و ترميمه لمدينة المنصورة وإتمام جامع العباد بعد حوالي ثماني سنوات سنة 748 هـ/1347م . وهذه المدرسة لا تزال شاهجة تصارع عوادي الزمن ،تمتاز بزخرفتها وفنها المعماري ذي الأقواس المنكسرة و الأجر المدهون باللون الأخضر،و تعد مدرسة العباد أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط ،ويوجد في فنائها صهريج مزخرف و فيه صحن دائري من الرخام كان مخصصا للشرب والوضوء⁽⁶⁾ وكانت المدرسة تتكون من طابقين الطابق السفلي

(1) نفس المرجع و الصفحة عينها.

(2) حاجيات أبو حمو موسى الثاني المرجع السابق ص 159.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني، أحد رجال الكمال، علما ودينا لا يعرب عن عمله فن عقلي و لا نقلي إلا و قد أحاط به،أخذ عن أبي زيد و أبي موسى (ابني الإمام) و عن الشيخ عبد الله الأبلي توفي في ذي الحجة سنة إحدى و سبعين وسبعائة.

انظر بغية الرواد ص 120، انظر أيضا نقادي، المرجع السابق، ص 36.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 180

(5) العباد قرية عتيقة واقعة في الجنوب الشرقي من تلمسان تبعد عنها بنحو ميل من تلمسان وهي كثيرة الازدهار ووفرة السكان و الصنائع و معظمهم من الصباغين وبها دفن ولي كبير ذو صيت شهير ... وهناك مدرسة جميلة جدا ... أسسها بعض ملوك فاس من بني مرين ... انظر حسن الوزان المصدر السابق، ص 24.

(6) عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 182

و يحتوي على عشر حجرات و الطابق العلوي يتضمن ثمانى حجرات وكانت هذه الحجرات مخصصة لطلاب العلم الداخلىين . كما كانت توجد بالمدرسة حجرات أخرى عند المدخل على يمين قاعة المحاضرات و شمالها و يتبين أنها كانت مخصصة لتخزين المواد الغذائية وأدوات التنظيف و طهو الطعام (1) .

* مدرسة سيدي الحلوي :

أنشئت هذه المدرسة سنة 754هـ / 1353 من قبل ابن أبي الحسن المريني و هو "أبو عنان فارس" الذي حذا حذو والده في بنائه لمدرسة العباد ، فقد اختار موقعا منحدرًا يشغله حي سكاني يضم قبر أحد نزلاء تلمسان من العلماء الصالحين الناسكين و هو أبو عبد الله الشوزي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي الأندلسي (2) .

* مدارس وهران والجزائر ومازونة :

لقد انفرد الحسن الوزان بذكر هذه المدارس دون التحدث عنها بالتفصيل حيث ذكر "وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون ، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر ... بعيدة بنحو مائة و أربعين ميلا من تلمسان ... و بها المؤسسات ... من مساجد و مدارس ... (3) .

أما مازونة فكانت توجد بها مدارس تشبه إلى حد كبير مدارس تلمسان.

(1) عبد لي الحضر مملكة تلمسان في عهد بنى زيان أطروحة دكتوراه الدرجة الثالثة جامعة تونس 1987 ص 289-292.

(2) هو شيخ الويلي أبو عبد الله الشوزي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل "تلمسان من كبار العباد العارفين، وقيل أنه ولي القضاء باشبيلية في عهد الدولة الموحدية ثم فر بنفسه منه و أوى إلى تلمسان في زي المجانين ويقال أيضا أنه كان يبيع الحلوى و يتصدق بالثمن.

(3) الحسن الوزان رصف إفريقيا ، ص 30.

أما مدرسة الجزائر⁽¹⁾ فقد أسسها أبو الحسن المريني و كانت عبارة عن مسكن للطلبة يتخذونه مستقرا يأكلون فيه ويشربون⁽²⁾.

وكان الطلبة يتلقون بها مختلف العلوم من علوم دينية و نحو و أدب و غيرها من الفنون .

كان ملوك بني زيان يعطون أهمية كبيرة و عناية فائقة لهذه المدارس و يجرون الأرزاق و المنح للأساتذة و الموظفين بها.

أما طريقة التعليم الجاري بها العمل آنذاك، فكانت طريقة الإلقاء و الشرح، فكان يقوم أحد المتدربين النجباء بقراءة نص من مؤلف مشهور في المادة المدروسة، و يتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة، و الطلبة يقومون بتقيد في دفاترهم ما يسترعي انتباههم من شرح و أجوبه، و من بين العلوم التي كانت تحتل الصدارة بهذه المدارس كانت العلوم الدينية إلى جانب العلوم المساعدة النحو، واللغة، و البلاغة و المنطق و تاريخ و طب و حساب و علم فلك⁽³⁾.

4- المكتبات:

لم تقتصر الكتب المتداولة في بلاد المغرب الأوسط و الأندلس على الكتب المؤلفة في كل بلد منها، بل كانت من كل العالم

(1) الجزائر معناها الجزر سميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة اليابسة و يسميها الأاسبان Alger والمدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقية تدعى مزغنة فسميت الجزائر بني مزغنة . أنظر الحسن وزان و وصف إفريقيا ، ص 37.

(2) مفدي زكرياء النشاط العقلي و التقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين ، مجلة الأصالة عدد 26 جويلية 1975 ص 166 .

(3) عبد الحميد حاجيات ، و آخرون ، المرجع السابق ، ص 438 - 439.

الإسلامي، كما لم تنحصر المكتبات في المؤسسات التعليمية والثقافية (المساجد والمدارس و الزوايا، الكتاتيب) بل أيضا لدى الخاصة، و في بيوت الأسر العريقة بالعلم⁽¹⁾ و لدى الوراقين⁽²⁾ ومن بين هاته المكتبات، المكتبات التي أنشأها ملوك بن زيان بالمغرب الأوسط فنجد:

- المكتبة التي أنشأها الملك أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1359م) بالجامع الأعظم بتلمسان على يمين المحراب بالمكان من الجدار القبلي بالمكان الذي لا زالت فيه الخشبية، ذات الكتابة المنقوشة، التي كانت فوق بابها وكتب عليها: أمر بعمل هذه الخزانة المباركة، السلطان أبو حمو ابن الأمراء الراشدين أيد الله أمره، وأعز نصره ونفعه بما وصل، ونوى وجعله من أهل التقوى، وكان الفراغ من عملها، يوم الخميس ثالث عشر لدى الفعدة عام سبعمائة وستين " وكانت هذه المكتبة تزخر بالكتب المختلفة في جميع العلوم والفنون⁽³⁾ و لم تفقد تلك الكتب إلا حوالي عام 1266هـ/1850م حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية بترميم الجامع الأعظم بعد تغيير طرفيه الجنوبي و الشمالي.

- المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني بن أبي حمو موسى الثاني 796هـ/1394م) وكانت بالجهة الأمامية من الجامع الأعظم وكانت تحتوي على مؤلفات نفيسة منها ما نسخ باليد كالقرآن الكريم وصحيح البخاري ونسخ من

(1) بوشامة، المرجع السابق 453.

(2) حبش، يذكر ابن الخطيب أن أحد المشتغلين بالعلم، وهو محمد بن محمد بن ييش العبدري الغرناطي

(680-753هـ/1281-1352م) أصبح يشتغل بتجارة الكتب، إلى جانب اشتغاله بالعلم فأثرى منها، وحسنت حالة

ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 ص 27-31.

(3) بوقاعة، الموسسات، المرجع السابق ص 107، انظر حاجيات أبو حمو، المرجع السابق، ص 183.

كتاب الشفاء⁽¹⁾ و للقاضي أبي الفضل عياض⁽²⁾ وكانت قد نسخت هذه الكتب من قبل السلطان أبو زيان محمد الثاني و أوقف عليها أوقافا تكفل حسن سير عملها واستمرار نشاطها التعليمي و الفكري .

(1) التنسي نظم الدر، المصدر السابق، ص 211

(2) القاضي عياض ابن موسى المتوفى سنة 544هـ/1149م من كبار عملاء وقته في الفقه والحديث، و أشهر تصانيفه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" وبقى كتابه هذا يتمتع بشهرة كبيرة في أرجاء المغرب كله و كان قد نسخته بيده السلطان أبو زيان محمد بن أبي موسى . انظر التنسي ، المصدر السابق، ص 211.

الفصل الثاني

علم الفقه والتصوف

تكملة:

لقد امتازت الحياة الفكرية في المغرب الأوسط بتقدم ملحوظ في مجال العلوم الدينية ، التي احتلت الصدارة، وحظيت بعناية قصوى (1) وكانت هذه العلوم تتخذ من القرآن الكريم و السنة النبوية أساسا لها (2) وما تتصل بها من علوم اللسان العربي ، فالعلوم الدينية أو الشرعية كما كان يطلق عليها من أنواع التفسير و علم القراءات و علم الحديث و الفقه و الموارث و أصول الفقه و العقائد و علم الكلام و علم التصوف، أما علوم اللسان فكانت تهتم بعلم اللغة و علم النحو و الأدب (3).

لقد كان يغلب على الدولة الزيانية الطابع الديني الذي ورثته على الموحدين الذين بنوا دولتهم على أساس تعاليم إصلاحية أخذت من تعاليم حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي النابعة بدورها من مبادئ الأشاعرة (4) فهذا الطابع الديني أدى إلى انتشار وازدهار العلوم النقلية بأنواعها وكان هذا الازدهار مصحوبا بانتشار التصوف و ظهور المتصوفة و الزهاد و العباد و العلماء فاشتهر الكثير منهم (5).

(1) عبد الحميد حاجيات و آخرون ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص 340.

(2) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان) المقدمة دار الفكر للطباعة و النشر بيروت لبنان 1996 ص 550.

(3) نفس المصدر و الصفحة عينها..

(4) مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي ج 2 ، المؤسسة

الوطنية للكتاب، ص 338.

(5) مكبوري (محمد) الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول،

(1236-737هـ-1337م)، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان 2000-2001- ص 145.

علوم الفقه والتصوف:

من بين العلماء الذين اشتهروا في علوم الدين هم :

1- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي⁽¹⁾

نشأ بتنس و توجه إلى بحاية لطلب العلم، ثم رحل إلى المشرق ، فأخذ المنطق والجندل والكلام وغير ذلك من العلوم عن كثير من العلماء والفقهاء أمثال القرافي وابن دقيق العيد و شمس الدين الاصبهاني ثم عاد إلى مسقط رأسه ، وأستقدم من قبل السلطان يعمراسن الزيان 666 هـ . فكان قبل ذلك يكتبه كثيرا، و يرغب في سكنى تلمسان وكان السلطان يعمراسن قد اجتمع معه بالجامع الأعظم ومعه فقهاء تلمسان وقال له : ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج⁽²⁾ ولقد استقر بتلمسان مدة طويلة منتصبا للتدريس وقد انتفع به خلق كثير فأخذ عنه كثيرون ومن من أخذ عنه : أبو عبد الله بن مرزوق، جد الجدد، وأبو عبد الله بن الحاج العبدري، صاحب المدخل .

و من مؤلفاته شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع في عشرة أجزاء .

(1) أبو إسحاق بن يخلف بن عبيد السلام التنسي من العلماء الصالحين الأولياء عرف بالزهد والودع توفي في حدود 680 هـ وهو دفين العباد أنظر بغية الرواد المصدر السابق ص 114، انظر أيضا التنسي المصدر السابق ،

ص 126-127 .

(2) التنسي، المصدر السابق ، ص 127 .

2- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني:

ولد سنة 629هـ، وكان من العلماء الصالحين⁽¹⁾، ومن الأولياء
أعلام محدثا وفقهيا وقد أخذ العلم عن أبي زكرياء ابن عصفور و عن أبي
إسحاق التنسي والشيخ الصالح أبي عبد الله الكفيف، و أبي عبد الله المالقي
والفقيه أبي عبد الله محمد بن اللحام والفقهاء أبي زيد اليزناسني و كلهم من
تلمسان وكان قد توفي سنة 681هـ و دفن إزاء أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن
بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم لوصية أمير المسلمين تبركا بجواره⁽²⁾.

3- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يثاقم التلمساني:

ولد بتلمسان سنة 609هـ و نشأ بها و درس على علمائها ثم رحل إلى
طلب العلم واستقر بسبته (المغرب الأقصى) و بها توفي سنة 690هـ واشتهر
بأرجوزته في الفرائض التي ألفها سنة 630هـ⁽²⁾.

4- أبو الحسن التنسي:

أخو أبي إسحاق قام بالتدريس بعد وفاة أخيه ونال حظوة عند
يغمراسن بن زيان ثم عند السلطان أبي سعيد الأول ومن تلميذته أبو عبد الله
الآبلي ، فقد خرج إلى السلطان أبي يعقوب المريني فاستقبل بحفاوة و بقى في
بلاطه حتى أن توفي وقبره بالعباد⁽³⁾.

(1) بغية الرواد، المصدر السابق، ص 114.

(2) البستان، ص 226، بغية الرواد، ص 115، انظر أيضا عبد الحميد حاجيات، الأصالة، ص 140.

(3) عبد الحميد حاجيات، الأصالة، ص 140، بن دود نصرالدين، أسرة المرازقة ودورها الثقافي بتلمسان من القرن

7 إلى القرن 10 الهجري، رسالة ماخستبر 2004، طهران، ص 25-30.

(3) بغية الرواد، 115، انظر أيضا حاجيات، أصالة، المرجع السابق، ص 140.

5- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام:

أكبر الأخوين ابني الإمام و أصلهما من برشيك ، رحلا إلى تونس
 لطلب العلم حوالي سنة 700هـ فدرسا العلوم النقلية على تلامذة ابن
 زيتون، وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي ثم عاد إلى المغرب الأوسط أيام السلطان
 أبي حمو ابن السلطان أبي سعيد بن يحيى يعمراسن بن زيان فأكرم مثواها وابتنى
 لها المدرسة⁽¹⁾ التي ستعرف باسميهما وأقاما يدرسان بها وقد أخذ عنهما الكثير
 من العلماء المشهورين أمثال الآبلي و المقرئ الكبير وأبي عبد الله الشريف،
 وسعيد العقباني وابن مرزوق الجد من مآثره شرح على مختصر ابن الحاجب في
 الفروع.

6/ أبو موسى عمران بن موسى المشطالي :

أصله من زواوة بجاية من كبار الفقهاء و خيار العلماء الصلحاء
 أخذ بجاية عن الشيخ ابن علي ناصر الدين واستقر بتلمسان أيام حكم السلطان
 أبي تاشفين ، كان مدرسا بالمدرسة التاشفينية⁽²⁾ وكان قد أخذ عنه الفقيه
 أبو العباس احمد بن أحمد المشوش و الفقيه أبو البركات الباروني والفقيه أبو
 عثمان العقباني وأبو عبد الله الشريف لم يكن في معاصري هذا العالم الفقيه أحد
 مثله علما بالمذهب المالكي⁽³⁾ ، توفي أيام السلطان أبي الحسن المريني 745
 هـ⁽⁴⁾

(1) بغية الرواد ، ج 1 ، ص 130 ، التنسي ، ص 139.

(2) التنسي ، ص 141 ، بغية الرواد ، ج 1 ص 131.

(3) التنسي ، ص 141 ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 131.

(4) التنسي ، ص 141 ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 131. حاجيات ، الأصالة ، ص 141.

7/ أبو محمد ويكنى أبا فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف

(602-686هـ)

و هو فقيه محدث من أهل تلمسان انتقل إلى بجاية و أخذ عن بعض
الشيخ أبي الحسن الجدالي وأبي بكر بن محرز، و أبي العباس الملياني، و أبي زيد
اليزناسي . و أبي الحسن بن أبي نصر ،⁽¹⁾ و قد تولى القضاء و في كل من بجاية
و قسنطينة و بسكرة و مدينة الجزائر⁽²⁾ ، كان مبارك التعليم ميمون النقية في
التفهم درس عليه العلم خلق كثير و انتفعوا به . و من بينهم " أبو العباس أحمد
الغبريني صاحب مؤلف عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة
ببجاية .

8/ أبو عبد الله محمد بن محمد المقربي:

و لد بتلمسان ، درس على علمائها أمثال الأخوين ابني الإمام و أبي
موسى عمران المشدالي، و القاضي ابن عبد النور، و أبي محمد المجاصي و أبي عبد
الله المنصور بن هدية و أبي عبد الله التميمي و كان قد رحل إلى بجاية و تونس
و أخذ عن كثير من علماء تونس ثم عاد إلى تلمسان و كان قد توجه إلى
المشرق، فلقي بمصر أبا حيان النحوي، و شمس الدين الاصبهاني و شمس الدين
بن عدلان ثم رحل إلى الشام ، فلقي بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية و صدر

(1) الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق

رابح بونارشون . ت الجزائر ط2 الجزائر 1981 ص 91 ، 92.

(2) نفس المصدر ، ص 91.

الدين الغماري المالكي وغيرهما، وولي قضاء و الجماعة بفاس و مات بها سنة 656هـ⁽¹⁾.

9/ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العنيسي

التلمساني الشهير بالخطيب و كنيته شمس الدين:

ولد بتلمسان سنة 711هـ⁽²⁾ و ارتحل مع والده إلى المشرق سنة 718 فأقام بالقاهرة و أخذ على برهان الدين الصفاقصي⁽³⁾ و عند عودته إلى المغرب الأوسط سنة 735هـ فوجد السلطان المريني أبا الحسن المريني محاصرا تلمسان ، و الذي شيد بها مسجد العباد الذي سيصبح هذا العالم خطيبا بهذا المسجد حيث نال حظوة السلطان فصار من المقربين إليه⁽⁴⁾ و جعله يلزم العلماء والفضلاء والأكابر، و حضر معه وقعة طريف ثم أصبح عنصرا هاما في المفاوضات التي كانت ما بين السلطان المريني و ملك قشتالة في تقرير الصلح بينهما و تحرير ابن السلطان " (أبو عمر تاشفين) من الأسر، كما قام بمهمة المصالحة بين الملك أبي سعيد الزياني والسلطان أبي الحسن المريني الأمر الذي أدى بأبي ثابت إلى إلقاء القبض عليه و سجنه.

ولقد تولى الخطابة بمسجد الحمراء بغرناطة و بجامع الموحدين بتونس في عهد السلطان أبي إسحاق إبراهيم الحفصي (751-770هـ/1350-1369م) ثم ارتحل

(1) عبد الحميد حاجيات ،الأصالة المرجع السابق، ص 142، بغية الرواد ص 121.

(2) الإحاطة، المصدر السابق ص 130 ، بغية الرواد ، ص 115.

(3) التنسي، المصدر السابق ص 184، لسان الدين بن الخطيب ص 104 ، بغية ص 115.

(4) عبد لي لخضر ، المصدر السابق، ص 199.

إلى المشرق فزار الإسكندرية والقاهرة فاتصل بالسلطان الأشرف وأمراء الدولة وأهل العلم.

ومن تأليفه: عجالة المستوفر و المستجار في ذكر من سمع من المشايخ دون من إجاز من أئمة المغرب و الشام و الحجاز، و تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام في خمسة أجزاء ، و شرح الشفاء⁽¹⁾ للأبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض⁽²⁾ و شرح صحيح البخاري ، و المنسد الصحيح الحسن في مآثر محاسن مولانا أبي الحسن، و كتاب الإمامة ، و شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق و شرح فرعي ابن الحاجب سماه: إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب.

و بيت شمس الدين الخطيب بيت علم و دراية و دين و ولاية كعمه و أبيه و جده و جد أبيه و كولدیه محمد و أحمد و حفيده الإمام النظار الحفيد بن مرزوق و ولد حفيده المعروف بالكفيف و حفيد حفيده المعروف بالخطيب⁽³⁾ و كانت وفاته في ربيع الأول سنة 781هـ⁽⁴⁾.

10/ أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقبايي:

ولد بتلمسان سنة 720هـ/1360م) أخذ فيها عن ابني الإمام، ثم درس على الآبلي الأصول والعلوم العقلية و أخذ الفرائض على الشيخ الحافظ

(1) مؤلف الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، هو أعظم كتب القاضي الإمام الحافظ عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفى بمراكش سنة 544 هـ .

(2) الإحاطة، المصدر السابق ، ص 126 .

(3) أحمد بابا التنبكتي (ت 1036 هـ) نيل الابتهاج بتطريز الديقاج تحقيق علي عمر مج 2 ط 1، مكتبة الثقافة

الدينية القاهرة 204 م ، ص 116، 117. انظر البستان ، ص 189.

(4) حاجيات، الأصالة ، ص 144 .

السطي⁽¹⁾ وهو قاضي من أكابر علما تلمسان و فقهاء المالكية في عهده⁽²⁾ وذكر صاحب البستان أنه كان يقال له رئيس العلماء و العقلاء بتلمسان ولى قضاء بجاية أيام السلطان أبي عنان أو قضاء تلمسان و سلا ومراكش⁽³⁾ واستغرقت مدة ولايته ما يزيد عن أربعين سنة و أخذ عنه جماعة من تلاميذه ابنه قاسم العقباني و الإمام أبي الفضل بن الإمام، و ابن مرزوق الحفيد، إبراهيم المصمودي، وأحمد بن زاغو وبالإجازة الإمام النظار محمد بن عفان الجذامي⁽⁴⁾. ومن مناقبه تركه لعدة شروح منها: شرح الحوفي و شرح جمل الخونجي على ابن الحاجب الأصلي، و شرح التلخيص لابن البناء، وشرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر و المقابلة و شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين، وشرح البردة وله تفسير سورة الفتح⁽⁵⁾ و كانت وفاته سنة 811هـ/1408م.

11 / ابن مرزوق الحفيد:

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر ابن مرزوق الحفيد ولد بتلمسان سنة 766هـ/1354م و توفي عام 842هـ/1438م. عرف بالحفيد واختص بلقب ابن مرزوق و هو والد ابن مرزوق الملقب بالكفيف وحفيد ابن ابنته محمد بن مرزوق المعروف بالخطيب، و هو فقيه أصولي، و مفسر

(1) نزيل القاهرة أخذ بتلمسان عن جماعة منهم، محمد ابن احمد بن قاسم العقباني و محمد بن الجلاب ولد سنة 851هـ. أنظر البستان ص 55.

(2) علي علوش، معجم مشاهير المغاربة جامعة الجزائر 1995، ص 363.

(3) بغية الرواد، ج1، ص 133، البستان ص 106، نيل الابتهاج ص 204.

(4) البستان ص 107، نيل الابتهاج ص 204

(5) البستان ص 106، نيل الابتهاج ص 204.

و محدث حافظ للرواية و السند و فقيه مالكي ، كما كان من المتصوفين، وناظما لغويا متضلعا في النحو و البيان و العروض⁽¹⁾ و مفتي سني، لقب بشيخ الإسلام و شيخ العلماء في زمانه، و بإمام الأئمة و إمام المسلمين في عصره.

أخذ العلم في البداية بتلمسان عن والده و عمه و عن الشيخ سعيد العقباني و أبي إسحاق المصمودي، ثم ارتحل إلى تونس فأخذ عن ابن عرفة و حج رفقة سنة 790هـ و أخذ عن الشيخ القصار ، ثم سافر إلى فاس فأخذ شيوخ المكودي ، و أخذ عن سراج الدين البلقيني و أبي الفضل و الفيروز بادي و ابن هشام النويري بالقاهرة و حج للمرة الثانية سنة 819هـ و أجازه في المشرق شيوخ منهم "أبو القاسم محمد الخشاب" و "محمد علي الحفار الأنصاري" و "محمد القيحاطي" ، و لقي الإمام ابن حجر و أخذ عنه ، قال عنه ابن حجر: "نعم الرجل معرفة بالعربية و الفنون و حسن الحظ و الخلق و الوقار و المعرفة و الأدب التام" (2).

و قد أتقن فقه مالك و تولى الإفتاء على مذهبه فقبل عنه: "لو رآه الإمام مالك لقال له: "تقدم فلك العهد و الولاية ، و تكلم فمك يسمع فقهي بلا محالة" و أتقن فقه ابن القاسم و المازري و ابن رشد و اللخمي و القرافي ، و أخذ في التفسير بالتأويل على طريقة الزمخشري و صارت إليه الرحلة في الحديث و رواياته و دراياته ، أما في الأصول فكان لا يناظره أحد لقوة حجته و ممن قرأ عليه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني و أبو زيد الثعالبي التونسي

(1) التنسي ص 14 ، نيل الابتهاج ، ص 172.

(2) معجم مشاهير ، المرجع السابق ، ص 486 ، نيل الابتهاج ص 179 ، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر

الطبعة الثانية مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان 1983 ص 290-291

والشيخ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري و قاضي الجماعة عمر القلشاني و نصر الزواوي و الحسن أبركان و القلصادي⁽¹⁾.

و من آثاره شروحه الثلاثة على البردة الأكبر و الأوسط والأصغر و المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج، و تفسير سورة الإخلاص ، و حرز الأمانى للشاطبي، و أنور الدراري في مكررات البخاري، شرح صحيح البخاري، المترع النبيل في شرح مختصر خليل و له بعض الفتاوى في مسائل فقهية سئل عنها مثل إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم⁽²⁾، و المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، و المفاتيح في شرح السقراطيسية، جزآن في علم الحديث و مختصر الحديقة، و المقنع الشافي ، أرجوزة في الميقات 1700 بيت وأرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية و أرجوزة نظم بها تلخيص ابن البناء و أرجوزة نظم بها جمل الخونجي، و نهاية الأمل في شرح الجمل، و شرح صحيح البخاري المسمى بالمتجر الرياح و السعي والريح و الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح⁽³⁾ وغيرها من المؤلفات الأخرى في المنطق و التفسير و الحديث والأصول.

(1) التنسي ص 14، نيل الابتهاج ص 180-182 انظر أيضا القلصادي (أبي الحسن علي): رحلة القلصادي دراسة و تحقيق محمد أبو الاجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، قرطاج تونس، ص 96، 97 .

(2) نيل الابتهاج ص 180/181 ، البستان ص 206-208، التنسي 14-15، انظر أيضا عادل نوهيض، ص 291-292.

(3) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج2 ص 210-215 الطمار تاريخ الأدب الجزائري الأدب الجزائري ص 117.

و توفي كما ذكر القلصادي و غيره يوم الخميس رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة 30 يناير 1439 و دفن يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان⁽¹⁾.

12 / أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو

المغراوي التلمساني : (782-845-1380-1441هـ).

هو الشيخ الفقيه الإمام المفتي المدرس المؤلف سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المغراوي الخزري المشهور بابن زاغو⁽²⁾ ولد سنة 782هـ أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني. و عن الشيخ العارف المفسر ابن يحيى الشريف⁽³⁾ وغيرهما .

فقد تصدر للإقراء و التدريس بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان فكان متضلعا في التفسير و الحديث و الفقه و البيان و الحساب و الفرائض. وقد أخذ عنه جماعة كالشيخ العالم يحيى بن يدير والعالم المصنف ابن زكرياء يحيى المازوني، و الحافظ التنسي وابن زكري، و الشيخ العالم أبي الحسن قلصادي الذي ذكره في رحلته فقال : شيخنا و بركتنا الفقيه الإمام المفتي المصنف المدرس المؤلف، ذلك سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخزري الشهير بابن زاغو ... أعلم الناس في وقته في التفسير وأفصحهم في التعبير اخذ بمذهب الإمام مالك، و فاق على نظراته و أقرانه في دلائل السبل و المسالك ، إلي سبق في

(1) القلصادي ص 97، البستان ص 212.

(2) القلصادي، ص 102

(3) البستان ص 41، 42، نيل الابتهاج ص 122، ج 1، عادل نويهض، ص 156، 157.

الحديث و الأصول و قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم و به يضرب المثل في الزهد والعبادة، وعند كلامه تفق الفتا في الأذكار و الإرادة، مقبل على الآخرة معرض عن الدنيا عار عن زخرفها إلا ما يتخذه من ثوب حسن أو هيئة فيها جمال أكرمه المولى بقراءة القرآن، و شرفه بملازمة قراءة العلم و التصنيف والتدريس و التأليف، له نسب أشهر من الشمس في السماء و حسب كاتساق عقد النجوم في بحر الظلماء، و خلق أندى من الزهر و أسوغ من الماء، و نزاهة الهمة العالية و المشاركة المباركة للخاصة و العامة من هذه الأمة مع إيثار الخلوة و إجابة الدعوة، و لما رأيت نجاح دعوته و صلاح حالي بالتماس بركاته لازمته و ترددت إليه ، فكنت أجد في مجالسته فوائد تنسي الأوطان و أورد من بحر فيضه ما يحيي به الظمآن، فسرت إلى خدمته مسرعا فصيرني كبعض أولاده و أنزلي منزله أصدقائه فقرأت عليه صحيح البخاري كله، و من أول صحيح مسلم إلى أثناء الوصايا (1).

و من تأليفه: مقدمة في التفسير و تفسير الفاتحة و التذليل عليه في ختم التفسير، و منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح غير مرة، و شرح التلخيص لوالده، و حكم ابن عطاء الله و شرحها لابن عباد و لطائف المنن و تأليف أبي يحيى الشريف على المغفرة و إحياء الغزالي (2) توفي ابن زاغوم يوم

(1) رحلة القلصادي، ص 103، نبيل الابتهاج ص 123

(2) التنسي ص 16، البستان ص 42 - 43 ، نبيل الابتهاج 123 - 124 ، القلصادي، ص 106-107 ، عبد الحميد

حاجيات، الأصالة ، ص 147، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 157.

الخميس عند وقت العصر. الرابع عشر من ربيع الأول عام خمسة وأربعين وثمانمائة / 1441 م (1).

13/ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد:

هو أبو زيد بن محمد بن مخلوف ولد ناحية وادي "يسر" جنوب شرقي الجزائر واشتهر بالثعالبي (2) ولد سنة 786هـ أخذ تعليمه ببجاية سنة 80هـ وأخذ عن علمائها وكان في مقدمتهم أبو العباس النقاوسي، وأبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي، وأبو الربيع سليمان بن الحسن الفقيه المحقق، وأبو الحسن علي بن محمد البليبي وعلی بن موسى (3) ثم ارتحل إلى تونس 809هـ فانتفع بعلم الإمام أبي عبد الله الآبي والإمام أبي القاسم البرزلي وأبي يوسف يعقوب الزغبی ثم انتقل إلى مصر سنة 817هـ فانتفع بعلمائها كأبي عبد الله البساطي وولي الدين العراقي ثم انتقل إلى تركيا ومنها إلى الحجاز ثم رجع إلى تونس 819هـ فأخذ عن أبي عبد الله القلشاني (4) وعند عودته إلى المغرب الأوسط ولي القضاء ثم استقال من منصبه وانقطع للتدريس والتأليف (5).

و من تأليفه: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، و الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز، و تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات من القرآن، و الدرر اللوامع في قراءة نافع، و مختارا من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع، و الأنوار المضيئة،

(1) الفلصادي ص 107، نيل الابتهاج ص 124، البستان، ص 43.

(2) نيل الابتهاج، ص 282، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 90.

(3) نيل الابتهاج ص 283، عادل نويهض، معجم إعلام الجزائر، ص 90.

(4) نيل الابتهاج، ج 1 ص 284.

(5) حاجيات عبد الحميد و آخرون ص 444

وجامع الخيرات وكتاب الأنوار في آيات النبي المختار، وجامع الأمهات في أحكام العبادات نور روضة الأنوار و نزهة الاختيار، و نور الأنوار و مصباح الظلام و كتاب الإرشاد، و شرح على مختصر خليل ورياض الصالحين والإرشاد في مصالح العباد و العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة و إرشاد السالك، و الأنوار و المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة والتقاط الدرر، والدرر الفائق في الأذكار و الدعوات (1)..... الخ.

14/ أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون :

اشتهر بالمطغري (871-951هـ - 1466-1545) ولد بمطغره من أعمال المغرب الأوسط لازم ابن غازي بعد انتقاله لفاس عام 891هـ و أخذ عنه الموطأ التفسير، العمدة و العربية و الحساب و خليل و الفرائض، فقد حصل عنه علما جما حتى قيل له: خزانة علم لكثرة الفنون عنده، أجازه ابن غازي عام ستة وتسعمائة و ختم عشرين ختمه بالسبع و غيرها، و البخاري نحو عشرة خاتمات و الموطأ بالباجي، و غيره قراءة بحث و تحقيق، و جامع الأصول لابن الأثير و ترغيب المنذري و اكتفاء أبي الربيع بقراءة ولد الشيخ أحمد بن غازي، و انتفع عليه في هذه الكتب و في شروحها و كذا في الأصول كالسلاجية و عقيدة ابن أبي زيد و أصلي ابن الشيخ و مختصر ابن عرفة، و قانون ابن العربي، و جمع الجوامع، و موافقات الشاطبي، و التنقيح و في الرسالة أربع ختمات و المدونة و المختصر مرتين و ابن الحاجب و بعض التوضيح و ابن عرفة و الألفية مرارا و اللامية و الجرومية و المغنى و الشاطبية الكبرى و التسيير و ابن برى و مورد

(1) نيل الابتهاج ج 1 ص 284، حاجبات و آخرون ص 444، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 305-306.

الظمان و التلخيص مع شرح السعد والبردة بشرح ابن مرزوق مرارا و ابن أبي جمرة على البخاري و الحكم مع شرحها لابن عباد ، ومختصر الأحياء للبلاي وحمل الخونجي بعض مقدمة ابن الحاجب و رجز الونشريسي (1).

وأخذ المطغري أيضا عن العباس الونشريسي و القاضي المكناسي و عن أبي العباس الزاجني و أخذ عنه عبد الواحد الونشريسي و اليسيتي و الزقاق وغيرهم، توفي في ذي القعدة سنة إحدى و خمسين وتسعمائة 951هـ (2).

15 / أبو إسحاق التنسي:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطمطي من العلماء الصالحين (3) نشأ بتنس و توجه إلى بجاية لطلب العلم ، ثم رحل إلى المشرق فأخذ عن ابن دقيق العيد، ابن كحلي وناصر الدين المشدالي، وشمس الدين الأصبهاني و قرا المنطق و الجدل على القرافي. وقد ذكره الشيخ أبو عبد الله العبدري الحاجي في رحلته فقال: "كان الشيخ أبو إسحاق التنسي وأخوه فقيهين مشاركين في العلم مع مروعة تامة ودين متين، وأبو إسحاق أسنها وأسناها و هو ذو صلاح و خير، وكان شيخنا الزين ابن المنير حفظه الله يثني عليه خيرا كثيرا، وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم فقال لي بلاد فيها مثل أبي إسحاق التنسي ما خلت من العلم ، ولقيتهما بمصر وكان أبو الحسن لم يحج فحج معنا " (4) و عندما يرجع إلى مسقط رأسه كان قد

(1) نيل الابتهاج، ج 1 ص 390-391.

(2) نيل الابتهاج، ج 1 ص 391.

(3) بغية الرواد، ج 1 : ص 14.

(4) نيل الابتهاج، ص 21-22.

استولى السلطان يغمراسن بن زيان على تنس، استقدمه إلى تلمسان و طلب منه أن يقيم فيها لتدريس العلوم النقلية، فاستقر فيها و درّس بها وانتفع به خلق لا يحصون⁽¹⁾، و من تلاميذه أبو عبد الله بن مرزوق، جد الجد و أبو عبد الله بن الحاج العبدري⁽²⁾ صاحب المدخل وأشتهر تأليفه: شرح كتاب تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى لأبي محمد عبد الوهاب المالكي، في الفروع في عشرة أجزاء وتوفي أبو إسحاق التنسي سنة 680 بتلمسان⁽³⁾.

16- أبو الحسن التنسي:

هو أخو إسحاق وهو من كبار العلماء⁽⁴⁾ كان قد قام بالتدريس بالجامع الأعظم على سنة 696هـ حيث انتقل إلى المسجد الذي شيده الأمير أبو سعيد عثمان الأول وقد نال الحسن التنسي حظوة عند يغمراسن بن زيان؛ ثم عند أبي سعيد عثمان الأول. و من تلاميذه: أبو عبد الله الآبلي⁽⁵⁾ ولما حاصر أبو يعقوب المريني تلمسان، خرج إليه أبو الحسن التنسي والتحق به فاستقبله بحفاوة، وقد مكث في بلاطه إلى أن توفي قبل انتهاء الحصار سنة 706 و شهد

(1) نيل الابتهاج، ص 21، ابن خلدون العبر ج 7 ص 86.

(2) عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص 439.

(3) عبد الحميد حاجيات و آخرون، ص 439.

(4) بغية الرواد ص 114، التنسي ص 127، انظر أيضا عبد الحميد حاجيات و آخرون، ص 440، عبد الحميد

حاجيات، الأصالة، ص 140.

(5) عبد الحميد حاجيات و آخرون ص 440، عبد لي الخضمر، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 218 حاجيات

أبو حمو موسى، ص 43.

السلطان أبو يعقوب جنازته بضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب ولم شهد جنازته أحد قبله (1).

17/ أبو عمران موسى المشذالي البجائي:

من كبار الفقهاء و علماء عصره من بجاية، ولم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك ، وحفظا لأقوال أصحابه وعرفانا بنوازل الأحكام، ووصايا في الفتيا، ولد سنة 670هـ/1271م ببجاية و تلقى تعليمه بها على يد ناصر الدين المشذالي وغيره ، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر ثم ، إلى تلمسان فدرّس بها الحديث و الفقه والأصليين و الفرائض و المنطق و الجدل و كان كثير الاتساع في الفقه و الجدل، كان حافظا علامة محققا كبيرا، أخذ عنه أبو العباس أحمد المشوش وأبو البركات الباروني و سعيد العقابي و المقرئ الذي قال : "رأيتُه إذا دخل المسجد بعد المغرب قبل الإقامة يثبث قائما إلى أن تقام الصلاة و أنا لا أدري ذلك بل يركع الداخل لا انتهاء وقت المنع بالغروب، وما وقع في المذهب في ذلك فالمبادرة للصلاة و هو لم يفعل، فإن كان ترك الركوع حسما للذريعة فلا فرق بين قيامه و جلوسه، إلا ترى أن داخل المسجد إذا نُحِث قائما حتى انصرف أو بدا في المسجد بغير صلاة و لم يجلس ما امتثل الأمر على ما مرّ ، والمراد بجديث لا يجلس داخل المسجد حتى يصلي

(1) بغية الرواد ج1، ص 121، التنسي ص 141، نيل الابتهاج، ص 396.

ركعتين افتتحه بالصلاة ... " (1) وتوفي سنة 745هـ وله مقالة مفيدة في اتخاذ الركاب وخالص الفضة، نقل عنه في المعيار في مواضع (2).

17/ ابننا الإمام: أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابننا محمد

بن عبد الله:

هما أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى، ولدا بمدينة برشيك الواقعة بين شرشال و تنس حيث كان والدهما محمد بن عبد الله التنسي إماما بأحد مساجد هذه المدينة، لما استولى زييري بن حماد المكلاقي المعروف بزيرم على برشك سنة 683هـ/1244م اتهم إمام المدينة ابن عبد الله والد الأخوين، باحتوائه على وديعة مالية لبعض أعداء زييرم وطالبه بها فامتنع الإمام فقتله غيلة، فحزن ولداه وأجمعا على مغادرة البلد فارتحلا إلى تونس في أواخر القرن السابع الهجري حيث أخذوا عن ابن زيتون و أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ثم عادا إلى المغرب الأوسط (3)، وامتھنا مهنة التدريس بمليانة عاصمة مغراوة، وقد نزلا تلمسان بعد مقتل السلطان المريني أبي يعقوب 705هـ فأكرمهما الأمير الزياني أبي حمو الأول وابتنى لهما المدرسة المسماة باسميهما، وصارا يعرفان بالإمامة ووصفا بالعالمين الراسخين و العالمين الشاخصين (4) فأثنال عليهما طلاب العلم من كل حدب و صوب و من انتفع بعلمهما "أبو عبد الله الشريف

(1) نيل الابتهاج، ص 396

(2) نيل الابتهاج، ص 398.

(3) نيل الابتهاج ص 268، البستان ص 125.

(4) البستان ص 123، نيل الابتهاج ص 266، التنسي ص 127.

بغية الرواد ج اص 130.

التمسائي، و الخطيب بن مرزوق الجدد، وإبراهيم الابلي، وأبو عبد الله المقري صاحب نفخ الطيب، وأبو عثمان سعيد العقباني، وأبو الله اليحصبي وجماعة كثيرة⁽¹⁾ و لما تمكن السلطان المريني أبو الحسن الاستيلاء على تلمسان سنة 735 استدعى إليه شيوخها وفقهاءها فكان ممن وفد عليه الإخوان، أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الإمام؛ فرفع من منزلتها وازدادت خطوتها عنده حتى صار لا يفارقها لحظة واحدة وأحضرهما معه في موقعه طريف بالأندلس آخر سنة 740هـ⁽²⁾.

ومن تأليف أبي زيد شرحه علي ابن الحاجب الفرعي حسب صاحب البستان⁽³⁾ و صاحب النيل الابتهاج⁽⁴⁾ أما ابن فرحون⁽⁵⁾ فذكر أن له التصانيف المفيدة و لعلها ضاعت وسط تلك الحوادث والاضطرابات التي مي بها المغرب الإسلامي يومئذ.

وكانت وفاة أبي زيد في رمضان 741هـ/مارس 1340م و بفقده ازداد مقام أخيه "أبو موسى" رفعه عند السلطان إلى أن شغل السلطان بحوادث تونس

(1) نيل الإهراج، ص 269.

(2) موقعه طريف نسبة لمدينة و جزيرة طريف في أقصى جنوب الأندلس و كانت هذه الموقعة بين المرينيين والنصارى في 24 ربيع الثاني سنة 30/740 سبتمبر 1339م، أهرم فيها المرينيون بقيادة السلطان أبي الحسن انظر عبد الرحمن بن خلدون ج 7 ص 261، المقري نفخ الطيب مج 5 ص 14.

(3) البستان، ص 126.

(4) الابتهاج، ج 1، ص 269.

(5) ابن فرحون، المصدر السابق، ص 152.

فسرحه إلى بلده و ذهب إليها و أقام بها قليلا حتى وافاه أجله بالطاعون الجارف
سنة 749هـ/1349م (1).

18/ أبو محمد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن

يعقوب بن عبد الرحمن القرشي الشهير بالمقري:

أصله من مقرة (2) و هي قرية من قرى بلاد الزاب سكنها سلفه ثم
تحولوا لتلمسان و بها ولد و نشأ و أخذ تعليمه عن علمائها أمثال الأخوين ابني
الإمام و عن أبي موسى عمران المشتدالي و القاضي بن عبد النور التميمي و محمد
المجاصي و منصور بن هدية و ين النجار و غيرهم، و أخذ المقري الحديث
والعربية عن أبي محمد المهيمن الحضرمي و الفقه و الفرائض على السطحي ،
والتعاليم على محمد بن إبراهيم الأبلي و أخذ عن علماء بجاية أمثال " أبي عبد
الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بابن المسفر (3) و أخذ عن علماء تونس من
بينهم ابن عبد السلام و عبد الله بن هارون و الشيخ الصوفي أبي الحسن المنتصر
و ابن الجياب و أخذ عن علماء فاس كأبي زيد عبد الرحمن بن عفان الجازولي و
أبي العباس المكناسي و أخذ عن علماء مصر كأبي حيان النحوي و شمس الدين
الاصيهاني وابن عدلان و أبي محمد المنوفي، و أثناء أدائه لفريضة الحج سنة 744

(1) البستان ص 126، مكوي محمد الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الروادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي
تاشفين الأول، 633هـ-1236م/737هـ-1337م رسالة ماجستير و إشراف عبد الحميد حاجيات 2000-2001
جامعة تلمسان ص 151. عبدلي لحضر، المرجع السابق، ص 221.

(2) مقره: بفتح الميم و تشديد القاف المفتوحة، كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة،

و بفتح الميم و تسكن القاف هي ضبطه (المصطلح) ابن الأحمر في فهرسته. انظر نيل الابتهاج ص 75

(3) بن الخطيب الإحاطة ، مج 2 ط 1974، القاهرة، ص 201.

هو لقي بمكة أبي عبد الرحمن التوزي و أبي محمد عبد الوهاب الجبري والتقوى بالشام ابن القيم الجوزية (1).

لقد تولى القضاء بعد رجوعه من جولته المشرقية ليتولى القضاء بفاس (2) في عهد السلطان أبي عنان المريني.

كان المقري آية من آيات الله الكبرى و كانت له معرفة تامة بالعربية والآداب والتاريخ علاوة على العلوم الشرعية.

قال ابن الخطيب في الإحاطة: كان مشارا إليه اجتهدا و دؤوبا و حفظا و عناية واضطلاعا و نقلا و نزاهة ، يقوم أتم قيام على الفقه و التفسير والعربية، و يحفظ الأخبار والتاريخ و يشارك مشاركة فاضلة في الأصولين والجدل و المنطق، و يكتب و يشعر ... و يتكلم في طريق الصوفية و يعتني بالتدوين " (3)

ومن تأليفه: القواعد، و الحقائق و الرقائق في التصوف بديع لطيف الإشارة والتحف و الطرف في غاية الحسن و عمل من طب لمن حب مشتمل على فنون من أحاديث حكيمة كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العربي، و شرح جمل الخونجي. ومن أشهر تلاميذ المقري لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون وبن زمرك ، أبو محمد بن جزى والحافظ بن علاق وغيرهم (4).

(1) البستان ص 156-157، نيل الابتهاج ص 77-78 الإحاطة مج 2 ص 203

(2) الإحاطة مج 3 ص 395، بغية الرواد، ج 1 ، ص 121.

(3) الإحاطة ، مج 2 ، ص 226 ، نيل الابتهاج ، مج 3 ، ص 395، بغية الرواد، ص 121.

(4) البستان ، ص 163-164، نيل الابتهاج، ج 2 ص 84

توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة و خمسين و سبعمائة ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان⁽¹⁾.

19 / إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي

القسنطيني:

ولد في جبل جرجرة سنة 796 هـ أخذ عن أبي الحسن علي بن عثمان المنجلاقي ثم انتقل إلى تونس فأخذ الفقه و المنطق عن الأبي والفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني و الفقه وحده عن يعقوب الزغبي والأصول عن عبد الواحد الفرياني ثم رحل إلى بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراح ثم انتقل إلى قسنطينة فأخذ الأصول و المنطق عن حافظ المذهب أبي عبد الرحمن الملقب بالباز، و المعاني و البيان عن أبي عبد الله القيسي و الأصليين و المنطق و المعاني و البيان مع الفقه و غالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق.⁽²⁾

و قد برع في جميع العلوم و الفنون لاسيما الفقه ، و شرح ألفية ابن مالك ، تلخيص المفتاح في مجلد، و شرح مختصر خليل في ثمانية مجلدات و سماه تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل و شرحا أخر في مجلدين سماه فيض النيل⁽³⁾.

⁽¹⁾ الإحاطة، مج 2 ص 226.

⁽²⁾ نيل الابتهاج، المجلد الأول، ص 45.

⁽³⁾ نفس المصدر و الصفحة عينها.

20 / محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي

(832هـ / 1428، 895هـ / 1490)

ولد فنشأ بتلمسان، وأخذ بها عن أشهر علمائها. و حياة السنوسي حياة غنية و هي تعتبر ظاهرة هامة من ظواهر القرن التاسع الهجري تتلمذ السنوسي على مجموعة من العلماء و الفقهاء و من بينهم " أبو عبد الله الحباك و محمد ابن أحمد الجلاب ، و ابراهيم التازي صاحب و خليفة محمد الهواري الذي أسس زاوية بوهران (1) و شيخ العلامة نصر الزواوي و العلامة محمد بن ثونرت و السيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسيني أخذ عنه القراءات و عن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد الثعالبي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث و أجازة ما يجوز له و عنه وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض و الحساب و أجازة جميع ما يرويه وغيرهم. و التازي إبراهيم هو الذي ألبس السنوسي الخرقة الصوفية و يصق له في فمه على عادتهم.

تبحر السنوسي في العلوم النقلية و العقلية لعهد كالتفسير و الفقه و الحديث و التوحيد و الأصول و علم الكلام و التصوف و الفلسفة. قال المديوني: كان جامعا بين الشريعة و الحقيقة، متضلعا في علوم الظاهر أصولها و فروعها، منفردا بالعلوم الباطنية، و كان مبرزاً في علم التوحيد و المعقول، اشتهر بعقائده في علم الكلام على الطريقة الأشعرية كان ميالا إلى الخلوة و التفكير حتى تنكشف له الحقائق. قيل عنه إن باطنه حقائق التوحيد و ظاهرة زهد و تجريد ، كثيرا

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 87.

الخوف من الله، طويل الحزن، حسن الخلق مبتسم الوجه ، مستغرق التفكير لا يجادل أحدا إلا أفحمه جميع بين العلم والعمل والولاية .

ومن آثاره ذكر المترجمون له ما يربو من خمسين مؤلفا و شرحا اهتم فيها بالعقائد الكلامية و الحديث و الفقه و التفسير و المنطق و الأصول و القراءات و الفرائض و الجبر و المقابلة و الطب و التصوف و اللغة .

ومن تأليفه : شرحه الكبير على الحوافية ، العقيدة الكبرى المسماة عقيدة التوحيد و العقيدة الكبرى المسماة عقيدة التوحيد و العقيدة الصغرى و هي خلاصة لعقيدته و تقابل العقيدة الكبرى و تعرف بأمر البراهين أو السنوسية ثم العقيدة المختصرة و هي أصغر من الصغرى ثم المقدمات المبنية لعقيدته الصغرى، وقد وضع لهذه العقائد بنفسه شروحا⁽¹⁾

ومن تلاميذه : أبو القاسم الزواوي، ابن أبي مدين، ابن الحاج العبدري وابن العباس الصغير، ومحمد القلعي وغيرهم.

21/ أحمد بن حسن بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني:

ولد في حدود الأربعين و سبعمائة (740هـ) و توفي عام 810هـ وهو والد ابن قنفذ، صاحب الفارسية، أخذ عن جماعة كأبي علي حسن ابن أبي القاسم بن باديس، والإمام الأوحى الشريف أبي القاسم السبتي، و الإمام العلامة

⁽¹⁾ نيل الابتهاج ص 253-260 ، انظر أيضا ، أبو القاسم سعد الله المرجع السابق ، ص 88-99 ، انظر أيضا على علوش ، السنوسي التلمساني ، معجم مشاهير المغاربة المرجع السابق ص 294 . انظر أيضا حاجيات عبد الحميد و آخرين ، ص 445.

الشريف أبي عبد الله التلمساني، والشيخ الحافظ أبي عمران موسى العبدوسي والعلامة الحافظ القباب، والإمام المحدث الرحلة الخطيب ابن مرزوق الجد، والإمام النظار أبي عبد الله بن عرفة، والحافظ المفتي أبي محمد عبد الله الوانغيلي الضرير⁽¹⁾ تنقل ما بين بجاية وإفريقية والمغرب الأقصى وزار الحجاز⁽²⁾.

وقد بقي بالمغرب الأقصى ثمانية عشر عاما، فحصل علوما كثيرة ولقد لقي بالمغرب الشريف أبا القاسم السبتي وأخذ عنه و قال في وفياته، بعد الثناء علمه: وبالجملة فهو ممن يحصل الفخر بلقائه⁽³⁾.

ومن تأليفه: شرح الرسالة في أسفار و شرح الخونجي في سفر صغير و شرح أصلي ابن الحاجب، و شرح تلخيص ابن البنا، و شرح ألفية بن مالك، وأنوار السعادة في أصول العبادة في شرح بني الإسلام على خمس، وتيسير الطالب في تعديل الكواكب و ذكر أنه لم يهتد أحد من المتقدمين إلى مثله، وله كتاب بغية الفارض من الحساب و الفرائض، و تحفة الوارد في اختصاص الشريف من قبل الوالد و وسيلة الإسلام بالنبي، و أنس الفقير و عز الحقير في ترجمة الشيخ أبي مدين و أصحابه و غيرها⁽⁴⁾.

22/ أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (710 - 771 هـ / 1310 -

1370 هـ)⁽⁵⁾

(1) نيل الابتهاج، المجلد الأول ص 109.

(2) نفسه ص 110، حاجيات و آخرون ص 441.

(3) نفسه و الصفحة عينها.

(4) نيل الابتهاج، مج 1، ص 110.

(5) البستان ص 179. عادل نويهض، المرجع السابق، ص 269.

هو محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد ابن القاسم بن محمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر ابن إدريس ابن عبد الله ابن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب قال ابن خلدون يعرف بالعلوي نسبة لقريه من أعمال تلمسان تسمى بالعلونين ويعرف أيضا بالشريف التلمساني علامة تلمسان بل إمام المغرب قاطبة، قال الإمام ابن مرزوق الحفيد : شيخ شيوخنا ، أعلم أهل عصره بإجماع (1).

وقال السراج في فهرسته، شيخنا الفقيه الإمام العالم العلامة الشهير الكبير الصدر القدوة الشريف نسبا العظيم قدرا و منصباً أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل الوجيه العاقل ، العدل المبرز أبي العباس وقد قال عنه ابن مريم هو فارس المعقول و المنقول، وقال عنه عبد الرحمن بن خلدون " صاحباً الإمام العالم الفذ فارس المعقول و المنقول و صاحب الفروع و الأصول أبو عبد الله الشريف (2).

وقال عنه يحيى بن خلدون : "أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنی أخذ رجال الكمال ، علما ... (3).

ولد بتلمسان و نشأ بها و كان شغوفا بطلب العلم لا يضيع مجالس علماء ومشايخ تلمسان و قد اختص و مشايخ تلمسان وقد اختص بابني الإمام أبي يزيد وأبي موسى وعن الشيخ إبراهيم الأبلي (4).

(1) نيل الابتهاج، ص 87.

(2) ابن خلدون التعريف بابن خلدون ص 64.

(3) يحيى بن خلدون بغية الرواد ج 1 المصدر السابق، ص 120.

(4) المصدر نفسه و الصفحة عينها، نيل الابتهاج ، مج 2 ص 88 ، ص 88 ، البستان ، ص 164-165.

وارتحل إلى تونس سنة أربعين و سبعمائة فلقني الشيخ ابن عبد السلام و أخذ عنه التصوف و الحساب و الهندسة و الفرائض ليعود إلى المغرب الأوسط ولينتصب للتدريس بتلمسان ثم ليرحل في عهد السلطان أبي عنان المريني سنة 753هـ ليعود بعد ما هلك أبو عنان ليتلقاه الأمير أبو حمو موسى الثاني بكل حفاوة وأصهر له في بنته فزوجها له وبني له مدرسته اليعقوبية إلى أن وافته المنية ليلة الأحد الرابع ذي الحجة 771هـ/1370م (1).

وقد أمر السلطان أبوحمو موسى الثاني يدفنه بجوار قبر والده المولى أبي يعقوب تبركا له بجواره (2).

وقد أخذ عنه خلق كبير و علماء كبار كابن خلدون عبدا الرحمن وابن السكاك و الفقيه ابن محمد بن علي الميروقي وإبراهيم المصمودي ، وولده أبو محمد، والإمام الشاطبي وابن زمرك . وإبراهيم الثغري و غيرهم.

ومن تأليفه: ألف كتابا في القضاء والقدرة وألف في أصول الفقه مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول، شرح جمل الخونجي (3).

(1) التعريف ابن خلدون 64-66 البستان ص 166، التنسي ص 179

(2) بغية الرواد، ج1، ص 120.

(3) نيل الابتهاج مج 2 ص 94-95، ابن مريم البستان ص 164 ، انظر أيضا المقرئ (أحمد بن محمد) : نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق إحسان عباس ج5 دار صادر بيروت لبنان 1968 ص 272.

3/ أبو زيد الوغليسي⁽¹⁾: (786هـ-1384م)

هو عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي فقيه أصولي نشأ ببجاية وولي بها الفتيا و أخذ عنه كثير من علمائها. كأبي الحسن علي ابن عثمان وبن أبي اللقاسم بن محمد المشدالي ، وألف الجامعة في الأحكام الفقهية في الفروع، وتسمى الوغليسية و له أيضا المقدمة المشهورة و فتاوى⁽²⁾ وقد وصفه الشيخ محمد السعيد بن زكرياء الزواوي بأنه (الفقيه الأصولي المحدث المفسر، عمدة، أهل زمانه، وشيخ الجماعة في بجاية)⁽³⁾.

24/ أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي النونشري التلمساني أبو العباس :

هو العالم العلامة حال لواء المذهب على رأس المائة التاسعة و لد سنة 834هـ من أهل تلمسان و بها نشأ و أخذ عن كبار شيوخها كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني، وولده القاضي العالم أبي سالم العقباني، و حفيده الإمام العلامة محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، والإمام محمد بن العباس، والشيخ أبي عبد الله الجلاب، و الإمام الخطيب الصالح ابن مرزوق الكفيف وغيرهم⁽⁴⁾.

وبعد أن ألم بعلوم عصره خصوصا الفقه و البيان و النحو امتحن التدريس بتلمسان، و أكب على تدرس المدونة و فرعي ابن الحاجب و غيرها من أمهات

(1) بن وغليس: بطن من قبائل البربر في جنوب بجاية بأعلى واد الصمام، انظر عادل نويهض المرجع السابق،

ص 342

(2) نيل الابتهاج، مج 2، ص 270، حاجيات و آخرون، ص 443، محمد الشريف قاهر، عبد الرحمان الوغليسي، معجم

المشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص 550.

(3) محمد الشريف، القاهرة، المرجع السابق، ص 550

(4) نيل الابتهاج ص 144، عادل نويهض 334، البستان، ص 53، انظر أيضا السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد

الناصري : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ج 4 مصر 1894 ص 165.

الفقه المالكي⁽¹⁾ و كان مشاركا في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول " من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من محضره يقول لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه"⁽²⁾.

و في أول شهر محرم سنة 874هـ حصلت له كائنه من جهة السلطان فانتهبت داره ففر إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى واستوطنها فكان عالمها ومدرسها ومفتيها، وأخذ عنه خلق كثير من العلماء كالفقيه أبي عماد بن مليح اللمطي والشيخ أبي زكرياء السوسي والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الورتدي والفقيه عبد السميع المصمودي والفقيه محمد بن قاضي البلد الجديد الفرديس التغلبي⁽³⁾.

ومن آثاره " المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب في 12 جزءا، تعليق على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار، و غنية المعاصر و التالي على وثائق الفشتالي " ونوازل المعيار إضاءة الملك في الرد على من أفتى " بتضمين الراعي المشترك " و الفروق " في مسائل الفقه " وإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك " و المنهج الفائق و المنهل الرائق في أحكام الوثائق " و "اختصار أحكام البرزلي" و "القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب " و "الولايات" في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية والوفيات "

(1) نيل الابتهاج ص 144 البستان ص 53.

(2) نيل الابتهاج ص 144 البستان ص 53.

(3) نيل الابتهاج ص 145، البستان ص 54.

ويعرف بوفيات الونشريسي وكتاب " في ترجمة المقري الكبير جد صاحب " نفح الطيب" (1).

توفي عام أربعة عشر و تسعمائة و عمره نحو ثمانين سنة و تركت وفاته فراغا كبيرا لا سيما في مجال الفقه.

25- أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن حياشة بن سيد الناس بن أمين الناس الغياري (2) المغربي (3) المعروف بسيدي الهواري: (4)

و هو فقيه ، متصوف زاهد متقشف، ذائع الصيت في أقطار المغرب (5) .
ولد في مغراوة سنة 751هـ/1351م و نشأ بها و تعلم في أحد كتاتيبها، فدرس مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ علي بن عيسى ثم ارتحل نحو بجاية فأخذ عن عبد الرحمن الوغليسي (6) وأحمد إدريس (7) المتوفى سنة 760هـ/1359م ثم انتقل سيدي الهواري نحو مدينة فاس عاصمة المرينين و فيها أخذ عن الشيخ موسى العبدوسي المتوفى سنة 776هـ (8)

(1) البستان ص 53، نيل الابتهاج ص 145، الاستقصاء ص 165.

(2) ابن سحنون الراشدي: الثغر الحماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي قسنطينة 1973 ص 433،

(3) نسبة إلى قبيلة مغراوة البربرية الزناتية، انظر وصف افر يقيا، المصدر السابق، ص 45.

(4) نسبة إلى قبيلة هواره إحدى بطون قبائل البربر الفاطنة بالمغرب الأوسط عبد الحميد حاجيات، سيدي الهواري شخصية و تصرفه، مجلة الثقافة العدد

(5) نيل الابتهاج مج 2 ص 192، البستان ص 228، عادل نويهض ص 337 حاجيات و آخرون ص 450.

(6) البستان، المصدر السابق ص 288، نيل الابتهاج مج 2 ص 192

(7) عالم من علماء القرن الثامن الهجري، و هو من المتصوفة الين عرفتهم بجاية تتلمذ على يد العلامة عبد الرحمن بن خلدون و أخيه يحيى بن خلدون انظر التنكيتي، المصدر السابق، ص 96.

(8) نيل الابتهاج مج 2 ص 300.

* و الشيخ القباب المتوفى سنة 778هـ الذي أخذ عنه الكثير من العلوم الدينية والدينية و من فاس ارتحل إلى الشرق للحج و زيارة حواضرها العلمية للأخذ عن علمائها، فكانت وجهته مصر التي أخذ فيها عن الحافظ العراقي المتوفى سنة 806هـ ثم ارتحل نحو البقاع المقدسة حيث جاور مدة بالحرم الشريف بين مكة و المدينة ثم سافر نحو القدس ثم بلاد الشام وعند رجوعه إلى المغرب الأوسط استقر بوهران مثابرا على العلم والعمل والصدق في الأحوال (1).

وقد أخذ عنه كل من الشيخ ابراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ الذي لازم سيدي الهواري طويلا (2) و الشيخ أبركان بن مخلوف المزيلى الراشدي دفين تلمسان والمتوفى سنة 857هـ و كان قد أخذ عنه الكثير من الطلبة خاصة عندما زار مدينة فاس حيث كان هؤلاء الطلبة يقرؤون عليه القرآن والعربية والفقه ويتحدثون أهم ما رأوا أبرك من قراءته (3) ومن مآثره " التسهيل " و "تبصرة السائل" و " التبيان " و كتابه الشهير السهو والتنبيه .

نوفي الإمام محمد بن عمر الهواري في الثاني ربيع الثاني سنة 843هـ / 12 سبتمبر 1439 (4).

* هو موسى بن محمد بن معطي العبدوسي نزيل فاس و هو عالم و فقيه و مدرس وله إيدال عجب في إقراء التهذيب للبرادعي.

(1) نيل الابتهاج مج 2 ص 112، البستان 228-229، أبو عمران الشيخ معجم مشاهير المغاربة المرجع السابق ص 547.

(2) البستان معجم مج 2 ص 229، نيل الابتهاج مج 2 ص 192.

(3) نيل الابتهاج مج 2 ص 112، البستان ص 228-229، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337.

(4) نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 194.

26/ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي: (...-909هـ،.....-)

(1503م)

هو بن عبد الكريم المغيلي التلمساني خاتمة المحققين الإمام العالم الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطه في الفهم و التقدم⁽¹⁾، نشأ بتلمسان و درس بها فأخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني كما أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير و غيرهم.

و أخذ عنه جماعة، الفقيه الشيخ العاقب الأنصمي المسوفي و محمد بن عبد الجبار الفيحجي⁽²⁾ المتوفى عام 950هـ/1543م) و الشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التادختي المتوفى عام 936هـ/1589م) قال في شأنه "التبكي: شيخنا فقيها عالما علامة محققا ، فهامة ، محدثا ، متفننا ، رحلة ، شهيرا محصل نافذا، جيد الحظ، و الفهم، حسن الإدراك كثير التراع"⁽³⁾.

ووقعت مناظره بين المغيلي و الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي بمصر حول قيمة علم المنطق فكتب المغيلي رسالة ضمنها بقصيدة

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ❖ و كل حديث حكمة حكم أصله

❖ و ينهى عن الفرقان في بعض قوله

(1) نيل الابتهاج مج 2 ص 265، البستان ص 253، عبد الحميد حاجيات و آخرون ص 445، عادل نويهيض

المرجع السابق، ص 307.

(2) البستان، المصدر السابق، ص 253-254، نيل الابتهاج، مج 2، ص 266.

(3) البستان، المصدر السابق، ص 256.

- هل المنطق المعنى إلا عبارة ❖ عن الحق أو تحقيقه حيث جهله
- معانيه في كل الكلام و هل ترى ❖ دليلا صحيحا لا يرد لشكله
- أرني هداك الله منه قضية ❖ على غير هذا تنفها عن محله
- ودع عنك أبداه كفور و ذمة ❖ رجال و إن أثبت صحة نقله
- خذ الحق حتى من كفور ولا تقم ❖ دليلا على شخص بمذهب مثله
- عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ❖ به لا بهم إذ هم هداه لأجله
- لئن صح عنه ما ذكرت فكم هم ❖ وكم عالم بالشرع باح بفضله
- فأجابه السيوطي بقولته:
- حمدت إله العرش شكرا لفضله ❖ وأهدى صلاة للنبي و أهله
- عجبت لنظم ما سمعت بمثله ❖ أتاني عن خير أقر بنبله
- تعجب مني حين ألفت مبدعا ❖ كتابا جموعا فيه جم بنقله
- أقرر فيه النهى عن علم منطق ❖ وما قاله الأعلام من ذم شكله
- و سماه بالفرقان يا ليت لم يقل ❖ فذا وصف قرآن كريم لفضله
- و قال فيه فيما يقرر رأيه ❖ فقللا عجيبا نائيا عن محله
- و دع عنك أبداه كفور و يعد ذا ❖ خذ الحق حتى من كفور بختله
- و قد جاءت الآثار في ذم من حوى ❖ علوم يهود أو نصارى لأجله
- يعزز به علما لديه و أنه ❖ يعذب تعذيبا يليق بفعله
- و قد منع المختار فاروق صحبه ❖ و قد خط لوحا بعد توراة أهله

- ❖ و قد جاء من هـى اتباع لكافر و إن كان ذلك الأمر حقا بأصله
- ❖ أقمت دليلا بالحديث ولم أقم دليلا على شخص بمذهب مثله
- ❖ سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء و اعترف بفضلـه

يستنج من هذه المجادلة أن المغيلي يرى أن المنطق هو الحق أو هو الذي يؤدي إلى الحق وأن أخذ الحق يجوز من الكفار لأن معرفة الناس بالحق هي المبدأ المعتمد و ليس معرفة الحق بالناس (1).

وقد ارتحل المغيلي نحو الجنوب و بالضبط نحو تواب و كان سبب ارتحاله و مغادرته لتلمسان بسبب خلاف و قع بينه و بين ملوك بني زيان عام 870هـ/ 1465 أو بسبب الحملة التي أعلنها ضد اليهود الذين كانوا يسيطرون على مصادر التجارة و المال و الذين قاموا بشراء ضمائر بعض المسؤولين فأصبحوا دماه في أيديهم، و لما انتقل في الجنوب وجد اليهود يسيطرون على حركة القوافل التجارية و الدروب التجارية الرابطة بين توات و بلاد السودان و يتصرفون بكل حرية في تأسيسهم لشركات تجارية بعدما تمكنوا من شراء ذمم الأمراء، و لما رأى المغيلي ذلك استفتى علماء تلمسان و فاس و تونس في قضية يهود توات، و من الذين انتصروا له محمد بن يوسف السنوسي و محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مفتي تلمسان ، و أحمد بن زكري فالمسألة ليست دينية بل هي مسألة سياسية و اقتصادية معا ذلك أن اليهود (و أهل الذمة عامة) اغتتموا فرصة الضعف السياسي و الاقتصادي للدولة و راحوا يستعملون حيلهم و نفوذهم للتدخل في شؤون المسلمين و في صميم الحكم نفسه. لذلك ألف

(1) سعد الله تاريخ الجزائر ، المصدر السابق، ص 113

المغيلي رسالة في الموضوع قسمها إلى ثلاث فصول ، فخصّ الفصل الأول بما يجب على المسلمين من اجتناب الكفرة بحيث لا يقرب المسلم كافرا من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله، ولا يفعل ذلك من المسلمين إلا من لا دين و لا مروءة له ، وتناول في الفصل الثاني ما يلزم أهل الذمة من يهود و نصارى من الجزية، أما الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن يهود هذا الزمان في سائر الأوطان من الجرأة و الطغيان و التمرد على الأحكام الشرعية و التدخل في شؤون الدولة الإسلامية⁽¹⁾ .

ثم انتقل المغيلي من تواب نحو السودان الغربي و أول مدينة حل بها مدينة " كانو"⁽²⁾ ، واجتمع بسلطاتها و كتب له رسالة أرشده فيها إلى التزام الجاد في حكمه* ، كما قام بالتدريس بمسجد مدينة " كانو" لينتقل بعد ذلك على دولة سنغاي و بالضبط إلى مدينة غاو العاصمة والاتصال بحاكم هذه الدولة وهو الحاج محمد الأسقيا فأكرمه و كتب له أسئلة ترجاه الإجابة عليها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام⁽³⁾ وعرفت برسائل السبع.

لقد تمكن محمد بن عبد الكريم المغيلي قبل توجهه نحو السودان من إجلاء جميع يهود توات سنة 882-1477م و بذلك سيطر على كامل القصور التواتية و تغيير

(1) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 44.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابع بونار ص 18-20، انظر أيضا أبو عمران الشيخ، المغيلي، معجم المشاهير ، المرجع السابق، ص 505.

* انظر الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الدراسة .

(3) محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي ، تحقيق عبد القادر زبادية ص 8-10

انظر نيل الابتهاج مج 2 ص 265 ، البستان ص 255.

طبيعة الحكم بها فانتقلت بذلك عاصمة إقليم توات من تمنطيط إلى نواحي بوعلي و لعدم ثقة المغيلي في رؤساء و زعماء القبائل جعل ابنه عبد الجبار على رأس جيشه الذي كان يسهر على حماية النظام التواتي ، وضبط القوانين الشرعية و خضعت لسلطته جميع النواحي⁽¹⁾ فقد تمكن من تغيير النظام السياسي بتواب تغييرا جذريا، فقام بسحب السلطات من رؤساء القبائل و جمعها في يد تشخص واحد، و أصبحت بذلك توات منذ سنة 883هـ -1478م مستقلة في قرارها .

ومن مآثره⁽²⁾ " البدر المنير في علوم التفسير " و " مصباح الأرواح في أصول الفلاح " كتاب عجيب أرسله للسوسى وابن غازي فقرضاه، و مغني النبيل " شرح لمختصر خليل لم يكمله، و " إكليل المغني " و " كتاب في المنهيات " و " مختصر تلخص المفتاح " و " شرح المختصر " و " مفتاح النظر في الحديث " فيه أبحاث مع النووي في التقريب و " شرح الجمل في المنطق " و مقدمة فيه و " منح الوهاب " منظومة في المنطق و ثلاثة شروح عليها، و " تنبيه الغافلين " و " شرح خطبة المختصر " و " مقدمة في العربية " و " كتاب الفتح المبين " و " فهرسة " ذكر فيها مروياته، و عدة قصائد منها الميمية على وزن البردة ، و " أحكام أهل الذمة "

(1) أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتواب عصره و آثاره 870-1465-909هـ -

1503م رسالة ماجستير وهران 1999-2000 ص 54-55

(2) المقرئ ، أبو العباس ، روضة الآس العاطرة الأنفاس ، المطبعة الملكية الرباط 1964، 303، 304

و " التعريف فيما يجب على الملوك " ⁽¹⁾ ولقد أدركته المنية بتوات سنة 909هـ /
1503م ⁽²⁾.

(1) البستان، المصدر السابق، ص 255. انظر أيضا نيل الانتهاج مج 2 ص 266، عادل نويهض، المرجع السابق

ص 308. حاجيات عبد الحميد و آخرون، المرجع السابق، ص 455.

(2) نيل الانتهاج مج 2 ص 266، البستان ص 255، المقرئ، المصدر السابق، ص 3050.

الفصل الثالث

العلوم اللسانية والعلوم العقلية

أولا: العلوم اللسانية.

ثانيا: العلوم العقلية.

أولاً: العلوم اللسانية .

وفي مجال العلوم اللسانية قد حظيت الدراسات اللسانية وعلوم اللغة و ما يتفرع عنها ممن العلوم و الآداب بإقبال كبير من قبل طلبة العلم بالمغرب الأوسط في عهد الزيانيين حيث برز في هذه الفترة الكثير من النحاة واللغويين والأدباء والشعراء والكتاب فلقد أولى العلماء وطلبة العلم جل اهتمامهم للنحو و تلاه في ذلك العروض ، كما اهتموا أيضا بعلوم البلاغة أما الأدب شعرا ونثرا فإن التراجم لا تشير إليه إلا نادرا ، كان التأثير الديني على علوم اللغة و الأدب واضحا ففي الأدب مثلا اعتنى الناس على الخصوص بالمدائح الدينية و من بين العلماء الذين نبغوا في هذا المجال :

أبو بكر ابن الخطاب الغافقي المرسي نزيل تلمسان ، أبو بكر إسحاق الأنصاري التلمساني الذي ولد بتلمسان 609 هـ و سافر إلى الأندلس رفقة والده و هو في التاسعة من عمره و أبو عبد الله بن هدية القرشي ، و أبو محمد عبد المنعم بن محمد يوسف بن عتيق الغساني نزيل مدينة الجزائر و أبو عبد الله التميمي ، و القلعي، و العفيف التلمساني ، و ابن الخميس التلمساني و أبو القاسم المشدالي وغيرهم.

1. محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي المرسي سنة 686 هـ:

نزىل تلمسان من أهل مرسية كان من أبرع الكتاب خطا و أدبا وشعرا (1)، و " بوفاته انقرض علم الكتابة " (2). لقد قرأ العربية و النحو على أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي، و درس الأدب على أبي علي الحسن بن عبد الرحمان الكيناني الرفاء، و الحديث و الفقه على أبي بكر محمد بن محرز الزهري و الأصول على أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي (3) ثم ارتحل إلى غرناطة و بها عين كاتبا للسلطان (4) ثم عاد إلى مسقط رأسه إلى أن الفتن كانت ضاربة إطنابها هناك و تعدي النصارى على المسلمين بالأندلس و العمل على استرجاع الأراضى أو كما عرفت بعلمية الاسترداد، فعاد إلى تلمسان واستقر بها حيث شغل كاتبا لأمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان إلى أن توفي في عاشوراء سنة 686 هـ (5) و مما نظم قوله :

اققع بما أوتيته تمل الغنا ❖ و إذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو ❖ رمنا زيادة ذرة لم نقدر
و الله أرحم بالعباد فلا تسل ❖ أحدا تعش عيش الكرام وتؤجر

(1) البستان، المصدر السابق، ص 227، بغية الرواد ج 1 ص 129، الإحاطة مج 2 ص 426، محمد بن رمضان شاوش/ الغويق بن دحمان، إرشاد و الحائر إلى أثار أدباء الجزائر مج 1، ط 1، تلمسان 2001 ص 221.

(2) التنسي نظم الدر، المصدر السابق، ص 128.

(3) الإحاطة مج 2 ص 426، حاجيات أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق ص 50.

(4) بغية الرواد ج 1 ص 129.

(5) بغية الرواد الجزء الأول ص 129، حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 50، البستان، ص 127.

- ❖ وإذا سخطت لبؤس حالك مرة ❖ ورأيت نفسك قد [غوت فلتبصر]
- ❖ وانظر إلى من كان دونك تذكر ❖ لعظيم نعمته عليك و تشكر⁽¹⁾
- ❖ من نظمه كذلك قوله :
- ❖ اشكر لربك و انتظر ❖ في أثر عسر لأمر يسرا
- ❖ واصبر لربك و ادخر ❖ في ستر ضد الفقر أحرا
- ❖ فالدهر يعثر بالورى ❖ و الصبر بالأحرار أجرا
- ❖ و الوفير أكثر معشرا ❖ و الفقر بالأخيار يفرا⁽²⁾
- ❖ و من نظمه أيضا :
- ❖ أبصرت أبواب الملوك تغص بـ ❖ الراجين إدراك الغنا و الجاه
- ❖ مترقبين لها فمهما فتحت ❖ خروا لأذقان لهم و جباه
- ❖ فأنت من ذاك الزحام وأشفت ❖ نفسي على انضاء جسم الواه
- ❖ ورأيت باب الله ليس عليه من ❖ متراحم فقسطت باب الله
- ❖ و تحذته من دونه لي عدة ❖ وافقت من غيبي و طول سفاه⁽³⁾

(1) الإحاطة، مج 2، المصدر السابق، ص 428.

(2) العبدري (محمد البلنسي) الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو مطبعة البعث قسنطينة د.ط ص 15.

(3) المصدر نفسه، ص 15.

و مما قاله في صباه :

- ❖ يا دعوة شاك ما قد ❖ دهاه من لحاظ رشاك
- ❖ تصدى للقلوب يصيدها ❖ من ناظريه في سلاح شاك
- ❖ ورمى و إن قالوارنا عن ❖ فاتر سباح عليه سيم النسك
- ❖ قد كنت أحذر بطشه لو أني ❖ أبصرت منه مخايل الفتاك
- ❖ ما عليه و لا عليه حاكم ❖ يحمي ثغورك أو يحوط حماك
- ❖ أو ما لجارك ذمة مرعية ❖ أبدا يظل دم الغريب طلاك
- ❖ إني استتمت إلى ظلالك ضلة ❖ فإذا ظباءك ما ضيات ظباك
- ❖ و قال يجيب أبا عبد الله بن خميس عن قصيدة بعث بها إليه أولها :
- ❖ رد في حدايق مائها مرتاد ❖ قد لد مروود و طاب مراد
- ❖ زرق الاسنة دون زرق حمامها ❖ و ظبا كما رنت العيون جدادا (1)
- ❖ ويمدح الشاعر ابن خميس التلمساني
- ❖ رقت حواشي طبعك ابن خميس ❖ فهفا قريضك بي و هاج رسيسى
- ❖ و مثله يصبو الحليم و يمتري ❖ ما للشروق به و سير العيسس

(1) الإحاطة مع 2 ص 428.

لك في البلاغة والبلاغة بعض ❖ ما تحويه من أثر محل ريسى

نظم و نثر لا تبارى فيهما ❖ تمهدت ذاك و ذا بعلم الطوسي (1)

2. أبو اسحاق التلمساني ابراهيم بن ابي بكر بن محمد الله بن

موسى الأنصاري :

ولد بتلمسان سنة 609 هـ ، انتقل مع أبيه إلى الأندلس و هو ابن تسعة أعوام و استوطن غرناطة ثلاثة أعوام ثم رحل إلى مالقة فسكن بها مدة، و بها قرأ معظم قراءاته فقرأ على أبي بكر بن دحمان و أبي صالح محمد بن محمد الزاهد ، و أبي عبد الله بن حفيد، و أبي الحسن بن سهل بن مالك، و أبي بكر بن محرز ، و أبي الحسين بن طاهر الدباج و أبي الحسن الشلوبيني، ثم انتقل إلى سبتة و استقر بها و لقي بها الحسن بن عصفور الهواري و أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة و أبا يعقوب يوسف بن موسى الغماري الحاسني ، فأصبح حينئذ فقيها عارفا مبرزا في العدد و الفرائض متضلعا في الأدب ، نظم الفرائض و هو ابن عشرين سنة (2) ، له أرجوزة محكمة بعلمها ضابطة عجيبة الوضع له منظومات في السير و مدائح النبي "صلى الله عليه و سلم" و قصيدة في المولد النبوي ، كما له أرجوزة مشهورة في علم الفرائض تعرف بالتلمسانية. لم يصنف في فنها أحسن منها (3) وقد وضعها وهو ابن ثماني وعشرين سنة.

و من شعره و هو يذم الغدر :

(1) نفع الطيب ج 3 ، ص 184 . الإحاطة مع 2 ، ص 430 .

(2) بنية الرواد ج 1 ، المصدر السابق ، ص 109 .

(3) الإحاطة مع 1 ، ص 326 ، انظر أيضا عبدلي الحضر ، الحياة الثقافية ، المرجع السابق ، ص 243 .

- ❖ الغدر في الناس شيمة سلفت ❖ قد طال بين الورى تصرفها
- ❖ ما كل من سرت له نعم ❖ منك يرى قدرها و يعرفها
- ❖ بل ربما أعقب الجزاء بها ❖ مفره عنك عز مصرفها
- ❖ أترى الشمس تعطف بالنور ❖ على البدر و هو يكسفها⁽¹⁾
- و يمدح أمير سبته أبي القاسم العزفي :
- ❖ أرأيت من رحلوا وزموا العيسا ❖ ألا يزول على الطول حسيسا
- ❖ أحسبت سوف يعود نسف تراهما ❖ لنا يشفى لديك نسيسا
- ❖ هل من مؤنس نارا بجانب طورها ❖ لأنسيها أم هل تحسن حسيسا⁽²⁾

3. محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني :

هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي و هو من ولد عقبة بن نافع الفهري⁽³⁾ هو تلمساني المنشأ و الدار تولى خطة القضاء ، ببلده مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول الذي كان يشاوره في تدبير ملكه و لا يجري شيئاً من الأمور إلا بعد استطلاع نظره و كانت وفاته قبل وفاة السلطان أبي تاشفين الأول و قبل استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان فكانت وفاته إذا أواسط سنة 735 هـ⁽⁴⁾.

(1) الإحاطة مج 1 ، المصدر السابق ، ص 336.

(2) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(3) البستان ، ص 225 ، بغية الرواد ج1 ، ص 116 ، نفع الطيب ، ص 234 .

(4) البستان ، ص 225 ، نفع الطيب مج 5 ص 234 .

كان ابن هدية من أئمة اللسان و الأدب ذو بصر بالوثائق و كتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان⁽¹⁾ و كان كاتباً بليغاً و من مآثره تاريخ تلمسان⁽²⁾ و يبدو أن هذا المؤلف ضاع أثناء الحصار الطويل لتلمسان و شرح رسالة ابن خميس نظماً و نثراً و كان سبباً في هجرة بن خميس من تلمسان إلى الأندلس فكان عنوان الرسالة : التعليق النفيس في شرح رسالة ابن خميس و كتابته لهذا الشرح إنما كانت جبراً لا اختيارياً لأن ابن خميس في نظره فيلسوف وهو مرادف لزنديق مارق عن الشريعة بل كافر يستوجب فيه القتل إن لم يتب و يصرح بتوبته حيناً.

فالفلسفة عند ابن هدية كفر صريح و في ذلك يقول " ... و الفلسفة عند أهل السنة و كافة الأشعرية عبارة عن الزندقة البحتة و الضلالة المحضة و الكفر الواضح ... فوجب تكفير شيعتهم من المفلسفة الإسلاميين كابن سينا و الفرابي و غيرهما من المهتدين بهديهم المقتدين برأيهم عليهم لعنة الله أجمعين " (3)

و لقد عين قاضياً بتلمسان و من تلامذته المقري الكبير و أبو البقاء البلوي و لقد توفي سنة 735 هـ و شهد جنازته السلطان الزياني أبو تاشفين و ولى ابنه على منصور مكانه يومئذ و لما ثقل لسانه دعا هذا فقال له : أكتب البيتين فان في نظمتهما على هذه الحالة فكتب :

(1) البستان ص 225 ، بغية الرواد ج 1 ، ص 116 .

(2) حاجيات عماد الحميد ، أبو حمزة موسى الثاني ، المرجع السابق ، ص 52 .

(3) المهدي أبو عبد الله ، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ مجلة الأصالة ، عدد 26 ، ص 131 .

- إلهي مضت للعمر سبعون حجة ❖ جنيت بها ما جنيت الدواهيها
وعبد قد أمسى رهين ذنوبه ❖ فجدلي برحمتي منك، نعم الدواهيها (1)

و لما ورد الأديب أبو عبد الله محمد المكودي من المغرب رفع إليه قصيدة
أولها :

سرت والدجى لم يبق إلا يسيرها ❖ نسيم صبا يجيى القلوب مسيرها

فيها الأبيات العجاب التي سارت سير الأمثال و هي قوله :

وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت ❖ لشكلى لولّى ثكلها و ثبورها

فما يستوي مثوى لها من سوى القنا ❖ خيام ومن بيض الصفاح ستورها

وما يسوى صدق الغرام أو رمها ❖ ولا يسوى زور الخيال أزورها (2)

4. علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي أبو

الحسن التلمساني 789-710 هـ / 1387-1310 هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي التلمساني ، ولد بتلمسان و بها نشأ
وحصل على مبادئ العلوم و الأدب ، أخذ عن القاضي بن الحاج البليقي

(1) بغية الرواد ، ج 1 ، ص 116 ، نفح الطيب، مج 5 ، ص 234-235.

(2) نفح الطيب، مج 5 ص 235.

وابن مرزوق الخطيب و غيرهما و قد نبغ في الأدب و التاريخ و الفقه و الحساب ، ولما نبه شأنه استكتبه السلطان أبو سالم المريني ثم استكتبه ملوك بني عبد الواد و أخيار استقر بفاس ككاتب الأشغال عند ملوك بني مرين . .

ومن آثاره كتابه " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحرف و الصنائع و العملات الشرعية " ألفه لسلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني (1) .

وله من النظم قوله لما كتب بموسى بن أبي عنان المريني فرسه بحج الشماعين بفاس اثر صلاة الجمعة فأنشد الشاعر الأبيات التالية :

- | | | | |
|---|-------------------------------|---|--------------------------------|
| ❖ | ومن يلماها-لعمري-فما هو ظالما | ❖ | مولاي لا ذنب للشقراء إن عثرت |
| ❖ | من أجل ذلك لم تثبت قوائمهما | ❖ | وها لها ما اعترها من مها بتكلم |
| ❖ | تكبو الجياد و لم تنب عزائمها | ❖ | ولم تزل عادة الفرسان من ركبوا |
| ❖ | أعلى النبئين مقدارا و خاتمها | ❖ | وفي النبي رسول الله أسوتنا |
| ❖ | في جنبه خدشة تبدو مراسمها | ❖ | كبابه فرس أبقى بسقطته |
| ❖ | لنا لها سنة لاحت معالها | ❖ | حتى أصلى صلاة جالسا ثبتت |
| ❖ | أزكى صلاة تحييها نواسمها (2) | ❖ | صلى عليه الإله دائما أبدا |

5. محمد بن عمر العجوي المالمعروف بابن خميس التلمساني: 645

708-هـ / 1247-1309 م

(1) إرشاد الحائر ، المرجع السابق ، ص 284 ، عيد الرحمن الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، الجزائر 1982 ،

ص 113 ، 115 .

(2) عيد الرحمن الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 102 ، 103 .

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحميري الحجر الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني⁽¹⁾ و ينحدر من ذرية حَجْرٍ ذي رُعَيْن ، أبوه من قبيلة يمنية من شعب حمير و قد في القسم الشعري من رسالته الأولى يفتخر بكونه بنسبه هذا في مواضع عدة من شعره و نشه من ذلك قوله من رسالته الأولى يفتخر بكونه سليل الدوحة الحميرية .

- ❖ وان اتسبت فإنني من دوحة تتقيل الأقيال برد ظلالها
- ❖ من حمير من ذي رعين من ذري حجر من العظماء من أقيالها
- ❖ وإذا رجعت لطينتي معنى فما سلساهم بأرق من صلصالها⁽²⁾

و قوله في القسم النثري :

" فلو ساجلت بنبعها أبا كَرْب ، وأرته ضراعة خدّها التّرب ، لساجلت به أخضر الجلدة من بيت العرب ماجدا يملأ الدّلو إلى عقد الكرب بل لو حطّت بفناء ، بيتها الحجري رحلها ، وساجلت بفناء ، جدّها ذي رُعَيْن لا ستوفت ساجلها " ⁽³⁾

نشأ بتلمسان ، وكان نسيج وحده زهدا و انقباضا ، و أدبا وهمة حسن الشبية ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، بعيدا عن الرياء و الهوادة⁽⁴⁾ عارف

(1) MEZIANE (Abdel-Salem) , Ibn khamis , poète Tlemcenien du XIII^e siècle , (1) deuxième congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord Tlemcen T. 11 , P 1058 . 1932.

(2) الإحاطة بسجع 2 ، ص 556 .

(3) الإحاطة بسجع 2 ، ص 559 .

(4) الإحاطة بسجع 2 ص 527 ، بغية الروادح 1 ، ص 100 عبد الرحمن الجبلالي ، ص 1 ، ص 169 ، المهدي بوعبدلي ، الأصالة ص 128 ، حاجيات وآخرون ص 447 .

بفنون الأدب و الفلسفة و الحكمة و النجاعة و السيمياء ، مؤرخا مطالعا على أختيار الأمم و الفرق و الطوائف على اختلاف حللها و نحلها ، كاتباً بليغاً و شاعراً، و كان لغزارة علمه يوصف بين أهل العلم بشيخ الأدباء ، و عرف بشاعر المائة السابعة⁽¹⁾ و قال عنه العبدري في رحلته " ما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم و لا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس وهو فتى السن . مولده عام خمسين و له عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه و المعين عليه ، و حظ وافر من الأدب ، و طبع فاضل في قرض الشعر " (2) .

لقد نشأ ابن خميس في أسرة فقيرة ، و ظل فقيراً حتى عندما أصبح له باع طويل في الشعر ، و قد أشار إلى فقره في شعره ، وهو يعزو ذلك إلى علمه لان العلم و المال ضدّان لا يجتمعان ، يقول:

يا أبي ثراء المال علمي و هل ❖ يجتمع الضدّان : علم و مال .
وتأنف الأرض مُقامي بها ❖ حتى تهاداني ظهور الرجال (3)

و حول مسكنه أشار يحيى ابن خلدون أنّ : " مسكنه بيت فندق فرشه سلايخ الضأن لا غير " (4) .

(1) بغية الرواد ج 1 ، ص 109 ، البستان ص 225 .

(2) رحلة العبدري ، المصدر السابق ، ص 11 .

(3) الإحاطة مج 2 ، ص 553 .

(4) بغية الرواد ج 1 ، ص 109 .

و عاش بتلمسان بين أحضان الطبيعة الجميلة الرائعة ، و ظلت ذكرياته فيها ماثلة في ذهنه فنجره عندما فارقها إلى الأندلس يسجلها في قصائده تفتح بالحنين إلى تلك الأيام الخوالي من شبابه التي قضاهما بين جنباتها يسرح ويمرح في معاهدها ، وينعم بالصفاء و الهناء يقول:

- ❖ وعهدي بها و العمر في عنفوانه
❖ وماء شبابي لا أُجِينُ ولا مَطْخُ (1)
❖ قرارة قهيام أو مغنى صباية
❖ و معهد أنس لا يلدّ به لَطْخُ
❖ إذ الدهر مثنيّ العنان منهنة
❖ ولا ردع يثني من عناني ولا رَدْخُ (2)
❖ ليالي لا أصغي إلى عدل عاذل
❖ كأن وقوع العدل في إذني صَمْخُ (3)
إلى أن يقول :

- ❖ أنسى وقوفي لاهيا في عراضها
❖ ولا شاغل إلا التودّع و السبْخُ (4)
❖ وإلا احتيالي ماشيا في سماطها
❖ رخيا كما يمشي بطرته الرِخُ (5)
❖ وإلا فعدوي مثلما ينفر الطّلا
❖ وليدا ، وحجلي مثلما ينهض الفرخُ
❖ كأتّي فيها أرد شير بن بابك
❖ ولا ملك لي إلا الشبية و الشرخُ (6)

(1) : ما يبقى في الحوض و الغدير من الماء الذي تكاثرت فيه الدعاميص

(2) الردخ : الردع

(3) الصمخ : الضرب في صماخ الأذن .

(4) السبّخ : الفراغ .

(5) الرخ : حجر حر الحركة من أحجار الشطرنج .

(6) نفع الطيب ج 5 ، ص 371 .

لم يتعرض مترجموه لنشأته أن مشيخته على وفرة عددهم ، وهم الرحالة العبدري ، لسان الدين بن خطيب ، عبد الرحمن بن خلدون و أخوه يحيى ، واحمد المقري ، وابن القاضي ، و ابن القنفذ القسنطيني ، و السيوطي ، وابن مريم و الشريف الغرناطي⁽¹⁾ .

ولاشك أن لأبي بكر خطاب الغافقي تأثيره الكبير في تكوين ثقافة ابن خميس ولاسيما في توجيه ميوله إلى الأدب ، فكان ابن خميس يحفظ كثير من أشعاره مما انشده إياه بنفسه⁽²⁾ .

تولى ابن خميس رئاسة كتابة الإنشاء في ديوان السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 681 هـ و هذا ما أشار إليه يحيى بن خلدون و كاتب إنشائه — أبي سعيد عثمان — الفقيه العارف أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس⁽³⁾ . لكن كثرة حساده و كثرت فيه الواشيات فغادر تلمسان سنة 693 هـ و توجه نحو سبته بالمغرب الأقصى بقصد الإقراء والإقامة فيها . و ذكر ابن الخطيب أنه " كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان ، ثم فر عنهم ، و قد أوجس منهم خفية لبعض ما يجري بأبواب الملوك " ، لترك حياة القصر التي ضاق بها ذرعا ، و آثار " حياة البساطة و الزهد ، و كيف يعقل منه ذلك وهو الذي كان يردد قول شيخه أبي بكر بن خطاب :

أبصرت أبواب الملوك تغص بـ ❖ الراجين إدراك الغنى والجاه

(1) المهدي البوعبدلي ، أصالة ، المرجع السابق ، ص 130 ، 129 .

(2) فرحات الشريف خوالد ، أبو عبد الله ابن خميس التلمساني ، حياته وأدبه رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ،

1993 م ، ص 34 .

(3) بغية الرواد ، ص 208 .

- مترقبين لها فمهما فتحت ❖ خرّوا بأذقان لهم وجباه
- فأنفت من ذاك الزحام وأشفقت ❖ نفسي على أنضاء جسمي الواه
- و رأيت باب الله ليس عليه من ❖ متزاحم فقصدت باب الله
- وتخذته من دوهم لي عدّة ❖ وأفقت من غيبي وطول سفاه⁽¹⁾

و مدح رؤساءها من بني العزفي ، فغنم عطفهم بعد أن رمته الأيام بالحن والبعد عن الأهل و الخلان و الوطن إلا أنه رأى في المغرب الأقصى مكر الماكرين ، وكيد الكائدين ، فاتهم بالزندقة فتمت محاكمته بفاس و قد صادفت محاكمة ابن خميس وجود ابن هديّة و يبدو و أنه كانت له اليد الطولى في تدبير أمر هذه المحاكمة ، فكان حاضرا أثناء محاكمته ووصفها بقوله " فاتفق أن اجتمع في بعض محافلها الحافلة ، و مجالسها العامرة بأهل الفضل ، الآهله بطائفة من حذاق الاشعرية و جماعة من فقهاء المالكية ، كالشريف ابن البركات⁽²⁾ وغيره في فقهاء القطر ففتحوا باب المذاكرة ، و سلكوا سبيل المناظرة و تفننوا في الكلام إلى أن اخذوا في علم الكلام استدراجا بن خميس ، و استخراجا لخبّ مذهبه الفلسفي الخسيس⁽³⁾ .

وقد وقف ابن خميس موقف الأبطال حيث دافع عن آرائه وأفخم خصومه بحجج قاطعة حتى لم يبق في المناظرة إلا خصمه الذي نصب له الكمين بحكم

(1) العبدري ، مصدر سابق ، ص 5.

(2) هو الشريف أبو البركات محمد بن علي الحسني المعروف ببلده فاس بالشواذكي ، الأصلة عدد 49 ، 50 ، ص 7.

(3) المهدي ابو عبدلي ، الأصلة ، المرجع السابق ، ص 131.

مركزه السياسي وهو الشريف أبو البركات (1) الذي كان يستدرجه ليسجله في دفتر الزنادقة ، وتسجيل المحكوم عليه في هذا الدفتر يعني هدر دمه (2) .

ولقد فر ابن خميس من تنفيذ حكم الإعدام عليه عائدا إلى تلمسان التي عاش فيها بعيدا عن انتظار الناس و الحاقدين في حالة انزواء و انزال يترقب مرور الأخطار التي كانت تحدق به ومن المراقبة الشديدة له لاسيما من قبل خصمه العنيد ابن هدية و قد أشار ابن خميس إلى ما كان يتعرض له من ظلم واضطهاد:

ومن العجائب أن أقيم ببلدة ❖ يوما واسلم من أدى جهّالها
شغلوا بدنياهم أما شغلتهم ❖ عني فكم ضيعت من اشغالها
حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم ❖ شمس الهدى عبثوا بضوء ذبالها (3)

وكان لهذه التهمة التي وجهت لابن خميس ، أن بقي مجهولا بين أهله ، على الرغم من أن سمته قد وصلت إلى المشرق ولم ينتشر له ذكر حتى في كبر ، يوم أصبح فارس حلبة القريض و البيان .

و ذكر المقري أن السلطان أبا عنان المريني قال " اخبرني الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي ، قال : لما توجه الشيخ

(1) نفس المرجع و الصفحة عينها .

(2) فرحات خويلد ، المرجع السابق ، ص 37 .

(3) الإحاطة مج 2 ، ص 556 .

صالح الشهير ، أبو إسحاق التنيسي من تلمسان إلى بلاد الشرق اجتمع هناك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد⁽¹⁾ فكان من قوله:

- كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟ و جعل بحلية بأحسن الأوصاف ، ويطلب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ متعجبا و قال :

- من يكون هذا الذي حليتموه بهذه الحلي و لا أعرفه ببلاده؟

فقال له هو القائل :

عَجَبًا لَهَا أَيَذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا

قال: فقلت له : إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم و إنما هو عندنا شاعر فقط، فقال له : إنكم لم تصفوه، و أنه لحقيق بما وصفناه " (2) .

ولقد ارتحل ابن خميس نحو الأندلس ليستقر بعض الوقت " بمالقة" ومنها إلى غرناطة حيث وصلها سنة 703 هـ ، و كان أميرها يومئذ محمد الثالث النصرى المعروف بالملخوع و وزيره وقت ذاك أبو عبد الله ابن الحكيم ، الأديب الكبير ، الذائع الصيت ، ولد برندة سنة 660 هـ استكتبه الأمير أبو عبد الله بن محمد النصرى في خلافته ، ولما توفي الأمير المذكور ، قلده أبو عبد الله المخالعة الوزارة و الكتابة ، فلقد حقق هذا الوزير لابن خميس الجاه و المهارة و العيش الطيب بقول مخاطبا إياه :

(1) هو أبو عبد الله الفقيه محمد بن أبي الحسن علي بن وهب العشري المعروف بتقي الدين بن دقيق العيد .

(2) نفيح الطيب ج 5 ص 370 .

- وطأت لي الدنيا فلا عوج ❖ فيما أرى منها ولا أمت
 أمكنتني منها فيما ليديّ ❖ رداء ، ولا لمقالتني عت
 بالغت في برّي و لا نسب ❖ أدني إليك به و لا مت
 لكن حسي إن متت به ❖ يوما إليك و ودادي البحت
 و يقول:

يا ابن الحكيم آمنت صرف ردى ❖ أبداله في أثلي نحت
 و يقول أيضا :

حماني فلم تتب محلي نوائب ❖ بسوء و لم ترزا فؤادي أرزاء⁽¹⁾

ومن مدينة مالقة ارتحل إلى المرية ، فترل بها في ضيافة القائد ، أبي الحسن بن
 كماشة ، من خدام الوزير أبي عبد الله بن الحكيم سنة 706 هـ و بها مدح
 الوزير ابن الحكيم بقصيدته التي أولها :

العُشِّيُّ تَعِيًّا و النَوَابِغُ ❖ عن شكر أنعمك السوابغ
 ومما جاء فيها في حق ابن كماشة

ودسائع ابن كماشة ❖ مع كل بازغة و بازغ

تأتي جمات هوى التغا ❖ نغ من شهيات اللغابغ
 ومنها :

مما ذاق طعم بلاغة ❖ من ليس للحوشي ماضغ⁽¹⁾

لم تنسه حياته الجديدة بالأندلس تلمسان فكان يتشوق إليها في قصائد
عديدة منها :

- ❖ تلمسان جادتك السحاب الدوالح وأرست بواديك الرياح اللواقح
- ❖ وسح على ساحات باب جياها مثل يصابى تربها و يصابح
- ❖ يطير فؤادي كلما لاح لامع و ينهل دمعي كلما ناح صاح
- ❖ ففي كل شفر من جفوني ماتح وفي كل شطر من فؤادي قادح
- ❖ فما الماء إلا ما تسح مدامعي وما النار إلا ما تجن الجوانح
- ❖ خليلي لا طيف لعلوة طارق بليل و لا وجه لصبحي لائح
- ❖ نظرت فلا نور من الصبح ظاهر لعيني ولا نجم إلى الغرب جانح
- ❖ لساقية الرومي عندي مزية وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح
- ❖ فكم لي عليها من غدو وروحة تساعدي فيها المني و المنائح
- ❖ فطرفي على تلك البساتين سارح و طرفي تلك الميادين جامح
- ❖ تحاربا الأذهان و هي ثواقب و تهفو بها الأفكار وهي رواجح
- ❖ ظباء مغانيها عواط عواطف و طير مجانيها شواد صوادح
- ❖ وتقتلهم فيها عيون نواظر وتبكيهم منها عيون نواضخ
- ❖ على قرية العباد مني تحية كما فاح من مسك اللطيفة فائح
- ❖ وجاء ثرى تاج المعارف ديمة تغص بها تلك الربى و الاباطح

(1) نفخ الطيب ج. 5 ، ص 361 .

- إليك شعيب بن الحسين قلوبنا ❖ نوازع لكن الجسوم نوازح
- سعت فما قصرت عن نيل غاية ❖ فسعيك مشكور و تحرك رابح
- وان انس لا انس الوريط ووقفه ❖ أنافخ فيها روضة و أنواح
- مطلا على ذاك الغدير وقد بدت ❖ لإنسان عيني من صفاه صفائح
- أماؤك أم عيني عشية صدقت ❖ عليه فينا ما يقول المكاشح
- لئن كنت ملانا بدمعي طافحا ❖ فإني سكران بجبك طافح
- ون كان مهري في قلاعك سائحا ❖ فذاك غزالي في عبابك سابح
- فراح غدا ينصب من فوق شاهق ❖ يمثل حلاه تستحث القرائح
- إلى أن يقول:
- أيا أهل ودي و المشير مؤمن ❖ أتقضى ديوني أم غريمي فالح
- و هل ذلك الظي التصاحي للذي ❖ يقطع من قلبي بعينه ناصح
- كنيت بها عنه حياء و حشمة ❖ ووجه اعتذاري في القضية
- واضح (1)

ومن تلاميذه و رواة شهره، و جلسائه و أصدقاءه بتلمسان و سبتة و فاس و بلاد الأندلس : الإمام النحوي محمد بن علي بن الفخار الجذامي (2) ،

(1) المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 134 ، 135 ، بغية الرواد ج 1 ، 86-87 .

(2) هو محمد بن علي الفخار الجذامي ، أركشي المولود و المنشأ ، كان متفنا عالما بالفقه و العربية و الأدب و القراءات و الحدي له نحو ثلاثين تأليفا توفي بمالقة سنة 723 هـ انظر الإحاطة مج 3 ، ص 91-95 .

والفقيه الأديب محمد إبراهيم بن عيشون البليقي (1) ، وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ، و أبو زكرياء بن يحيى بن علي القيسي (2) ، و أبو عبد الله بن قطرال الأنصاري (3) و أبو الحسن البلوي (4) و أما رواة شعره فمنهم: أبو عبد الله بن عبد الرزاق الجزولي (5) و أبو عثمان بن ليون التحيني (6) والرحالة العبدري والسلطان أبو عنان المريني الذي كان مولوعا به .

من أصدقائه فكان اغلبهم من العلماء و ذوي الشأن و السلطان و منهم : أبو عبد الله بن حمدون ، و أبو زكرياء يحيى بن عصام ، و أبو الفضل يحيى بن عتيق العبدري ، و أبو عبد الله بن رشيد، و أبو عبد الله بن الحكيم ، و أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي و أبو العباس العرفي و غيرهم .

ولقد توفي ابن خميس قتيلا بغرناطة ضحى يوم عيد الفطر في منتهل شوال سنة 708 هـ ، و ذلك يوم مقتل مخدومه ابن الحكم (7) و يقال أنه في صبيحة هذا

(1) هو محمد بن محمد بن إبراهيم ، من أهل المرية ، كان مستكثرا في الرواية . مشاركا في أصول الفقه و فروعه و علم اللسان و المنطق ، شاعرا توفي بسنة سنة 694 هـ انظر الإحاطة مج 2 ، ص 431 .

(2) هو يحيى بن علي بن أحمد بن علي القيسي ، يعرف بابن زرقالة من أهل المرية ، كان أديبا شاعرا له نظم في الأدب و علم النجوم توفي بالمرية سنة 750 هـ .

(3) هو محمد بن علي بن قطران الأنصاري ، يعرف بابن قطرال من أهل مراکش ، كان فاضلا صوفيا عارفا متحدثا فقيها زاهدا توفي سنة 709 هـ .

(4) هو الحسن بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي كان فقيها ، أديبا ، نحويا توفي سنة 740 هـ .

(5) هو محمد بن عبد الرزاق الجزولي من أهل فاس ، نشأ بها و أخذ عن شيوخها ، و انتقل إلى تونس و أخذ عن علمائها و عند عودته إلى فاس تولى القضاء توفي سنة 758 هـ .

(6) هو سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التحيني يعرف بابن ليون من أهل المرية ، كان متبحرا في العلم ، له علم بعلوم الفرائض و العروض توفي سنة 750 هـ .

(7) بعية الرواد ج 1 ، ص 109 ، نفح الطيب ج 5 ، ص 362 .

اليوم شرع في نظم قصيدة عيدية ليهنئ بها الوزير المذكور على عادته معه فقال :

المنازل لا يجب صداها ❖ تحت معالمها وصم صداها

و يقال أن من قنله هو الرئيس علي بن نصر الشهير بالأبكم .

6. محمد الرحمان بن خلدون :

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي من أسرة يمنية عريقة دخلت بلاد الأندلس مع جيوش السلامية الفاتحة ، ثم هاجرت نحو إفريقيا و اشتهرت بالعلم و حسن الحكم والسياسة ، ولد بتونس سنة 732هـ (1) /1332 و نشأ فيها فحفظ القرآن الكريم و الحديث الشريف علي يد والده و غيره من الفقهاء و العلماء منهم: أبو محمد بن المهيمن الحضرمي ، و أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي بشيخ العلوم العقلية ، و اعتنى بالأدب و أمور الكتابة و الخط ، ولما استولى أبو عثمان المريني علي تلمسان و بحماية استدعى ابن خلدون لخدمته في فاس (2) و نزل بها سنة 755هـ /1354 ، و في سنة 757هـ غضب عليه و سجنه مرتين و مكث ابن خلدون في الثاني حتى وفاة أبي عنان عام 759 هـ و في سنة 760 هـ استعمله السلطان أبو سالم المريني كاتب سره ثم عينه قاضيا للقضاة، و لقد غادر ابن خلدون المغرب بعد وفاة السلطان أبي سالم 764 هـ ليستقر بالأندلس فرحب به ابن الأحمر و وزيره ابن الخطيب و أحسن

(1) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، المرجع السابق ، ص 209 .

(2) الإحاطة مع 3 ، ص 498 .

إكرامه و قربه ابن الخطيب إلى مجلسه وكان سفير السلطان الزياني لدى ملك قشتالة فنجحت سفرته و تمكن من مهمته إتمام عقد الصلح بينه وبين ملوك العدوة ، ليعود بعد ذلك إلى المغرب الأوسط ، فقد كتب إليه أبو حمو ليتولى حجابته " الحمد لله على ما أنعم ، و الشكر لله على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله على أنك تصل إلى مقامنا الكريم ، لما اختصاصنا كم به من الرتبة المنيعة ، و المترلة الرفيعة و هو قلم خلافتنا و الانتظام في سلك أوليائنا أعلمنا بذلك و كتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله ، موسى بن يوسف لطف الله به ... " (1)

واستقر أخيرا بتلمسان مع أهله وولده في خدمة السلطان أبي حمو موسى الثاني ثم تفرغ للعبادة و تدريس العلم ، ثم رأى أبو حمو أن يبعث به سفيرا إلى الدواودة لاسترضائهم فعزف عن السياسة و مال إلى العزلة و الانقطاع و الخلوة للعلم و البحث و التأليف و قبل السلطان عذره فخرج من تلمسان إلى البطحاء و لحق بأولاد عريف فرحبوا به و أكرموه ، و أنزلوه مع أهله في قلعة أولاد سلامة من بلاد بني توجين من أعمال تلمسان فأقام بها أربعة أعوام وهناك شرع في تأليف تاريخه العام فأكمل المقدمة المشهورة التي تعتبر الجزء الأول من كتاب (العبر) حيث قال : فأقامت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل و شرعت في تأليف هذا الكتاب و أنا مقيم بها و أكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتمت إليه في تلك الخلوة .

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ج 14 ، ص 902 .

و في سنة 784 هـ ركب البحر بغية الحج إلى البقاع المقدسة وبعد أربعين ليلة نزل بالإسكندرية في عهد الملك الظاهر بن قلاوون و أقام بها شهرا استعدادا للحج الذي لم يتم في ذلك العام ، فانتقل إلى القاهرة و كانت يومئذ كما قال " حاضرة الدنيا و بستان العالم ، غاصة بالعلماء و المدارس ، و بقي بها شيوخا حجاجا من المغرب الإسلامي مثل أبي عبد الله المقرئ و أبي العباس بن إدريس كبير علماء بجاية ، و القاضي الفقيه أبي القاسم البرجي ، سفير أبي عنان إلى مصر و أعجب ابن خلدون بالقاهرة فقرر الاستقرار بها و جلس للتدريس بالجامع الأزهر ، ثم تولى بعد ذلك القضاء فكان قاضي قضاة المالكية ، و بينما كان ينتظر لحاق أهله من تونس فجع بخر غرقهم في عاصفة بحرية ، فعظم مصابه و مال إلى الزهد و أشفق عليه السلطان فترك منصب القضاء ، و عكف على تدريس العلم و القراءة و قضى بقية حياته في العبادة إلى أن وفاة الآجل بالقاهرة 25 رمضان عام 808 هـ ⁽¹⁾ / 17 مارس 1406م.

مآثر ابن خلدون:

لقد عاش عبد الرحمان بن خلدون حياة زاخرة بالأحداث و النشاط العلمي و السياسي، جمع فيه بين التدريس و الإدارة و الخطابة و القضاء تقلب بين نعيم القصور و نكبات الزمان و مرارة السجن و لم ينعم بالهدوء و الاستقرار سوى أربع سنوات قاضاها في قلعة بني سلامة القريبة من مدينة تهرت و كانت هذه العزلة أحصب فترات حياته في الإنتاج العلمي، و قد أنهى فيها تأليف المقدمة

(1) نيل الابتهاج مج 2، ص 275 .

خلال خمسة أشهر قاضاها في التأمل و الكتابة⁽¹⁾ ومن مآثره كتابه المشهور الذي عنوانه بـ: كتاب العبر و ديوان "المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في أربعة أجزاء⁽²⁾ و من تأليفه أيضا شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحا بديعيا، و لخص كثيرا من كتب ابن رشد و لخص محصل الإمام فخر الدين ابن الخطيب الرازي⁽³⁾ و ألف كتابا في الحساب، و أما نثره و سلطانياته مرسلها و مسجعها، فخلج بلاغة و رياض فنون، و معادن إبداع، و نظم الشعر و من ذلك قوله يخاطب السلطان المغربي ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين و سبعمائة بقصيدة طويلة منها:

- أَسْرَفَن فِي هَجْرٍ وَفِي تَعْذِيبِي ❖ و أَطْلَن مَوْقِفَ عِبْرٍ وَنَحِيْبِي
و أَبِين يَوْمَ لَبِين مَوْقِفَ سَاعَةٍ ❖ لَوْدَاعٍ مَشْغُوفِ الْفَوْادِ كَثِيبِ
لِللَّهِ عَهْدَ الظَّاعِنِينَ وَغَادَرُوا ❖ قَلْبِي رَهِينِ صِبَابَةٍ وَوَجِيبِ
غَرَبْتَ رِكَائِبَهُمْ وَدَمْعِي سَافِحٌ ❖ فَشَرَقْتَ بَعْدَهُمْ بِمَاءِ غُرُوبِي
يَا نَاقِعَا بِالْعَتَبِ غَلَّةَ شَوْقِهِمْ ❖ رَحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيْبِي
يَسْتَعْذِبُ الصَّبَّ الْمَلَامِ وَإِنِّي ❖ مَاءِ الْمَلَامِ لَدَيْ غَيْرِ شَرِيبِ
مَا هَاجَانِي طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوَى ❖ لَوْلَا تَذَكْرُ مَتْرَلٍ وَحَبِيبِ
أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعَا ❖ لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسِ رَبِيبِ

(1) علي علواش، معجم مشاهير، المرجع السابق، ص 195.

(2) شاوش رمضان، المرجع السابق، ص 312.

(3) يعرف الإمام فخر الدين الرازي و هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، المتوفى سنة 606هـ، يعرف بابن الخطيب.

- ❖ عتبت بها أيدي البلى و ترددت في عطفها للدهر أي خطوب
- ❖ لم أنساها و الدهر يثني صرفه ويغض طرفي حاسد و رقيبي
- ❖ والدار مونقة محاسنها بما لبست من الأيام كل قشيب
- ../. ..
- ❖ هلاً عطفت صدورهن إلى التي فيها لبانة أعين و قلوب
- ❖ فتؤم من أكناف يثرب مأمنا يكفيك ما تخشاه من تريب
- ❖ حيث النبوة أيها مجلوة تتلوا من الآثار كل غريب
- ❖ سرّ غريب لم تحجبه الثرى ما كان سر الله بالمحجوب
- ❖ يا سيد الرسل الكرام ضراعة تقضى من نفسي و تذهب حوبي
- ❖ عاقت ذنوبي عن جنابك و المنى فبها تعللى بكل كذوب⁽¹⁾

7. يحيى بن خلدون 734-780 (1344/1379م)

هو أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون شقيق عبد الرحمان بن خلدون، ولد بتونس سنة 734 هـ/1333م⁽²⁾ و نشأ بها و تلقى العلم على يد فقهاءها و علمائها مثل عبد المهيمن الحضرمي، و محمد بن إبراهيم الآبلي والسطي و أبو منصور الزواوي و غيرهم، و في عهد السلطان أبي عنان فارس المريني انصرف إلى خدمة الدولة المرينية بفاس. و في آخر سنة 761 هـ، رافق الأمير أبا

(1) الإحاطة، مح 3، ص 508، 509.

(2) بغية الرواد، مج 1، المصدر السابق، ص 7، حاجيات أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص 174، حاجيات

الأصالة عدد 26 المرجع السابق، ص 151، 26.

عبد الله الحفصي الذي توجه نحو بجاية قصد انتزاعها من عمه السلطان أبي إسحاق بمساعدة قبيلة رياح، فلم يحقق هذا الهدف إلا بعد أربع سنوات، و لما استولى أبو عبد الله الحفصي على بجاية سنة 765هـ عين يحيى بن خلدون في منصب الحجابة ثم تركها لأخيه عبد الرحمان، الذي قدم من الأندلس سنة 766هـ ، و في رجب 769هـ التحق يحيى بن خلدون ببلاط أبي حمو الثاني حيث عين كاتباً للسلطان الزياني⁽¹⁾ و شغل هذا المنصب إلى أن ساءت الأوضاع بين بني مرين و بين زيان، و احتلال السلطان المريني عبد العزيز تلمسان و سائر بلاد المغرب الأوسط سنة 772هـ، فمكث يحيى بن خلدون عدة بتلمسان في بلاط عبد العزيز ثم رحل إلى فاس رفقة أخيه عبد الرحمان و لسان الدين بن الخطيب، و في أول سنة 776هـ، عاد إلى تلمسان فأرجعه أبو حمو عن منصب الكتابة و الإنشاء⁽²⁾.

كانت نشأة يحيى بن خلدون في علمي، يحمل طابع الجد و العناية و الاهتمام الكبير بالعلوم الدينية، و التفتح إلى الأدب و الشعر، الأمر الذي جعله يرتقي إلى طبقة الكتاب المرزقين ، أمثال أبي القاسم ابن رضوان، و لسان الدين بن الخطيب و غيرهما و من آثاره "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"⁽³⁾. و قد نظم قصائد عديدة، في مدح أبي حمو الثاني و في المناسبات الدينية. فمنها القصيدة التي قالها في الاحتفال بالمولود النبوي الشريف سنة 764هـ عندما قدم رسولا للأمير أبي عبد الله وأولها:

(1) أبو حمو موسي، المرجع السابق، ص 175.

(2) نفس المرجع، ص 176.

(3) ارشاد الحائر، المرجع السابق، ص 270، أبو حمو موسي، المرجع السابق، ص 175.

قراءات لها أعلام نجد فحياها ❖ نسيم سرى من حاجر ورباها
 ولاح لها البرق اليماني فانبرت ❖ تمد حثيثا للعذيب خطاها (1)
 و منها القصيدة التي التمس بها رضى أبي حمو، أثناء مقامه بفاس أواخر
 سنة 775هـ - جاء فيها:

و إذا الديار تعرضت لأخي الهوى ❖ لم يغن عنه الصبر والكتمان
 يعتاده الذكرى و يبعث وجده ❖ أثر تخلقه لها السكان
 يا سائل العرصات أقوت ضلة ❖ من أين تدري الدار ما الظعان
 لا نخش أن ضن الغمام لربعا ❖ ظمأ فدمعي عارض هتان (2)
 و قد قتل يحيى بن خلدون في رمضان سنة 780هـ - بتدبير من الأمير أبي تاشفين
 بن السلطان أبي حمو.

8. محمد بزور يوسف القيس التلمساني المعروف بالثغري:

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني و يقال له الثغري (3)
 من أشهر شعراء تلمسان الزيانية و بلغائها المبرزين ، ولد بتلمسان، أندلسي
 الأصل، كان من جملة الموظفين ببلاط أبي حمو موسى الثاني، وصفه المازوني في
 نوازله بالشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الأديب الأريب الكاتب، أخذ عن أبي

(1) أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص177.

(2) نفس المرجع السابق و الصفحة عينها ، أنظر بغية الرواد ج2، ص297.

(3) نسبة إلى الثغر الذي هو المكان الذي يخاف منه هجوم العدو و حيث أنه الشاعر من أصل أندلسي فلا شك أنه
 من بلدة أو قرية كائنة في الحد الفاصل بين المسلمين الناصري، انظر شاوش رمضان ، المرجع السابق، ص304.

عبد الله الشريف⁽¹⁾ وحلاه المقري في أزهار الرياض بقوله: الفقيه العلامة
الناظم الناثر⁽²⁾ وقد نبغ في فنون الأدب، فنظم القصائد الغراء، كان يلقيها في
الحفلات الدينية التي كان يقيمها أبو حمو موسى الثاني في قصيدة خاصة في
الاحتفال بالمولد النبوي الشريف⁽³⁾ و مثال على ذلك نظم الثغري قصيدة ألقاها
في الاحتفال بالمولد عام 771هـ منها ما يلتي:

يا ليلة الاثنين افتخر* بالبدر الطالع من مضر* في ليلة يوم أثنى عشر

من شهر ربيع المشتهر* بالمولد فهو به علم

كالشمس سناه و كالقمر* و بدت كالزهر* أنوار هدى خير البشر

و نبي الرحمة و البشر* فجميع الخلق به رحمو

يا شهر بك افتخر الدهر* يا شهر جمالك مشتهر* يا شهر كمالك منتشر

يا شهر قدومك يا شهر* تحيي بنوا سمه النسم

يا شهر ربيع فيك بدا* و من الأنوار قد انفرادا* و الخير بمولده اطرادا

و أتى للخلق بكل هدى* فبطلعته سعد الأمم⁽⁴⁾.

ومما ألقاه في مدح تلمسان و سلطانها أبي حمو موسى الثاني.

تاهت تلمسان بحسن شباهها ❖ وبدا طراز الحسن من جلباهها

(1) البستان، ص 222، 223.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج 1، ص 217.

(3) عبد الحميد حاجيات، الأصالة، عدد 26، المرجع السابق، ص 150.

(4) ابن خلدون (يحيى)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مج 2، أفراد بال الجزائر، 1910، ص 128-

- ❖ فالبشر يبدو من حباب ثغورها
متبسما أو من ثغور حبابها
- ❖ قد قابلت زهر النجوم بزهرها
و بروجها بروجها و قباها
- ❖ حسنت بحسن ملكها المولى أبي
حمو الذي يحمي حمى أربابها
- ❖ ملك شمائله كزهر رياضها
و نداه فاض بها كفيفي عباها
- ❖ أعلى الملوك الصيد من أعلامها
وأجلها من صفوها و لبابها
- ❖ غارت ففرت وجهه شمس الضحى
و تثقت خجلا بثوب ضباها
- ❖ و البدر حين بدت أشعتها له
حسنا تضاءل نوره و ضباها
- ❖ لله حضرته التي قد شرفت
خدامها فسموا بخدمة بابها
- ❖ فاللثم في يمنه يبلغها المني
و المدح في علياه من أسبابها (1)

و له قصيدة رفعها إلى السلطان أبي حمو يصف فيها تلمسان :

- ❖ أيها الحافظون عهدا الوداد
جددوا انسنا بباب الجياد
- ❖ وصلوها أصائلا بليال
كلال نظمن في الأجياد
- ❖ في رياض منضدات المجاني
بين تلك الربا و تلك ألوهاد
- ❖ بروج مشيدات المباني
باديات السنى كشهب بوادي
- ❖ رقت فيها النسمة مثل نسيبي
و صفا النهر مثل صفو ودادي
- ❖ وزها الزهر والغصون تثنت
و تغت عليه ورق سواددي

..//..

(1) نفع الطيب، ج4، ص 262، 261.

- ❖ كل حسن على تلمسان وقف و خصوصا على ربي العباد
- ❖ منحك النور في رباها و أربي كهف ضحاكها على كل ناد
- .. / ..
- ❖ و جباها بكل بذل و عدل و حماها من كل باغ و عاد
- ❖ ملك جاوز المدى في المعالي فالنهايات عنده كالمبادئ
- ❖ معقل للهندي منبع للنواحي مظهر للعلا رفيع العماد (1)
- و في رثاء المولى أبي يعقوب الزباني قال:
- ❖ المرء في الدنيا رهين خطوب والدهر أفصح من خطاب خطيب
- ❖ من صاحب الدنيا الدنية لم تزل تأتیه بالمكروه في المحبوب
- ❖ و مؤمل الأيام ليس بجاصل إلا على أمل بها في مكذوب
- ❖ دنياي مثل الحلم في التجريب و لغاية مجهولة تجزي بي
- ❖ يانفسي خلي الصبر و ادرعي الأسي وإذا دعيت فبالوجيب أجيبي
- ❖ نادي بنادي المجد صرفه ناد ب أسفا على المولى أبي يعقوب
- ❖ فعليه يا نفسي الكئيبة فأنذبي و عليه يا كبدي القريحة ذوبي
- ❖ أسفا لمن فاق الملوك جلاله و ديانة و لكل فضل حوبي
- ❖ جمع الفضائل باختلاف ضروبها فغدا بها فردا بغير ضريب

(1) انظر نفخ الطيب، ج 7، ص 123، 121، عبد الرحمان الجليلي، ج و ص 217.
 بغية الرواد، مج ج ص 107، 109، محمد شاوش، إرشاد الحائر المرجع السابق، ص 308، 309.

- ❖ أعظم به من زاهد و مجاهد
❖ من دأبه الدين المتين و لم يزل
❖ من كان جيش الموت يخدم سيفه
❖ أودى فلم نملك له من حيلة
❖ أودى رفد تارة و منيب
❖ من كل فضل أخذنا بنصيب
❖ أودى بجيش للمنون عصب
❖ أعى دواء الموت كل طبيب
❖ .. / ..
- ❖ حملوه من شرق لغرب فأغتدى
❖ جفت ملائكة السماء بنعشه
❖ و مشوا على أقدامهم قدامه
❖ لو أمكن الخلق الفدا بنفوسهم
❖ فتعز يا مولاي عنه فإنه
❖ و مضى لرحمة ربه مستبشرا
❖ و اختار دار الخلد من دار الفنا
❖ كطلوع الشمس بادرت لغروب
❖ و الخلق حول سريره المنصوب
❖ يدعون بالتغريب و الترهيب
❖ لعدوه طرا من لقاء شعوب
❖ فد فاز من مولاه بالمرغوب
❖ بثوابه و إليه خير مشيب
❖ بدلا كذلك فعل كل لبيب

8- محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي:

هو أبو الفضل محمد بن محمد أبي القاسم المشدالي، نسبة إلى مشدالة إحدى قرى بجاية، ولد سنة 822هـ/1417م⁽¹⁾ وبها تلقى دروسه على أكابر

(1) عبد الرحمن الجيلالي، ج 1، المرجع السابق، ص 265.

مشيختها⁽¹⁾، وهو ينتمي إلى بيت علم و صلاح، مشهور من قبل بانقطاع أهله إلى التدين والتقوى و خدمة العلم و من علماء هذه العائلة : أبو علي ناصر الدين المشدالي، وأبو موسى عمران المشدالي و والد المترجم عالم بجاية و خطيبها أبو عبد الله بن أبي القاسم المشدالي، و شقيقه محمد بن محمد المشدالي⁽²⁾.

قال السيوطي: "هو أحد أذكى العالم اشتغل بالمغرب وأقرأ بمصر و غيرها و أبان عن تفنن في العلوم فقها و أصولا و كلاما و نحوا و غير ذلك، و أخذ عنه طلبه العصر".⁽³⁾ نشأ أبو الفضل على غرار أسلافه شغوبا بالعلم والحكمة والأدب أخذ القرآن الكريم برواياته السبع عن والده و حفظه في سن مبكرة فروي أنه ابتدأ حفظ القرآن الكريم بجاية وهو في السنة الخامسة من عمره. و ممن أخذ عنهم القراءات الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي رفاع وقرأ لنافع عن الشيخين هارون المجاهد و أبي عثمان سعيد العيساوي،⁽⁴⁾ و أخذ علم الصرف و العروض عن أبي يعقوب يوسف الريغي، و أخذ فنون اللغة والمنطق والأصول و الميقات عن أبي بكر التلمساني و أبي بكر بن عيسى الونشريسي و أخذ النحو عن يعقوب التيروني و قرأ على أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر في النحو و المنطق و أخذ الحساب عن موسى بن إبراهيم الحسناوي، ثم سافر إلى تلمسان في حدود سنة 840هـ و أقام بها سنوات قضاهها في الاستفادة من علمائها أمثال ابن مرزوق الحفيد الذي أخذ عنه التفسير والحديث و الفقه و الأصولين والأدب بفنونه و المنطق والجدل و الفلسفة والطب

(1) رمضان شاوش، ارشاد الحائر، المرجع السابق، ص 328.

(2) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق و الصفحة عينها.

(3) نبيل الابتهاج، مح 2، ص 224.

(4) عبد الرحمان الجيلالي، ج 1، ص 265.

و الهندسة، و أخذ الفقه وأصول الدين عن أبي القاسم سعيد العقباني، و عن أبي الفضل بن الإمام أخذ التفسير ، وأخذ عن كل من أبي العباس أحمد بن زاغو و أبي عبد الله محمد بن النجار والمعروف بياسطور القياس، و ذلك لشدة معرفته بهذا الفن.⁽¹⁾

و بعد أن تبخر في العلم و المعرفة عاد إلى بلده بجاية سنة 844 وراح ينتقل ما بين بجاية و بونة، و قسنطينة و تونس ثم توجه نحو المشرق فطاف بين بلاد الشام وبيت المقدس و القاهرة و شاع ذكره فملاً الأسماع ووقع على تفضيله الإجماع ، و كان ممن تعرف إليهم في مصر الإمام السخاوي و السيوطي ، و القلصادي الذي وصل القاهرة يوم الثلاثاء السادس عشر من الشهر 29 أوت 1447م.

و قال في رحلته: و دخلنا القاهرة ذلك اليوم، رأينا فيها من الأمور والأحوال ما لا يعده الحصر والقياس، من كثرة الخلق وازدحام الناس ونزلت بجامع الأزهر ووجدت هناك بعض الفضلاء و الأخيار من أهل المغرب. و بعد ذلك وقع اجتماعنا بصاحبها الفقيه الإمام الفذ في وقته ذي العلوم الفائقة و المعاني الرائقة أبي الفضل المشدالي لم أر مثله في تحصيل العلوم و تحقيقها، أخذ في كل علم بأوفر نصيب وضارب فيه بسهم مصيب، و تذكرنا أزمانا مضت لنا بتلمسان وياها من ليالي وأيام، مع أشياخ و سادة أعلام.

(1) نيل الإبتهاج، مج2 ، ص224 ، انظر أيضا عبد الرحمان الجيلالي، ج1، ص266.

أحاديث أحلى في النفوس من المنى ❖ و أطف من مر النسيم إذا سرى (1)

و من تلاميذه بتلمسان الإمام أحمد بن زكري، مفتي الديار الزيانية، وبالشام ابن قاضي عجلون، بالقدس الكمال ابن أبي الشريف و بالقاهرة الشهاب البيجوري .
و من مآثره شرح جمل الخونجي (2)، و توفي سنة خمس وستين وثمانمائة (865 هـ) (3).

و من شعره قوله مخاطبا بعض أصدقائه ببجاية من أبيات:

❖ برق الفراق بدا بأفق بعادنا فتضعضت أركاننا لعوده
❖ كيف القرار و قد تبدد شملنا و البين شق قلوبنا بعموده
❖ الله أيام مضت بسيلها و الدهر ينظم شملنا بعوده (4)

10. محمد بن محمد الله بن محمد الجليل التنسي :

هو محمد بن عبد الله محمد الحافظ التنسي مؤرخ و أديب و شاعر من أكابر علماء تلمسان ، ولد بمدينة تنس (5) نشأ و تعلم بتلمسان (6)

(1) رحلة القلصادي، المصدر السابق، ص 127، 128، انظر نيل الابتهاج ، مج 2 ، المصدر السابق، ص 224، 225

(2) انظر أيضا نيل الابتهاج، مج 2 ، ص 224.

(3) نفس المصدر و الصفحة عينها.

(4) عبد الرحمان الجليلي، ج 1، ص 271.

(5) هي مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر أصلها مستودع تجاري قرطاجاني قديم، أقام الرومان مكانه مدينة كارتيناس - كارت تنس و منها جاء الاسم المتداول حتى اليوم تنس كان يحيط بها سور ، و قد كانت دائما خاضعة للملك تلمسان انظر حسن الوزان وصف إفريقيا الجزء الثاني ط 2، ص 35.

(6) أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 84، التنسي ص 10.

وصفه أحمد بن داود ببقية الحفاظ قدوة الأدباء | العالم الجليل⁽¹⁾ أخذ العلم عن علماء تلمسان كالإمام أبي الفضل محمد بن مرزوق الحفيد و الإمام العالم أبي الفضل ابن الإمام والإمام قاسم العقباني و الإمام الأصول محمد بن النجار و الولي الصالح إبراهيم التازي و الإمام ابن العباس⁽²⁾ و غيرهم و اشتهر علمه حتى لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال: " العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري⁽³⁾ .

وقد أخذ عنه الكثير وقد نبغ بعضهم و نالوا شهرة كأحمد البرنسي المشهور برزوق⁽⁴⁾ و العلامة أبي عبد الله بن سعد⁽⁵⁾ و الخطيب ابن مرزوق السبط وابن عباس الصغير⁽⁶⁾ قال : لازمت مجلس الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة

(1) محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان ، المرجع السابق ص 225.

(2) أحمد بابا نيل الابتهاج مجلد 2 ص 261 ، التنسي ص 14، محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري ، ص 226 .
الطمار تلمسان عبر العصور ، ص 225 ، أعلام الجزائر ص 85 ، البستان ص 248 ، عبدلي لخضر ، الحياة ، ص 284 .

(3) نيل الابتهاج ، مج 2 ص 261 .

(4) المتوفى سنة 889 هـ 1484 م و له تأليف كثيرة في الفقه و الحديث و العقائد و التصوف ، قرأ على الشيخ السطي و الشيخ عبد الله الفخار و غيرهم ، اشتغل بالتصوف و التوحيد فأخذ الرسالة القدسية و عقائد الطوسي على الشيخ عبد الرحمن المجدولي وهو من تلاميذ الآبي ، انظر البستان ص 45—50 .

(5) المتوفى في سنة 901 هـ / 1496 م له النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب ، وروضة الشريف في مناقب الأربعة المتأخرين " وهم : الهواري و إبراهيم التازي و الحسن بن مخلوف ، وأحمد بن الحسن الغماري " ، انظر البستان ص 251—252 .

(6) فقيه و متصوف توفي سنة 1011 هـ 1602 انظر البستان ص 203 .

أعوام وحضرت إقرائه تفسيراً وحديثاً وفقهاً وعربية وغيرها⁽¹⁾ ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ بلقاسم الزواوي⁽²⁾ وعبد الله بن جلال وغيرهم .

ولقد احتل التنسي مكانة ومترلة مرموقة بين معاصريه مع أن أكثرهم قد بلغ مرتبة عليا في العلم والتعليم ، والإفتاء وأن ما يستدعي الانتباه في هذا الصدد هو الألقاب والنعوت التي أطلقها عليه معاصروه ، فلقد وصفه صاحب نيل الابتهاج بنعوت مختلفة كالفقيه ، الجليل ، الحافظ ، الأديب ، والمطلع ، أما بن داود الأندلسي فقد وصفه " ببقية الحفاظ وقدوة الأدباء " ، وقد وصفه الونشريسي بالفقيه الحافظ ، التاريخي ، الأديب الشاعر ، أما المقري فقد نعته " بشيخ شيوخ شيوخنا وسماه حافظ عصره وذكره في سلسلة الرواة الذين أخذ عن طريقهم الحديث النبوي الشريف قال في إجازة نظمها بدمشق لعالم يدعى يحيى المحاسني (المتوفى 1053م)⁽³⁾

- | | | | |
|---|---------------------------------------|---|--------------------------|
| ❖ | ومسلم عن حائز الفخار | ❖ | وقد أخذت جامع البخاري |
| ❖ | بالتنسي قد أفاد الجمعا | ❖ | عمى سعيد وهو عن يدعى |
| ❖ | عن ابن مرزوق عن النبيه ⁽⁴⁾ | ❖ | عن حافظ الغرب الرضا أبيه |

(1) نيل الابتهاج مج 2 ص 261 ، البستان ص 249 ، التنسي ص 17 .

(2) فقيه توفى سنة 922هـ — 1516م كان من أكابر أصحاب السنوسي انظر البستان ص 71

(1) نيل الابتهاج مج 2 ص 260 .

(4) التنسي ص 21 .

مآثره:

لقد ذكر المترجمون للتنسي تأليف عديدة منها :

— نظم الدر القيان في بيان شرف بني زيان .

— الطراز في شرح ضبط الخراز ، وتأليف في الضبط وراح الأرواح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح .

— الجواب المطول في قضية يهود توات ، أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق وأثنى عليه الإمام السنوسي وقال " لقد وفق لإجابة المقصد وبذل وسعة في تحقيق الحق وشفى غليل أهل الإيمان في المسألة ولم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوح إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني ، الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبو عبد الله التنسي ، جزاه الله خيرا قد أمد لإبانة الحق ونشر أعلامه النفس ، وحقق نقلا وفهما وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلّمه الكفر أعظم قيس " (1) .

ثانيا: العلوم العقلية.

إلى جانب اهتمام ملوك بني زيان بالعلوم النقلية بمختلف أنواعها فقد اهتموا أيضا بالعلوم العقلية اهتماما كبيرا ، وتعمقوا في دراستها و كانت تشمل هذه العلوم الرياضيات بفروعها من حساب و جبر و فلك و هندسة و تنجيم إضافة إلى الطب و الكيمياء و العلم الفلاحة و الموسيقى و غيرها من العلوم و ثمة

(1) نيل الابتهاج مج2 ص 261. البستان ، ص 294.

عوامل أسهمت في تطور هذه العلوم منها التقدم الذي عرفه المغرب الأوسط في ميادين شتى اقتصادية و اجتماعية و ثقافية و عمرانية و قد اسهم في ذلك نزوح العائلات الأندلسية الفارة من الأندلس نحو سواحل المغرب الإسلامي خاصة خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين و قد ترتبت على هذه الهجرة آثار حضارية مست المجالات والميادين المذكورة ، إضافة إلى ذلك ما كان قائما بين أقطار المغرب الإسلامي من علاقات و روابط وثيقة من جهة و بين الأقطار مجتمعة و الشرق الإسلامي والبلدان الواقعة جنوب الصحراء من جهة أخرى مما شجع حركة الرحلات العلمية في سائر أنحاء و ممن اشتهر في التعاليم و العلوم النقلية:

1. أبو محمد الله محمد بن إبراهيم الأبلبي التلمساني (681-757 هـ / 1282-1350 م)

هو محمد بن إبراهيم بن أحمد الأبلبي ، أبو عبد الله : شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، و أشهر علماء المغرب الأوسط في المائة الثامنة هجرية، وأحد أساتذة عبد الرحمان بن خلدون و لسان الدين بن الخطيب ، أصل أجداده من حديثة آبله (1) AVILA (2) أجاز أبوه و عمه إلى تلمسان فاستخدمهما السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان في الجندية فكان أبوه قائدا بهنين (3).

(1) تقع بالشمال الغربي من مدريد (بحرط) من بلاد الأندلس

(2) نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 66 ، انظر أيضا نفع الطيب ، ج 5 ، ص 244 ، أعلام الجزائر ص 12.

(3) هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة ، لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منها في جهة و كانت تحيط بها أسوار عالية متينة ، لاسيما من جهة البحر ، و كانت تأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شرعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان و تفصل بين هذه المدينة و هنين أربعة و ثلاثين ميلا ، أنظر وصف إفريقيا ، ج 2 ، المصدر السابق ص 15.

أصهر والده إبراهيم إلى أبي الحسن محمد بن غلبون المرسي قاضي تلمسان⁽¹⁾ في بنته فأنجبت محمد الابلي الذي كانت ولادته سنة 681 هـ بتلمسان ونشأ في كفالة جده القاضي ابن غلبون فحبب إليه العلم ورغب فيه معرضا عن وظيفة الجندية التي كان عليها والده⁽²⁾ ، فأخذ عن فقهاء تلمسان كأبي الحسن التنسي و ابني الإمام⁽³⁾ وقد عينه السلطان أبو سعيد عثمان قهرمان قصره فكره ذلك ، الأمر الذي دفعه إلى الارتحال نحو المشرق في آخر المائة السابعة فدخل مصر و الشام والعراق و الحجاز ثم عاد قافلا إلى المغرب بعدما أخذ عن ابن دقيق العيد ، و ابن رقعة و التبريزي و غيرهم من علماء المعقول⁽⁴⁾ .

فعاد إلى المغرب الأوسط و استقر لبعض الوقت بتلمسان و كان السلطان أبو حمو الأول قد استفحل ملكه و قد بلغه عن الأبلي تقدمه في علم الحساب فدفعه إلى ضبط أحواله و مشارف أعماله ، إذ ولاه قيادة بني راشد⁽⁵⁾ و رفض ذلك وفر نحو فاس فاختمى بها عند شيخ التعاليم بها خلوف المغيلي اليهودي⁽⁶⁾

(1) نفع الطيب ج 5 ص 244 ، عبد الحميد حاجيات الأصلة عدد 26 ص 152. عبد الرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج 1 ص 167.

(2) عبد الرحمان جيلالي ج 1 ، المرجع السابق ، ص 167.

(3) نفع الطيب ج 5 ص 244 ، البستان ص 115 ، نيل الابتهاج ، ص 67.

(4) عبدلي لخضر الحياة الثقافية المرجع السابق ص 290. انظر نيل الابتهاج مج 2 ص 66.

(5) يمتد هذا الإقليم على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب ، وعلى عرض يقرب من خمسة و عشرين ميلا ، جهته واقعة جنوبا كلها سهول ، واقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات ، لكن أراضيها معا صالحة للزراعة ، وينقسم السكان كذلك إلى قسما فأهل هذه المرتفعات يسكنون دورا لائقة جدا مبنية بجدران ، و يزرعون الحقول و الكروم ... و سكان السهول ، وهم أشرق بكثير يقيمون في البادية و يعيشون تحت الخيام ، و هم أثرياء جدا يؤدون بعض الإتاوات إلى ملك تلمسان ، لأهل المرتفعات قرى عديدة أهمها اثنتان :

- الأولى تدعى قلعه هوارة (هي قلعة بني راشد) ، و الثانية المعسكر و بها كان يقسم خليفة الملك مع فرسانه انظر الوزان ج 2 ص 26.

(6) نيل الابتهاج ص 66، عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق ص 168.

فاستكمل عليه فنونه الحكمية ، ثم ارتحل إلى مراكش فلازم العلامة الإمام أبا العباس احمد بن البناء فأخذ عنه ⁽¹⁾ و تضيع عليه في المعقول و التعاليم و الحكمة ثم صعد إلى الجبل عند علي بن محمد شيخ الهساكرة فقرأ عليه و اجتمع عليه طلبة العلم فكثرة إفادته واستفادته تم عاد إلى فاس فأمثال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره . و ذاع خبره و صار يعرف بعالم الدنيا و ينعت بأعلم خلق الله في فنون المعقول ، و عندما لقي السلطان أبو الحسن عند احتلال تلمسان أبا موسى ابن الإمام أثنى عليه و وصفه بتقدم العلوم ، و كان يعتني و يهتم بجمع العلماء لمجلسه فدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء ، فعكف على التدريس و التعليم و لازمه و حضر معه وقعة طريف و القيروان قال ابن خلدون : " لازمته و أخذت عنه فنونا ثم طلبه أبو عنان تلمسان فنظمه في طبقة علماء أشياخه ... " ⁽²⁾

و من تلاميذه السلطان المريني أبو عنان ، و العالم الشريف التلمساني و ابن الصباغ المكناسي ، و ابن عرفة و الوالي بن عباد ⁽³⁾ و قد بلغ تأثير الأبلي في تكوين يحيى بن خلدون و أخيه عبد الرحمان بن خلدون مبلغا عميقا و يتمثل ذلك ، بالنسبة للعلوم العقلية و الطبيعية ، و حتى التاريخ في الحصول على تكوين منطقي ضروري لتفهم الأحداث الاجتماعية و التاريخية فمها صحيحا ، و نقد الأخبار نقدا علميا ⁽⁴⁾ و من بين تلاميذه أيضا ، المقري و ذكر صاحب

(1) نفع الطيب ج 5 ، ص 244 ، عبد الرحمان الجيلالي ص 168 ، نيل الابتهاج ص 66 .

(2) نيل الابتهاج مج 2 ص 67 ، انظر أيضا البستان ص 215 .

(3) نيل الابتهاج مج 2 ص 71 انظر أيضا البستان ص 214 انظر أيضا محمد الطمار تاريخ الأدب ، المرجع السابق ص 113 .

(4) يحيى بن خلدون ، بغية الرواد مج 1 ص 18 .

الإحاطة : " ومن أشياخه الإمام نسيج وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن احمد الابلي التلمساني و هو رحله الوقت في القيام على الفنون العقلية و إدراكه و صحة نظره " (1) .

تأليفه :

إن الآبلي مع غزارة علمه و تفوقه في جميعها لم يترك مؤلفا فكيف يختلف تأليف وهو القائل : " دائما أفسد العلم كثرة التأليف و أذهبه بنيان المدارس " . فكانت التأليف في نظره تجعل العلوم سهلة التناول فتضعف الرغبة فيها و يقل التحصيل ، ومن كلامه المأثور أيضا لولا انقطاع الوحي لترل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل ، لأننا أتينا أكثر مما أتوا " (2) يشير إلى اختراق الأمة العربية أكثر مما افتقرت عليه بني إسرائيل و اشتهر باسمهم بينهم إلى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم . (3)

و كانت وفاة الآبلي سنة 757 هـ / 1356م بفاس . (4)

2- محمد بن أحمد الشريف الحسيني الشهير بالعلوي :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الإدريسي الحسيني العلوي ، نسبة إلى قرية من قرى تلمسان تسمى " بالعلويين " (5) ولد بها سنة 710 هـ و ترعرع بها وأخذ العلم من علمائها ، و قد ذكر خاله عبد الكريم وكان يحبه

(1) الإحاطة ، مج 2 ص 202 .

(2) نيل الابتهاج ص 70 ، النسيان ص 218 .

(3) نيل الابتهاج ص 70 ، النسيان ص 218 .

(4) البستان ص 215 ، نيل ص 67 ، عبد الرحمان الجليلي ج 1 ص 169 .

(5) البستان ص 164 .

صغيراً لذكائه و يصطحبه معه دائماً إلى مجلس العلم والعلماء ، قال : حضرنا مجلس أبي زيد بن الإمام في تفسير القرآن فذكر الشيخ نعيم الجنة ، فقال له الشريف وهو صبي : هل يقرأ فيها العلم ؟ فقال له الشيخ نعم فيها ما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين ، فقال له قلت لا علم فيها قلت لك لا لذة فيها فعجب منه الشيخ فدعا له ⁽¹⁾ وقد أخذ العلم على علماء عصره أمثال ابني الإمام ، عن أبي موسى عمران المشدالي ، و أبي محمد عبد الله المحاصبي ، و أبي عبد الله محمد بن عمرو التميمي ، و القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد النور ، و أبي عبد الله محمد الباروني ، و الشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن و عن أبي عبد الله بن هدية القرشي ، والابلي ، والسطي فأتسع بالعلم باعه وعظم قدره و كان مائلاً للنظر و الحجة أصولياً متكلماً جامعاً لكثير من العلوم العقلية .

ولقد ارتحل في بادئ الأمر إلى تونس سنة 740 هـ فأخذ عن علمائها من بينهم أبي عبد الله بن عبد السلام ، و كان هذا العالم يقدره و يصغي إليه حتى زعموا أن ابنه عبد السلام كان يخلو بالشريف في بيته و يقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلخيص كتاب أرسطو لابن رشد ⁽²⁾ وما لبث أن رجع قافلاً إلى تلمسان و انتصب للتدريس بالمدرسة يعقوبية ، و قام يدرس بها العلم من منطق وحساب و تنجيم و هندسة ، و موسيقى ، و طب و تشريح وفلاحه وغيرها من العلوم العقلية و النقلية . ⁽³⁾

(1) البستان ص 167 ، عبد الرحمن الجليلي ج 1 ص 209 .

(2) تاريخ الأدب الجزائر ، المرجع السابق ، ص 114 .

(3) حاجيات عبد الحميد ، الأصالة ، المرجع السابق ص 154 .

ومن تلاميذه و لده أبو محمد ، و الشاطبي⁽¹⁾ و ابن زمرك وإبراهيم الثغري وابن خلدون و ابن السكاك⁽²⁾ و محمد بن علي المديوني و إبراهيم المصمودي ، و الشيخ بن عتاب و غيرهم و يشهد له كل من أخذ عنه و عرفه بوفر العقل و النجابة و التحصيل ، فكان الإمام ابن عبد السلام يقول : " ما أظن أن في المغرب مثل هذا " و كان الشيخ الآبلي يقول : هو أوفر من قرأ علي عقلا وأكثرهم تحصيلا و قال أيضا : " قرأ علي كثير في المشرق و المغرب فما رأيت منهم أنجب من أريعه: أبو عبد الله أنجبهم عقلا و أكثرهم تحصيلا " . و كان الطلبة إذا قرعوا علي الشيخ الآبلي و أشكلت مسألة أو ظهر بحث تحقيق يقول : " انتظروا به أبا عبد الله الشريف " و قال له الشيخ ابن عرفة : " غايتك في العلم لا تدرك " و لما ذكروا له موته قال: رحمه الله : لقد ماتت بموته العلوم العقلية " و ذكره ابن خلدون فقال " صاحبنا الإمام العالم الفذ ، فارس المعقول و المنقول و صاحب الفروع و الأصول . " و ذكره الونشريسي فقال: " أنه كان أمام في العلوم العقلية كلها منطقا و حسابا و فرائض و تنجيما و هندسة و موسيقى و تشريحا و فلاحه "

مآثره

(1) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهر بالشاطبي كان أصوليا مفسرا ، فقيها ، محدثا لغويا بيانيا نظارا ، و رعا صالحا زاهدا سنيا ، إماما مطلقا باحثا مدققا جديلا ، بارعا في العلوم ، أخذ العربية و غيرها من أئمة منهم : ابن الفخار البيري ، و أبو القاسم السبي ، و الإمام المحقق أعلم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني و غيرهم و من تأليفه اشتملت على تحقيقات و تحريرات للقواعد و استنباطات جلية ، و كتاب الموافقات في أصول الفقه ، و ترقى يوم الثلاثاء 08 شعبان سنة 790 هـ انظر نيل الابتهاج مج 1 ص 34-37 .

(2) هو محمد بن أبي البركات ابن السكاك العياضي . كان سكونا رابط الجأش جزلا مهيبا لا يعبتا بأهل الباطل مهينا لهم ، أخذ عن الإمامين العلمين الشريف التلمساني و المحقق أبي عبد الله الآبلي العبدري ، و لي قضاء سبته مرارا و قضاء الجماعة . بناس شرح الشفا و أحياه ، و له تأليف في الأدعية و آخر سماه نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما عليهم من حقوق أهل البيت عليهم السلام توفي سنة 818 هـ . انظر نيل الابتهاج ص 150-151 .

كان أبو عبد الله الشريف كثير العناية بالإقراء و الدرس فلم يسعه الزمن للإكثار من وضع الكتب و التصنيف و التأليف فلم يترك بالنسبة إلى غزارة علمه من علوم نقلية و عقلية إلا القليل من التأليف منها المطبوع و المخطوط و الموجود المفقود منها:

مفتاح الوصول إلى البناء الفروع على الأصول طبع بتونس سنة 1346هـ و له شرح جمل الخونجي في علم المنطق انتفع به خلق كثير ومؤلف في القضاء و القدر وله فتاوى و رسائل و أجوبة.

و كانت وفاة الشيخ الشريف التلمساني ليلة الأحد الرابع من ذي الحجة سنة 771 هـ / 29 جوان 1370 بتلمسان و حضر جنازته السلطان الزياني أبو جمو موسى الثاني قائلا في نعزته لولده عبد الله : ما مات من خلفك و إنما مات أبوك لي لأني أباهي به الملوك و ولاه مدرسة والده و رتب له جميع مرتباته. (1)

3 - أبو محمد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلاسي (توفى في بداية القرن التاسع الهجري) :

هو عبد الله محمد بن أبي جمعة ابن علي التلاسي التلمساني الدار كان طبيب السلطان أبي جمو موسى الثاني ، وشاعرا بارزا من شعراء بلاطه وماهرا في الطب ، وهو من أسرة جل أفرادها علماء و أطباء . لقد نظم قصائد عديدة في مدح السلطان ، وقصائد أخرى نظمها في كل المناسبات و الأحداث التي

(1) البستان ص 156-166م ، عبد الرحمان الجيلالي ج 1 ص 210 ، تاريخ الأدب الجزائري ص 117 ، محمد الشريف قاهر ، معجم مشاهير المرجع السابق ، ص 305.

كانت تقع بقصر السلطان ومن بين القصائد التي أنشدها الشاعر ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي أقيم بقصر السلطان سنة 765هـ:

- ❖ بقر رسول الله طاب تـراها وأضحى لها جيد بأنواره حالي
- ❖ نبي كريم شرف الله قدره وفضله في القبل والبعد والحبال
- ❖ نبي به سدنا على كل أمة فلا أمة إلا لنا تحت إذلال
- ❖ سما لإله العرش و الليل أليل من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي
- ❖ لمولده نور على الأرض قد بدا غدا دونه بدر الدجى دون إكمال
- ❖ نجونا به من كل خطب يروعنا و أنقذنا من كل جوف و أوجال
- ❖ هو المصطفى ساد الأنام و قدره على كل مخلوق نطقت به عالي
- ❖ حلیم رحيم مؤثر يتفضل رؤف عطوف مانح دون تسأل
- ❖ ربيع بشيرا للأنام أتى به فكل ربيع فيه راحة إعلال
- ❖ وهل من شفيح غيره يرتجى إذا عرى الناس سكر من عذاب وأهوال
- ❖ يأمداحه يسا نفس لو ذي فإنها شفائي من وعك الذنوب و إبلاي
- ❖ فمن رام أن يحصي فضائل احمد فذلك شيء لا يمر على بالي
- ❖ عليه صلاه تملأ الأرض و السما يحط بسها وزري تخفف أنقبالي
- ❖ وبعد الرضى عنه و كن آل بيته وأصحابه الفضائل و الآل

- أقوم وأدعو للخليفة انه ❖ لخير إمام في ذرى شرف عال (1)
- و يصف تلمسان و أحوازها:
- سقا الله من صوب الحيا هاطلا و بلاً ❖ ربوع تلمسان التي قدرها استعلى
- ربوع بها كان الشباب مصاحبي ❖ جررت إلى اللذات في دارها الذيلا
- فكم نلت فيها من أمان قصية ❖ وكم منح الدهر الضنين بها النيلا
- وكم غازلتي الغيد فيها تدنلا ❖ و كل عذول لا أطيع له قولاً
- وكم ليلة بتنا على رغم حاسد ❖ نذير كئوس الوصل إذ الصف تما
- وكم ليلة بتنا بصفصيفها الذي ❖ تسامى على الأنهار إذ عدم المثلا
- وكدية عشاق لها الحسن منتهى ❖ يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا
- نعم و غدیر الجوزة السالب الحجى ❖ نعمت به طفلا وطبت به و كهلا
- ومنه ومن عين أم يحيى شرابنا ❖ لا هما في الطيب كالنيل بل أحلى
- و عبادهما ما القلب ناس ذمامه ❖ به روضة للخير قد جعلت حلا
- بها شيخنا المشهور في الأرض ذكره ❖ أبو مدين أهلا به أبدا أهلا
- لها بهجة تزري على كل بلدة ❖ بتاج علاها كالعروس إذا تجلى (2)

و قال في رثائه للمولى أبي يعقوب يوسف الرياني:

(1) تاريخ الأدب الجزائري المرجع السابق ص 185 ، بغية الرواد ج 2 ص 140-141 عبد الحميد حاجيات و
آخرون المرجع السابق ص 448 ، عبد الحميد حاجيات الأصلة عدد 26 المرجع السابق ص 150 ، إرشاد الحائر
المرجع السابق ص 291 عبد الحميد حاجيات ، أبو حمز موسى الثاني ص 173-174.

(2) بغية الرواد ج 1 ص 40-89

- ❖ كأس الحمام على الأنعام تدور ما إن لها إلا القضاء مدير
- ❖ وكذا الليالي لا وفاء لعهدها إن أقسطت يوماً فبفسوف تجوز
- ❖ كم شئت من جمع شمل لم يكن يخشى الشتات وكل ذا مشهور
- ❖ إن أضحكت في يومها أبكت غداً فالخير منها إن أتاك غرور
- ❖ فجعت بمولانا الأمير و خلفت في الدمع آفاق الجفون تغور
- ❖ كنا نؤمل أن تدوم حياته لكّنه ثوب الحياة قصير
- ❖ رزء ألمّ فماله من دافع أيرد رزء ساقه المقنود
- ❖ مولاي يوسف والد الخلفا الذي معناه خطب في الوجود كبير
- ❖ ضحّت لمصرعه الخلائق ضحّة كادت بها منا القلوب تطير⁽¹⁾

4- أبو عبد الله النجار التلمساني :

هو محمد بن علي مراكشي الأصل ، ولد و نشأ بتلمسان ، من بيت نباهة في الإمامة و العدالة وهو فقيه تعلمي⁽²⁾ أخذ على أبي عبد الله محمد بن هلال ، شارح المحسّطي بسبّنة ، ثم أخذ بمراكش عن أبي العباس ابن البناء ، فنبغ في العلوم العقلية و التعاليم و عاد إلى تلمسان فدرّس بها ثم التحق ببلاط أبي الحسن المريني ، أيام حصاره لتلمسان وصحبه إلى إفريقية ، توفي بتونس سنة 749هـ بالطاعون⁽³⁾ وأخذ عنه أبو عبد الله الشريف ، و المقرئ الكبير ، وأبو الحسن

(1) بغية الرواد ، ج 2 ص 110 .

(2) بغية الرواد ، ج 1 ص 119 .

(3) بغية ج 1 ص 119 ، عبد الحميد حاجيات و آخرون ص 451 .

ابن الفحام صاحب المنجاة ، قال العلامة الابلي : ما قرأ على أحد حتى قلت له : لم يبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار ، قال المقرئ : ذكرت يوماً ما حكاه ابن رشد في الخمر أنها إذا تخللت بنفسها طهرت ، و اعترضه بما في الإكمال عن ابن وضاح [أنها] لا تطهر فقال لي : لا تغتر يقول ابن الوضاح فإنه يلزم عليه تحريم الخل لأن العنب لا يصير فلا حتى يكون خمراً .⁽¹⁾

وذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة و هي أصول و فصول ، و فصوله أول أصوله و أول فصل من كل أصل و إن علا فقال: إن تركيب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت ، و إلا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لأن أقسام هذا الضابط أربعة : التركيب من الطرفين كابن العم و ابنة العم مقابله كالأب و البنت ، التركيب من قبل الرجل كابنة الأخ و العم ، مقابله كابن الأخت و الحالة .⁽²⁾

5- الحَبَّاءُ : توفى سنة 867هـ / 1463م .

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي يحيى المعروف بالحَبَّاءُ نشأ و عاش بتلمسان في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي⁽³⁾ وهو فلكي ناظم له اهتمام بالإسطرلاب و الحساب و الهندسة ، و فقيه مالكي اشتغل

(1) نفع الطيب مج 5 ، ص 237 ، البستان ص 153 ، نيل الابتهاج مج 72

(2) نفع الطيب ج 5 ص 237 ، نيل الابتهاج مج 572-58.

(3) جوانب من الحياة في المغرب الأوسط الموجه السابق ص 62.

انظر أيضا : عبد الحميد حاجيات و آخرون المرجع السابق ص 452.

- عبد الحميد حاجيات الأصالة عدد 26 ص 153.

- مقدي زكرياء الأصالة عدد 26 ص 169.

- بوعيان العلم و الثقافة بالمغرب الأوسط في ق 15/هـ م مجلة الدراسات الإسلامية عدد 1 ، الجزائر

2002

بالفرائض وصفه صاحب البستان و صاحب نيل الابتهاج بـ: الشيخ الفقيه العالم العلامة الأجل الصالح المعدل⁽¹⁾، الفرضي العددي⁽²⁾.

ومن تلامذته حسب ما ذكره تلميذه الملاي أنه أحد شيوخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي أخذ عنه كثيرا من علم الإسطرلاب كما يدل على ذلك كتابه المسمى " بغية الطلاب في علم الإسطرلاب " و نقل عن أستاذه مسائل تفرض بها في هذا العلم ، وذكر السنوسي أن الحباك لم يكن أول من ألف في الإسطرلاب و لكن افضل رسالة قرأها في الموضوع هي : " بغية الطلاب " و أوضح السنوسي في شرحه أن الحباك كان يرمي من ورائها إلى تسهيل حفظها على الطلاب " ، وكما ألف الحباك شرح تلخيص ابن البناء و ألف في الربع المجيب أي في الأشكال الهندسية و سمي كتابه فيه " نيل المطلوب في العمل بربع المجيب رتبه في مقدمة و عشرة أبواب تناول فيها معرفة الجيب و جيب التام و السهم و القوس و الوتر ، و استخراج أحدهما من الآخر ، و القطر و الارتفاع و الدوائر ، و الأوقات و العمليات الحسابية الأربع ، و حركة الأفلاك و قد شرح رجز الجادري المسمى " روضة الأزهار في قلم وقت الليل و النهار في الفلك و سمي شرحه " تفجير الأنهار خلل روضه الأزهار " و نظم رسالة الصغار في الإسطرلاب ، و تحفه الحساب في عدد السنين و الحساب ، و في وفيات

(1) علم التعديل : هو علم يتعرف منه كيفية تفاوت الليل و النهار و تداخل الساعات في الليل و النهار عند

تفاوتها في الصيف و الشتاء .

(2) نيل الابتهاج مج 2 ص 226 ، البستان ص 219 .

الونشريسي توفي الفقيه الفرضي العددي أبو عبد الله الحباك في سنة سبع و ستين
و ثمانمائة . (1)

6- منصور الزواوي (710هـ)

هو منصور بن علي بن عبد الله الملقب بأبي علي الزاوي ، فقيه مالكي
وأصولي و حافظ للحديث و نحوي لغوي ، مشارك في كثير من العلوم العقلية
والنقلية ، و قال ابن الخطيب في الإحاطة : " هذا الرجل طرف في الخير و
السلامة و حسن العهد و الطهارة و العفة قليل التصنع مؤثر للاقتصاد منقبض عن
الناس ، مكفوف اللسان واليد ، مشغل بشأنه ، عاكف على ما يعنيه ، مستقيم
الظاهر ، ساذج الباطن ، منصف في المذاكرة ، موجب لحق الخصم ، حريص
على الإفادة والاستفادة ، مثابر على تعلم العلم و تعليمه و غير أنف عن حملة
عمّن دونه ، جملة من جمل السذاجة و الرجولة و حسن المعاملة صدر من صدور
الطلبة ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية و النقلية ، و اطلاع
وتقييد ، و نظر في الأصول و المنطق و علم الكلام ، و دعوى في الحساب
والهندسة و الآلات ، يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة و السداد " (2) .

ولد و نشأ ببجاية أخذ عن والده وعن شيوخ منهم الإمام منصور المشدالي الذي
قرأ عليه أوائل فقه ابن الحاجب ، و أخذ عن علي بن الحسين جملة من العلوم
الدينية و الفقهية و الخونجي في المنطق و عن قاضي الجماعة ببجاية أبي عبد الله
محمد بن يوسف و أبي العباس أحمد بن عمران (3) و يتلمسان درس علي أبي

(1) نيل البهجة ص 226 ، البستان 220 .

(2) الإحاطة ص 324-325 ، نيل الالتماع ص 2 ص 309-309 ، البستان ص 292 .

(3) علي بن يونس ، مشاهير المرجع السابق ص 267 .

محمد عبد المهين الحضرمي ، و أبي إسحاق بن أبي يحيى و علي العباس بن يربوع وغيرهم . (1)

رحل إلى الأندلس سنة 753 فلقني ترحيباً بها ، فأخذ العلم عن ابن الفخار البيري و أجازته وعن قاضي الجماعة الشريف الحسيني السبتي نسيح وحده لازمه و أخذ عنه تأليفه و قرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك (2) و اشتغل بالتدريس في مدارس (3) الأندلس ، ولما أفتي في مسألة فقهية خالف فيها فقهاء الفروع في زمانه في الأندلس اشتد هؤلاء في معارضته و إذايته حتى اضطر سنة 765 إلى مغادرة الأندلس (4) و نزل بتلمسان واستقر بها يقرئ و يدرس سنوات عديدة .
ومن تلاميذه "أبو إسحاق الشاطبي" (5) يحيى بن خلدون ، و لسان الدين بن الخطيب و يحيى السراج ، و المقري الكبير .

7- علي بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصدي

عرف بالقلصدي نسبة إلى مدينة "كالزدا" (6) الواقعة شرقي غرناطة ولد بمدينة أندلسية تقع في شمال الشرقي لغرناطة تعرف ببسطة (1) نشأ بها و تلقى

(1) عبد لي لخضر المرجع السابق ص 299.

(2) البستان ص 293، نيل الابتهاج ، مج 2 ص 310 ، بغية الرواد ، ج 1 ص 132 الإحاطة ج 3 ص 328.

(3) المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة الشهيرة ، التي أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج في سنة 750 هـ 1349 م.

(4) قال صاحب الإحاطة انه امتحن في هذا العهد الأخير بالمطالبة الشرعية، لتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد علي رجل نال من جانب الله و النبوة و شك في القول بتكفيره فقال القول بإشراكه في التكفير و لطحه بالعاب الكبير إذ كان كثير المشاحنة لجماعته فأجلت الحال عن صرفه عن أندلس، انظر الإحاطة مج 3 ص 325.

(5) البستان ص 293-294، نيل الابتهاج ج 2 ، ص 311، عبد الحميد حاجيات أبو حمو موسى ص 194-195.

(6) هذه المدينة بسميها الأسنان سانتا دو مينغو كالزادا Santa dominigo de la calzada. وهي البلدة

تسمى بالبسطة "Pudola" الواقعة شرقي غرناطة .

دراسته الأولى على يد شيوخها ومن بينهم أبو أحمد جعفر بن أبي يحيى المتضلع في الفقه و الفرائض و الحساب و أخذ على أبي الحسن على الخمي القرطبي الحاذق لعلوم عصره فدرس عليه التفسير و الفقه و قواعد اللغة العربية و الفرائض و الحساب و أبي بكر البيهقي و أبي عبد الله محمد بن محمد البيهقي ،

و أبي الحسن على بن عزيز الولي الصالح المهتم بقراءة القرآن و أبي عبد الله محمد القسطلبي الورع المشارك في كثير من علوم الشريعة و علوم العربية (2) و كان خلال إقامته ببسطة يتردد على غرناطة عاصمة المملكة .

وفي سنة 840هـ ابتدأ القلصادي رحلة علمية تتيح له أن ينهل من مناهل المراكز الثقافية الشهيرة في عصره بالمغرب و المشرق الإسلاميين فاتجه نحو تلمسان و هي تعيش في أزهى حياتها الثقافية فأخذ عن أشهر أعلامها و مشايخها و من بينهم : أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني و أبو عباس أحمد بن زاغو و محمد بن مرزوق العجسي المعروف بالحفيد و عيسى الرتيمي و الحجاج يوسف الزيدوري ، و أبي عبد الله محمد بن النجار ، و قاسم بن سعيد العقباني (3) .

و في تلمسان كان القلصادي يحضر لبعض المجالس العلمية ، و كان قد استفاد منها دون أن يقرأ بنفسه على شيوخها و أعلام هذه المجالس و من بينهم الحسن بن مخلوف الراشدي ، و أبو الفضل بن الإمام ، و سليمان اليزيدي .

(1) مدينة أندلسية تقع في سفح جبل عال بما عيون مطردة و خصب كثير و بينها و بين بياسة ستون ميلا .

(2) رحلة القلصادي ، المصدر السابق ، ص 31 .

(3) البستان ص 142-143 ، انظر أيضا جلول حليمو ، معجم مشاهير المغاربة ، المرجع السابق ص 441 .

ولم يقتصر القلصادي في هذا الوقت على التلقي بل كان يهتم بالتأليف واهتم به في هذه الفترة مؤلفه " التبصيرة الواضحة في مسائل الأعداد " و كان ذلك سنة 847هـ، كما كان يعتقد حلقات للدرس و يتولى الإقراء و تاريس بعض الكتب التي صنفها بنفسه و من بين الذين أخذوا عنه : الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (1) الحسيني الولي الصالح الفقيه صاحب التصانيف في علم الكلام و قرأ عليه جملة من الحساب و الفرائض ، و أجازه القلصادي في جميع ما يرويه و ممن قرأ عليه أيضا بتلمسان أبو عيد الله محمد الملاي الذي قال عن شيخه: " كان عالما فاضلا صالحا شريفا الأخلاق سالم الصدر ، له تواليف أكثرها في حساب و الفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البنا و شرحه العجيب على الحوفي ، و انتفع به خلق كثير ... ثم لما قدم من الأندلس استقر عند سيدي محمد بن مرزوق يعني الكفيف ولد الإمام الحفيد ابن مرزوق ، فقرأ عليه جم غفير من الناس ، و أخذت عنه أنا تأليفه في العربية " . (2)

و كانت لتلمسان الحظ الوافر من إقامة القلصادي خلال رحلة إذ مكث بها حوالي ثمان سنوات ليرتحل بعد ذلك نحو تونس و قد اعجب بجوها الثقافي ، و كان قد أقام بتونس مدة سنتين و نصف و سكن خلالها بالمدرسة الجديدة ، بحي باب السويقة ، و المدرسة المنتصرية القريبة من جامع الزيتونة ، و قد استغل الفرصة لتلقى الدروس في مختلف العلوم من أعلام تونس و من بينهم : أبو العباس أحمد القلشاني المتبحر في المذهب المالكي ، المستحضر للنوازل الفقهية مع عناية

(1) رحلة القلصادي ص 33، حاجيات و آخرون ص 452، نيل الابتهاج ص 328.

(2) نيل الابتهاج مج 1 ، ص 382، رحلة القلصدي ص 33.

بالتفسير و الحديث و علوم العربية ، و أحمد المنستيري العالم النحوي ، و أبو عبد الله محمد الدهان الطيب الماهر و أبو عبد الله محمد بن عقاب الجذامي قاضي الجامعة بتونس و إمام جامع الزيتونة ، و غيرهم ، و خلال إقامته بتونس اشتغل بالتدريس ، و التأليف فقد صنف فيها كتابه و "كشف الجلباب عن علم الحساب" و كتابه "القانون في الحساب" و كتابه "الكليات في الفرائض" و شرحه في نحو أربعة كراريس . و ارتحل القلصادي نحو مصر و استقر بالقاهرة و أخذ عن الشيخين زين الدين طاهر النويري المالكي ، و علم الدين الحصني الشافعي ، و كانت مدة بقاءه بالقاهرة لم تدم طويلا ليتجه نحو البقاع المقدسة ليعود ثانية إلى القاهرة و يستقر بها أكثر من ثلاثة عشر شهرا ، اشتغل فيها بطلب العلم قراءة و إلقاء ، و قد أخذ عن أعلام مصر المشاهير كالقاسم النويري ، تقي الدين الشمني الحنفي ، و عبد الله البغدادي و أبي العباس شهاب الدين أحمد بن حجر و جلال الدين المحلي ، و قد درس المنطق على بعض العجم و درس كتبا في تفسير و البلاغة و العلوم العقلية على يد الشيخ السمرقندي شمس الدين محمد الكريمي (1) .

و عن عودته إلى غرناطة فقد لازم شيخي الأندلس وعالمها المفتين : أبا إسحاق إبراهيم بن فتوح ، و أبا عبد الله محمد السرقسطي و اشتغل بالتأليف و التدريس ، و كان ممن أخذ عنه في غرناطة أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد البلوي الذي قال : أول من قرأت عليه بحضرة غرناطة شيخنا الإمام العلامة الحاج الصالح الرجال فرضي العصر و عديده ذو التصانيف العديدة الكثيرة الغزيرة أبو الحسن

(1) رحلة القلصادي ، ص 36.

علي بن محمد بن علي القرشي الشهر بالقلصادي ... أخذت عنه علمي العدد و
الفرائض نقلا و عملا" (1)

وعندما أحس القلصادي بالخطر يتفاهم في وطنه رحل إلى مدينة باجة بتونس
حيث واصل نشاطه العلمي.

ومن تأليفه :

- غنية ذري الألباب في كشف الجلباب ، كشف الأسرار في علم الغبار هذا
الكتاب اثبت للأوروبيين بأن الإشارات الجبرية * كانت مستعملة عند علماء
الرياضة المسلمين، كشف الجلباب عن علم الحساب ، و كتاب التبصيرة
الواضحة في مسائل الأعداد ، شرح تلخيص ابن البناء ، قانون الحساب
وشرحه ، شرح الأرجوزة الياسمينية ، و فنون الحساب ، بالإضافة إلى مصنفاة
في الفرائض : ومنها الضروري في علم المواريث ، الكليات في الفرائض مع
شرحها ، شرح الفرائض لابن الحاجب الخاصة بالفرائض مع مختصر تحليل ،
شرحان على التلمسانية بالإضافة إلى مصنفاة في العروض و المنطق و النجوم
ومنها مختصر في العروض ، شرح الخزرجية ، شرح أرجوزة إسحاق بن فتوح ،
بالإضافة إلى رحلته (2) و له مؤلفات أخرى في نحو كشرحه للارجومية و شرح
على رجز ابن مالك ، و غنية النحاة و شرحاه و في التراجم و في التصوف و

(1) نفسه ص 38 ، البستان ص 142.

* فقد استعملها لعلامة الجدر الحرف الأول من كلمة جدر (ج) و للمجهول الحرف الأول من كلمة شيء يعني
(س) ، و لمربع المجهول الحرف الأول من كلمة مال (م) يعني س2 و لمكعب المجهول الحرف الأول من كلمة
كعب

(ك) يعني س3 و لعلامة المساواة الحرف ل و للنسبة ثلاثة نقط :

(2) رحلة القلصادي ص 40-41 انظر أيضا معجم مشاهير ص 442-444.

مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم- : كشرح البردة ، و شرح حكم ابن
عطاء الله و في القراءات و الحديث : كشرح رجز بن بري، و شرح الأنوار
السنية لابن جزي . (1)

- و في منتصف ذي الحجة من سنة 891هـ الموافق لشهر ديسمبر 1486
أدركت المنية القلصادي و هو بمدينة باجة بإفريقية و دفن بمكان يعرف بباب
المسيد (2) .

(1) رحلة القلصادي ص 46.

(2) رحلة القلصادي ص 52.

الباب الثالث

المراكز الثقافية بالسودان

الغربي وعلاقتها بالمغرب

الأوساط

الفصل الأول

المؤتمرات الثقافية والعلمية بالسودان الغربي

1. المساجد

2. المدارس والمعاهد العليا

3. العلوم النقلية والعقلية

تمهيد

كان للإسلام وجود ثقافي رائع في السودان الغربي ، هذا ما ذهب إليه الرحالة العرب و الأوروبيين ⁽¹⁾ و غيرهم من الوافدين على المنطقة، و الدارس للحالة الثقافية يرى الفرق الحاصل الذي أحدثه الإسلام في حياة الأفارقة و القبائل الإفريقية ، فتفكير القبائل قد تطعم بأساليب و معطيات جديدة في حين أولئك الباقيين على وثنيتهم حافظوا على فنونهم و آدابهم القديمة ⁽²⁾.

كانت القبائل التي اعتنقت الإسلام قد أخذت من اللغة العربية كلغة دينية وإدارية وثقافية ، و هذا ما جعلها ، تتذوق قسما مما أنتجته قرائح العلماء من الثقافة العربية ⁽³⁾ غير أن حداثة السودانين بالإسلام جعل الطابع القديم من الفنون هو المسيطر على الحياة الثقافية ، إلا الإنتاج الفكري الذي طغت عليه الصبغة الإسلامية نتيجة تمكنهم من الدين الإسلامي بواسطة اللغة العربية و من هنا فإن النظرة العامة للحالة الثقافية تؤكد لنا أن ميدان تطور الحركة الفكرية و الثقافية كان ضيقا و محدودا و قد اعترف السودانيون للعرب المسلمين بالتفوق الثقافي لهذا طلب منهم أن يشاركوا في إدارة البلاد بخبراتهم الواسعة ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ من أشهر الرحالة العرب الذين زاروا السودان الغربي ابن بطوطة و الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي أما

الأوروبيون فأشهرهم دولافوس

⁽²⁾ عبد القادر زيادة المرجع السابق ص 151 .

⁽³⁾ المرجع نفسه ص 152 .

⁽⁴⁾ نعيم قداح المرجع السابق ص 156 .

فيذكر البكري أن كثيرا من وزراء ملك غانة كانوا من المسلمين و كان الترجمة منهم ، و كان وزير الخزانة من المسلمين كما تولوا تنظيم أمور المالية لخبراتهم بها و للثقة الكبيرة التي كان يشعر بها ملوك غانة نحوهم (1) .

و كانت بداية القرن الرابع عشر فاتحة خير على الثقافة في السودان الغربي فقد أرسل السلطات "موسى" (2) سلطان مالي بعثات ثقافية من الطلبة إلى المغرب الإسلامي لمتابعة دراساتهم و كان قد اشترى هذا السلطان أثناء حجه كثيرا من الكتب من القاهرة و مكة :

ويروي معظم المؤرخين لمملكة مالي في القرن الرابع عشر الميلادي أن الملك وولي عهده كانا يتقنان العربية قراءة و كتابة و حديثا و قد عملا على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة المحلية (3) لأهمها وجودا فيها و في الإسلام ثقافة ملائمة لحاجتهما ، فأقبلا عليها إقبال العطشى على الماء و تمثل حبهما للعلم في إكرامهما للمعلم ، فهو محترم من الجميع ، لأن الكثير من المعلمين كانوا يعملون لوجه الخير و المعرفة . كان التعليم في أول أمره محصورا بين الأساتذة العرب القادمين خاصة من المغرب الأوسط ، و بعد مضي مدة تكوونت

(1) البكري، المصدر السابق، ص 177 .

(2) السلطان منسا موسى سلطان مملكة مالي الإسلامية ، و هو أشهر حاكم حكم مالي على الإطلاق : تولى أمر البلاد بعد مقتل ساكورة أخرج الملك منسا موسى البلاد من الفوضى ، و كان ذلك عام 721هـ/1321م اختلف المؤرخون في اسمه : هناك من يسميه موسى بن أبي سالم التركوري ، و آخر يطلق عليه موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود ، و مهما تعددت الأسماء فإن الاسم الذي اشتهر به هو منسا موسى ، فمنسا بمعنى الملك و موسى اسمه ، قام برحلة للحج عام 724 هـ بعد أن وطد أركان دولته ، و قد ازدهرت البلاد في عهده ازدهارا كبيرا في المجال الاقتصادي ، و الفكري والأمني و ربط علاقاته السياسية بمنطقة الشمال الإفريقي و توفي سنة 738 هـ ، أنظر ابن خلدون ، العبر ج 6 ، ص 200 .

(3) نعيم قدامح المرجع السابق ص 157 .

طبقة مثقفة من السودانيين تولت مهمة التعليم بعد أن تخرجت على أيدي علماء مغاربة أو مصريين أشهرهم العالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي كان له الفضل في تطور الثقافة الإسلامية في السودان الغربي في عهد الأسقيين.

يعد عهد الأسقيين بإمبراطورية سنغاي الإسلامية الذي استمر مائة سنة من الزمن أزهى عصور سنغاي السياسي و الاقتصادي و الثقافي العربية الإسلامية إذ لعبت هذه الدولة أدوارا جسيمة في انتشار الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي كله و في هذا العصر - الأسقي - اشتهرت المراكز العلمية والثقافية في السودان لغربي و ظهرت قوية و توافد عليها العلماء و طلاب العلم من كل فج عميق⁽¹⁾ كما ظهرت مؤلفات كبار العلماء في العالم إسلامي و أتت الثقافة الإسلامية أكلها ناضجة .

كما يعد عهد الأسقيين المرحلة التي بلغ فيها انتشار الإسلام و استقراره في إفريقيا الغربية (السودان الغربي) كلها عصره الذهبي بصفة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة قبلهم ولا بعدهم ، كما بلغ ازدهار التبادل العلمي و الثقافي و التجاري في هذا العهد بين سكان السودان الغربي و العالم الإسلامي أوجه وخاصة المغرب الإسلامي كما بلغ ازدهار التبادل العلمي و الثقافي و التجاري في هذا العهد بين السودان الغربي و المراكز الثقافية بالعالم الإسلامي عامة و الشمال الإفريقي خاصة و قد نمت أكثر في عهد السلطان العادل الحاج أسقيا محمد و ابنه داود ، و كان أسقيا محمد الذي حكم سنغاي 1493- 1528 محبا للعلم و العلماء ، و كان قد استقدم عدد كبير من العلماء من المغرب و المشرق

(1) أبو بكر ميقا- الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ إلى 1100 هـ في عهد

الممالك الإسلامية غانا - مالي ص 38 .

الإسلاميين و في أثناء حجه عام 889 هـ استقدم بعض العلماء منهم الشريف أحمد الصقلي و كاتبه علي بن عبد الله ، كما اشترى في مكة و المدينة جنانا وبيوتا وحبسها أوقافا يصرف ريعها على الفقراء و المساكين و العلماء و طلبة العلم الذين انقطعوا للدراسة و العبادة. من الوافدين من السودان الغربي قال السعدي : " أنه اشترى جنانا في المدينة و حبسها على أهل التكرور ، و هي معروفة هناك " (1).

أولا: المساجد .

و كانت بعض المدن المشهورة لمساجدها و مدارسها و لكونها مركزا تشع منها الثقافة العربية الإسلامية ، مثلت المراكز الثقافية بالسودان الغربي إبان القرنين الرابع عشر و الخامس عشر و حتى بداية القرن السادس عشر ، و هذه المراكز هي المدن التي كثرت بها المساجد و الكتاتيب و الزوايا و المدارس العليا أو كانت مقرا للدعوة الإسلامية و في مقدمتها تمبوكتو و ولاتا، جيني ، و غاو ، و أغادس و غيرها و كانت المؤسسات الثقافية و التعليمية بها تعرف بمنازل العلم و العبادة و كانت هذه المنازل متمثلة في المساجد فيذكر الوزان في مؤلفه و وصف إفريقيا : " و لهم مساجد كثيرة و أئمة و أساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود المدارس " (2).

(1) السعدي ص 73

(2) الوزان ج 2 المصدر السابق ص 164

Zakari Peameni – Issifoo :

L'Afrique noire dans les relations internationales au XVI sicle Analyse de crise entre le Maroc et Sonrhail edtion Kartihala , Paris , 1982 , P 196- 203 .

و تعد المساجد تعبيرا عن الهوية الإسلامية ففيها كان يتم التدريس و تقام العبادات كالصلوات الخمس و الجمعة و صلاة العيدين و يعين لكل مسجد إمام و نائبه و خطيب، و مؤذن يشرف على المسجد ولقد بدأت عملية بناء المساجد في إفريقيا جنوب الصحراء مع انتشار الإسلام ، فقد تحدث البكري عن مساجد غانة وقال: "ومدينة غانة مدينتان سهيلتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ولها الأئمة و المؤذنون و الراتبون و فيها فقهاء و حلما علم"⁽¹⁾ و هذا ما يؤكد وجود الإسلام قبل المرابطين الذين أمهوا دولة غانة التي كان يحكمها حكام غير مسلمين و لما انتهت هذه الدولة قامت على أثارها دولة مالي الإسلامية التي ستخلفها دولة سنغاي التي قام حكامها بتأسيس إمبراطورية إسلامية واسعة في المنطقة⁽²⁾ . و استعانوا بالمسلمين العرب في ترقية الإمبراطورية ثقافيا و اقتصاديا و حتى سياسيا .

و قد اعترف السودانيون للعرب المسلمين بالتفوق الثقافي ، لهذا طلب منهم أن يشاركونا في إدارة البلاد بخبراتهم الواسعة .

1- مساجد تمبوكتو :

كانت تمبوكتو تضم ثلاثة مساجد هامة :

المسجد الجامع الكبير و مسجد سنكري و مسجد سيدي يحيى ، وهذه المساجد الثلاثة أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى و مراكز ثقافية و تربوية ، وقد حققت هذه المساجد أهدافها التعليمية و الثقافية و التربوية

⁽¹⁾ البكري المصدر السابق ص 175 .

⁽²⁾ علي يعقوب نبذة من تاريخ الفلاني و أصولهم ، مجلة المغرب الإفريقي مجلة متخصصة في التراث و الدراسات الإفريقية، معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس الرباط المغرب ، العدد 4 ، سنة 2003 ، ص 69 .

وتخرج منها القضاة والعلماء والأدباء والمؤرخون أمثال أسرة كعت⁽¹⁾ والقاضي العاقب⁽²⁾ و علماء و فقهاء أسرة آل أقيت و المؤرخ السعدي⁽³⁾ صاحب مؤلف تاريخ السودان ، و أحمد بابا⁽⁴⁾ صاحب نيل الابتهاج و القاضي محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش و غيرهم كثيرون :

جامع سناكوري Sankoré :

كان هذا الجامع يتصدر منارات العلم و العبادة ، و قد أورد عبد الرحمن السعدي إن الذي قام ببنائها سيدة غلالية فاضلة كانت تمتلك ثروة فوظفت جزءا منها لهذه المنارة⁽⁵⁾ و قد حدد بناؤها القاضي العاقب عام ستة و ثمانين بعد تسعمائة (986هـ-1578م) و قد بلغ هذا الجامع أوج ازدهاره في عهد إمبراطورية سنغاي زمن الأسقيا الحاج محمد الكبير ، و قد ارتفع شأنه بما بلغه من

(1) و قد ظهرت في شخص محمود كعت التنيكتي صاحب كتاب الفتاش فقد كان فقيها من فقهاء تمبوكتو .

(2) هو العاقب بن محمود بن عمر بن اقيت قاضي تمبوكتو الإمام الفقيه الفاضل العامل القاضي العادل كان صاحب أحوال غريبة وكرامات كثيرة أخذ عن أبيه و عمه و رحل إلى المشرق و لقي في طريقه الشيخ عبد السلام الأسمر و أخذ عنه و أحازه الناصر اللقاني و التاجوري إجازة عامة و هو أجاز أحمد بابا ، مولده سنة 913 و توفي سنة 991 .

انظر شجرة النور الزكية المرجع السابق ص 286 .

(3) من رجال القرن السابع عشر كان قد تجول في بلاد النيجر ، و أقام بتمبوكتو و حتى و رحل إلى المغرب الأقصى كان يحمل ثقافة مغربية مع كونه سوداني الموطن ينتمي السعدي إلى أسرة من الفقهاء في تمبوكتو ، كان من علماء و من بيت علم و جاه تولى إمامة جامع سنكري من 1036 هـ و ألف كتابه تاريخ السودان .

(4) هو فقيه مشهور ولد بوهران 1556 م من اصل صنهاجي ثم رحل إلى تمبوكتو و أقام فيها و شهد الاحتلال المراكشي للسودان الغربي (سنغاي) و قد ظهرت مواهبه و ارتفعت مكانته العلمية و انتشر ذكره حتى أدرك مراكش و بجاية تلمسان ، و قد حمل إلى مراكش أسيرا و لكنه عاد إلى تمبوكتو مرة أخرى حيث توفي بها سنة 1627 أنظر حسن أحمد محمود الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي القاهرة مصر ، ص 245 .

(5) لم يعرف على تاريخ بناءها إلا أن بعض المؤرخين السودانيين كمحمود كعت الذي ذكر أن بناءها كان في عهد ابن القاضي محمود و هذا من أبناء القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي أنظر محمود ركعت تاريخ الفتاش : باريس 1964 م ، ص 34-78 .

مستوى علمي راق و أضيف على مدينة تومبوكتو طابعا مميزا حيث جعلها عاصمة من عواصم الدين و العلم و الأدب في مناطق السودان الغربي خاصة والعالم الإسلامي عامة ، و قد ذاع صيت هذا الجامع لما بلغه من مستوى علمي رفيع و قد انفتح هذا الجامع على العديد من مراكز العلم في الأندلس و شمال إفريقيا في فاس ومراكش و بجاية ، و تلمسان و طرابلس و غيرها من مراكز الحضارة (1) .

كان هذه الجامع يشبه إلى حد كبير جامع القرويين بفاس قي التدريس و أساليبه وفي المناهج التي كانت تدرس في فاس و تمبوكتو كما توافد طلاب منها إلى مدينة فاس من أجل التزود بالعلم وما رحيل القاضي (كاتب السلطان موسى) إلى مدينة فاس لتعلم العلم في عهد مملكة مالي الإسلامية بأمر من سلطانها العادل موسى إلا دليل واضح على الامتزاج الحضاري بين هذه المنارة و نظرائها بالشمال الإفريقي وقد يعاقب على التدريس بهذه المنارة عدد من الرجال جمعوا بين العلم و العبادة من بينهم : أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت وتولى بعده الإمام اندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي ، و تولى بعده أحمد بن صالح ابن عمر و كان عالما بالأدب و اللغة. و تولى بعد ذلك بلقاسم التواتي و قد

(1) الهادي المبروك الدالي ، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء ص 150

Willems Didier :recherche sur quelques grandes mosquées du Mzab et du Sahel central , I H A A , Paris IV , 1990-1991, P 96-98 .

انظر أيضا : الهادي المبروك الدالي : العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية و أهم المراكز بالشمال الإفريقي من 7-9 هـ/13-15 م ، ط 1 ، مركز دراسات و أبحاث شؤون الصحراء 1991 ص 112 ، أنظر أيضا الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية و علاقاتها مع أهم مراكز بالشمال الإفريقي (13/15م) تقديم د. محمد رزق ط 2 ، 1999 ، ص 105-106 .

انظر أيضا : . Zakari Op Cit , P 198-203 أنظر أيضا Sari (Djilali) la dimension civilisationnelle de la route des caravanes , in revue la route des caravanes , c.n.r.p.a.h Alger 2001 P 87.

اشتغل بهذه المنارة الإمام العاقب بن محمود ، الذي كلف من قبل الأسقيا داود بالإمامة و القضاء معا إلى أن توفي، ثم تولى بعده الإمام أبو بكر بن احمد بير ، ثم تولى الإمامة عبد الرحمن بن الفقيه محمود⁽¹⁾ و من بين الذين اشتغلوا بهذا الجامع:

محمد بن محمد كرى الذي كان عالما و فقيها ورعا ، و القاضي سيدي أحمد ثم ابنه محمد سيدي أحمد ، و سنتاعون الهادي السوداني ، ثم سعيد بابا و الإمام أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنكي إلى أن يتولى الإمامة و التدريس الإمام الفاضل عبد الرحمن السعدي صاحب تاريخ السودان.⁽²⁾

المسجد الكبير بتمبوكتو (جينكري بيرى) Djingurber :

يطلق على هذا الجامع (جينكري بيرى) أي المسجد الكبير أو الأعظم تم بناءه من قبل السلطان منسا موسى 707⁽³⁾ - 733هـ / 1312 - 1337م⁽⁴⁾ بعد رجوعه من الحج ، و قد اختط من قبل المهندس أبو إسحاق الساحلي⁽⁵⁾ و عبد الله الكومي الموحدى الغدامسي⁽¹⁾ على الطراز المغربى

(1) محمد سوامية ص 54 .

(2) تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء ص 150 .

(3) شارل أندريه جوليان ، تاريخ إفريقيا ، تر/طلعت عوض أباضة القاهرة دار النهضة المصرية 1968 ، ص 135

(4) أحمد بلعراف التكني ، إزالة الريب و الشك و التفریط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور و الصحراء و أهل بيـ شـنقـيط تحقيق ، الهادي المبروك الدالي ، طرابلس 2000 ، ص 48 .

(5) هو أبو عبد الله الساحلي أحد شعراء غرناطة و كان معماريا ثم التقى في موسم الحج بالسلطان موسى الأول ، فاستقدمه معه إلى السودان الغربى حوالي 1326 م و قد بنى في تومبوكتو جامعا و قصرا للملك ، كما بنى في (بناني) عاصمة مالي آنذاك قصر آخر ، و يقال انه منذ ذلك الوقت أخذ الأسلوب المغربى ، الأندلسى في فن البناء ينتشر بغرب السودان انظر زبادية عبد القادر ، ملامح الحركة التعليمية في تومبوكتو خلال القرن السادس عشر ،

الأصالة عدد 53 ، ص 15

الإسلامي، كان ذلك في أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي و لهذا المسجد موقع ممتاز بتوسطه مدينة تومبوكتو وقد ألحقت بهذا المسجد من جهة اليمين قبورهم، و هي عادة عند أهالي إفريقيا فيما وراء الصحراء فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم و يعد هذا المسجد من أقدم المساجد بتومبوكتو⁽²⁾ ولقد اشتغل بهذا المسجد عدد من الأئمة و من بينهم الإمام عثمان بن الحسن التشتي و محمد كداد بن أبي بكر الفلاني في زمن القاضي العاقب و استمرت إمامته إلى أن توفي عام 989 هـ / 1581 ثم خلفه الإمام أحمد إمامة جامع الكبير بتكليف من القاضي العاقب و استمر فيها ستة عشر عام و ستة أشهر و نصف و كان جزء منها في دولة سنغاي والآخر في عهد العهد السيطرة المغربية على الإقليم.

مسجد سيدي يحيى: sidi Yahya:

يعد هذا المسجد أول مسجد بني في مدينة تومبوكتو ، في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي⁽³⁾ ، و يقال أن هذا المسجد شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين ويقال أنه قدم من المغرب الأقصى يدعى سيدي يحيى و يبدو أن لهذا المسجد بني في القرن التاسع الهجري و أول إمام عين بد يدعى الشيخ سيدي يحيى تبركا بالولي الصالح المغربي سيدي يحيى و استمر في الإمامة إلى أن توفي عام 1463/868 م و لقد رمم هذا المسجد سنة 976 هـ / 1568 م ومن

(1) willems Didiers Op Cit P 90

(2) أنظر محمود ركعت ، تاريخ الفتاش المصدر السابق ص 34-40 ، أنظر أيضا عبد الرحمن السعدي، تاريخ، المصدر السابق، ص 62.

(3) يقال أنه بني في عهد سيطرة الطوارق على منطقة السودان الغربي ، أنظر Williems Didier Op cit P

بين الأئمة الذين تعاقبوا عليه الإمام محمد نعيغ ، و الإمام محمد بن محمود
الونكري الذي توفي عام 1081هـ/1609م ، ثم الإمام أحمد ابن سعيد الذي
توفي سنة 1040 هـ/1630م.

مسجد محمد نض :

لقد بني هذا المسجد بمدينة تومبوكتو ، و قد جدد القاضي العاقب بناءه
ووسعه سنة 976هـ.

مسجد التواتيين :

ثم بنائه من قبل محمد بن علي التواتي الذي قدم إلى مدينة توات سنة
920هـ/1514 مع جماعة من التواتيين ، و الأمر الذي دفعهم إلى بناء المسجد
لأداء الصلاة راجع إلى الخلافات التي حدثت بينهم و بين بعض علماء تومبوكتو
فاتخذ هذا المسجد من قبل هذه الجماعة التواتية للعبادة و التدريس ، و كانت
الجماعة التواتية عبر تاريخها الزاهر من انشط الجماعات التي سكنت الصحراء .
فلقد قام فقهاء توات بنقل ما عندهم من علوم و معارف إلى مناطق السودان
الغربي عن طريق التدريس و الإمامة و الوعظ و الإرشاد بالمساجد عامة و مسجد
التواتين خاصة⁽¹⁾ ، و لقد تولى التدريس بهذا المسجد عدد من الأئمة من بينهم
الفقيه محمود بن محمد الزغراني التمبوكتي .

مسجد اسقيا الحاج محمد:

(1) فرج محمود فرج ، الدور الحضاري للإقليم التواتي في إفريقيا السوداء ملتقى الدراسات الإسلامية و العربية في
القارة الإفريقية

لقد أسس هذا المسجد الأسقيا الحاج محمد و يعد من اكبر المساجد بالمدينة ويتميز بصومعته الطويلة ، و قد اعتنى به أسقيا الحاج محمد و جعله مؤسسة تعليمية بالإضافة إلى دور العبادة و هو مبني بالطين و مسقوف بالخشب ، و يختلف في طرازه المعماري عن مساجد تمبوكتو و جني فالمئذنة مفصولة عن المسجد ، و مكان الصلاة عبارة عن بناء طويل .

مسجد أسقيا الحاج محمد باقدز (1) :

بنى أسقيا الحاج محمد هذا المسجد و هو في طريق عودته لما مرّ بمدينة أقدز ، وأمر بتشيد مسجد بها ، نظرا لأن المساجد البلدة لا تكفي للمصلين والتعليم .

مسجد محمد الفزاني :

و لقد بني هذا المسجد من قبل التاجر الليني محمد الفزاني القادم من بلدة فزان بليبيا في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي و قد كانت وظيفة هذا المسجد العلم و العبادة و يختلف هذا المسجد عن سابقه من المساجد فقد انفرد هذا المسجد بشكله الهندسي الداخلي و من بين الأئمة الذين اشتغلوا وأشرفوا عليه الشيخ عثمان بن أبي بكر الحضيري الفزاني في عام 1009هـ/ 1600م .

مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي :

(1) هي إحدى حواضر إفريقيا وراء الصحراء ، تقع حاليا ضمن نطاق جمهورية النيجر إلى الشمال من عاصمة نيامي ، تبعد عنها بحوالي ألف كيلومتر قال عنها مارمول : أنها تقع إلى الغرب من إقليم جوبر ... و هي أقرب مدن السودان من المناطق الإفريقية المأهولة بالبيض أنظر مارمول كزبحال ج3- تر/محمد حجي و آخرون ص 206 .

لقد شيد العالم المغيلي بمدينة أقدز مسجدا صغير الحجم ، عندما استوطن بأقدز وكان هو نفسه يدرس العلم فيه :

و هناك مساجد أخرى و هي عديدة بنيت من قبل الأسقيا داود في عدد من المقاطعات و أطلق عليها لبنة ، بأن أرسل إلى كل من يشيد مسجدا (لبنة) و أمر بأن تلحق بالمسجد محارب تكسى برداء أحمر ، وسجاد يوضع على المنبر ، وعصي من شجر شاع على قدر قوس طولاً يمسك بها الإمام عند الصلاة الجمعة و يلاحظ أن جزءاً من هذه المساجد قدمها أسقيا محمد و أولاده إلى أشخاص تابعين له ، ولذلك حملت أسماءهم ومن بين المساجد :

مسجد في بوبو ، مسجد الملك الوتر ، مسجد الحاج قطب اسدارغوا مسجد وهاب ، مسجد طرنديك ، مسجد حلصو ، مسجد بور ، مسجد غون ، مسجد فرنك ، مسجد طو ، مسجد سند ، مسجد دار السلام . مسجد سداد دكو الحاج قطب ، مسجد وهاب الحاج محمود ، مسجد أبي غاضو التزوري ، مسجد طرانديك سيس....

2. مسجد جنبي ودوره الإشعاعي

تعد جنبي أقدم مركز ثقافي في السودان الغربي ، حيث يعود الفضل في ازدهارها ثقافياً إلى علماء من المغرب الإسلامي و مصر إلى جانب بعض العلماء السودانيين حيث ذكر صاحب كتاب تاريخ السودان " لقد منح الله لهذه المدينة المباركة عدداً من العلماء والأولياء الصالحين الذين قدموا من بعيد للإقامة بها والذين تختلف و تتعدد أصولهم ". ولقد اشتهرت مدينة جنبي بمسجدها الذي تم بناؤه على تصميم أحد المغاربة يدعى معلوم إدريس و كان معاصراً للساحلي

الذي أشرف على بناء مسجد سنكوري و ربما كان أحد مساعديه و قد أصبح هذا المسجد مركزا لامعا للتعليم أو لتعليم الفقهاء من أمثال مورد ماغاكونكوي Mourimagha Kankoi و فوديا محمد فوديكي سانو الونكري Foudiya Mohamed Foudiki Sanouelouakore⁽¹⁾ و كانت مدينة جني مدينة جامعية كونها مهد القاضي محمود بن أبي بكر باغا يوغو Bagha Yogho والد العالمين الجليلين محمد واحمد الذين كانا لهما الفضل في ترسيخ الثقافة الإسلامية ببلاد السودان⁽²⁾.

3. مسجد غاو :

غاو هي المدينة التي اتخذت منها دولة سنغاي عاصمة لها منذ أيام آل ضياء الأولى، وكانت مدينة غاو مركزا ثقافيا حقيقيا وكان المسجد الجامع بها بمثابة مركزا للتعليم، كان العرب المسلمين يشرفون عليه فيذكر الرحالة الطنجي ابن بطوطة الذي زار مالي خلال منتصف القرن 14 و أقام في مدينة غاو مدة شهر كامل " أن بعض العرب المسلمين هم الذين كانوا يشرفون على هذا المسجد وذكر منهم الفقيه محمد الفيلاي الذي كان إماما فقيها " ، وقد عرفت مدينة جني ازدهارا ثقافيا خاصة في عهد الإسقيين الذين كانوا يعتنون بالعلم والعلماء⁽³⁾ فيذكر صاحب الفتاش أن الأسقيا داود الأول⁽⁴⁾ كان أول من أنشأ مخازن للمسكوكات و أقام المكتبات و قد كان له نساخا لنسخ المخطوطات ،

⁽¹⁾ Zakari Op cit P 196

⁽²⁾ زيادية مملكة، المرجع السابق، ص 107 .

⁽³⁾ Zakari Op cit P 196

⁽⁴⁾ و قد وصفه أيضا بأنه كان سلطانا مهيبا فصيحاً خليقاً للرئاسة كريماً جواداً... إنه حافظ للقرآن ، قرأ الرسالة فأتمها و له شيخ يعلمها له ، و يأتي الشيخ بعد الزوال ... " انظر أيضا الفتاش ص 94 .

حيث كان كثيرا ما يهدي منها نسخا للعلماء⁽¹⁾ ، و كانت هذه المكتبات في خدمة مراكز التعليم .

وإلى جانب هذه المساجد المنتشرة بتومبكتو و جني و غاو و كانت توجد مساجد أخرى صغيرة مثل في والاتا⁽²⁾ نفرة ، و دندي و لكن الحياة الثقافية في كل منها إنما كانت صورة مصغرة عن الحياة في المدن الكبرى، و لم يكن لها دور خاص و من هنا فإن أهمية المراكز الحضارية الأولى بالسودان الغربي عامة و إمبراطورية سنغاي خاصة تمثلت في مدينة تومبكتو التي كانت العاصمة الثقافية و الدينية لكل الغرب الإفريقي الواقع جنوب الصحراء الكبرى في القرن 16 م حيث يعود تميزها بهذه الخاصية عن بقية المدن السودانية الأخرى بسبب كونها مدينة متعددة الأعراق فقد استيقظت اهتمام عدد هائل من الخلق لزيارتها من مختلف الأفاق و لعل سبب احتلالها لهذه المكانة هو يعد موقعها عن العاصمة مركز القرارات السياسية (غاو) الشيء الذي أكسب هذه المدينة حرية ذاتية شبه مطلقة على مدار الزمن ، و لذلك اختارها أشهر العلماء المسلمين الذين زاروا المنطقة لاتخاذها دارا لهجرتهم و قضاء فيها أطول وقت ممكن في بلاد السودان و من ثم كان معظم إنتاجها الفكري قد رأى النور هناك⁽³⁾ .

±

(1) الفتاش ص 94 .

(2) ولاته و كانت عاصمتها أدوغست ، مملكة بربرية صحراوية التي تعرف ببني آيس و تتميز بشرقهم سكانها لكونها أقل اسودادا من بشرة العناصر الذين يقطنون الشمال النيجر يتلثم رجال و نساء هذه القبائل و لا يوجد بينهم قضاة و ليس لهم شعراء و أدباء أغلبهم يعانون من شطف العيش أنظر مارمول ج 3 ، ص 198 .

(3) Zakari Op Cit P 197

ثانياً: المدارس و الكنائس.

لاحظ المؤرخون الرحالة نمو الحياة الثقافية بشكل عام في منطقة السودان الغربي ، فقد أشار ابن بطوطة بأن السودانيين كانوا يولون أهمية كبرى لتعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكنائس واجتهادهم في ذلك⁽¹⁾ و قد أحصى في القرن السادس عشر في مدينة تومبكتو لوحدها ما يناهز 180 كتاباً لتعليم الصغار بالإضافة إلى المساجد و المنازل الخاصة التي كانت تشكل تجمعات علمية أقيمت بها حلقات للدرس و المناظرة .

- مراحل التعليم و مناهجه :

ففي المراحل الأولى من التعليم ، كان السودانيين يرتادون الكنائس لحفظ القرآن، وقد اختلفت تسميتها في غرب إفريقيا باختلاف قبائلها⁽²⁾، فقبائل الولوف تطلق عليها اسم **دَارًا** ، والمدينغ يسمونها **كَارًا** ، وقبائل التكرور يسمونها **ديالاجالتي** ، أما الشرسة فيسمون معلم الكنائس **القرآنية مَعَالِمٌ** و هو تحريق لكلمة معلم⁽³⁾ .

والالتحاق بالكتائب هي المرحلة الأولى من التعليم و هي حجر الأساس والبوابة الأولى التي يدخل منها الطالب إلى أماكن الدراسة ، فعندما يصل عمر الصبي إلى

(1) ابن بطوطة تحفة النظار المصنوع السابق ، ص 790. عمار هلال الهادي المبروك الدالي ، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا من 1850-1914 اللجنة العلمية للدراسة جنوب الوطن العربي دار حنين للطباعة و النشر 1996 ص

(2) عمار هلال الهادي المبروك الدالي ، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا من 1850-1914 اللجنة العلمية للدراسة جنوب الوطن العربي دار حنين للطباعة و النشر 1996 ص

(3) الدالي : تاريخ الحضاري المرجع السابق ص 163 .

السابعة أو ما دونها يعهد به والده إلى معلمي الكتاتيب لتعليمه وتلقيه المبادئ الأساسية في القراءة والكتابة باللغة العربية و تحفيظه النصف الأخير من القرآن الكريم وكذلك تدريبه على الصلوات الخمس وبهذه المرحلة يتعلم الصبي القرآن الكريم عن طريق الألواح الخشبية و يستمر في الحفظ تحت مراقبة المعلم إلى أن يختم القرآن الكريم كتابة و حفظا و في خلال هذه المرحلة المهمة يكون الصبي في معاناته مع الكتابة قد استوعب قسطا مهما من قواعد اللغة و النحو (1) و كانت هذه الطريقة في تعليم الأطفال متشابهة إلى حد كبير الطريقة المتبعة في كتاتيب و مدارس الشمال الإفريقي و عند الانتهاء من هذه المرحلة يقام فصل بشأن الصبي الذي ختم القرآن (2) .

ويظهر أن المعلم الذي يسهر على تسيير الكتاتيب و رعاية الأطفال أو الشبان الراغبين في حفظ القرآن الكريم يكون في الغالب الأحوال من الطلبة متوسطي الثقافة (3) .

و كان المعلم بالاتفاق مع أهل القرية أو المدينة يحصل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ مالي كل أسبوع فضلا عن الهدايا التي يأخذها بمناسبة ختم الطفل للقرآن الكريم (4) و قد أورد كعت عن شيخه، أن عدد مدارس الصبيان كانت تتراوح ما بين 150 و 180 مكتبا و قد أفاد كعت أنه حضر مكتب معلم وشاهد

(1) أحمد شكري الإسلام و المجتمع السوداني المرجع السابق ص 212 .

(2) نفسه و الصفحة عينها .

(3) الدالي تاريخ الحضاري المرجع السابق ص 163 .

(4) عرفت مناهج التدريس منحى و حد ويا بين كل البلدان الإسلامية و خاصة منذ القرن الرابع الهجري و كان العرف السائد و الجاري به العمل هو أن التلميذ يدخل الكتاب أولا لتكلم القراءة و الكتابة و الخط و يحفظ شيئا من القرآن أنظر أحمد سلمي ، تاريخ التربية الإسلامية دار الكشاف في بيروت 1954-117-180 .

الصبيان يأتون بخمس ودعات إلى عشر حسب وضع أسرهم الاقتصادية و قد حصل ذلك المعلم يومها على ألف وسبعمائة و خمسة و عشرين ودعه (1) ، وكانت تلك الرسوم تدعى حق الأربعاء ، وأن عدد ألواح الطلاب مائة وثلاثة وعشرون لوحاً (2) .

أما المرحلة الثانية من التعليم فلم يكن الالتحاق بها محمداً بعمر معين بل كانت الفرصة متاحة لجميع الذين أكملوا تعليمهم الأول بنجاح يحفظهم لنصف القرآن أو كله (3) .

وكانت مرحلة التعليم هذه تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب المبسطة وكان يتولى تدريسها غالباً من يسمون بالأشياخ (4) ويبدو أن الأشياخ في العرف العام آنذاك ، كانوا متوسطي الثقافة بالنسبة للأستاذة ، ولكن عدداً من الأساتذة تعاطوا أيضاً تدريس المؤلفات وتتمثل في دروس اللغة والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية و المنطق و الحساب ، وكان الطالب في هذه المرحلة يتدرج من دراسات المؤلفات البسيطة إلى دراسة المؤلفات المفصلة مع شرحها وحواشيها:

(1) كان التعامل في تلك الفترة بالودعة cautie وهي عملة من العملات التي كان يتعامل بها أهل إفريقيا فيما وراء الصحراء و الودع من الرخويات البحرية البطنية الأرجل تعيش في المياه الدافئة كانت أصدافها تستخدم نقوداً أو للزينة، انظر الموسوعة العربية الميسرة القاهرة 1965 ، ص 1946 .

(2) محمود عكت ، المصدر السابق ، ص 180-181 . انظر أيضاً ، Zakari Op Cit P 201 .

(3) الدالي ، تاريخ الحضاري ، المرجع السابق ، ص 165 .

(4) زبادية عبد القادر ، ملامح الحركة التعليمية في تمبوكتو خلال القرن السادس عشر، مجلة الأصالة عدد 53

الجزائر صفر / محرم 1398 هـ - جانفي 1978 م ، ص 13 . Zakari Op Cit P 201 .

ثالث: المعاهد العليا .

وهي مرحلة متقدمة في السلم التعليمي ، والتي تستغرق مدتها عشر سنوات كاملة، تترتب على الحالة المادية للطالب ولذلك كان الطلبة المتمكنين ماديا وحدهم الذين يلتحقون بالمعاهد العليا (الجامعات) لمواصلة تكوينهم العالي حيث برامج التعليم في هذه المرحلة يقوم بتحصيل العلم وفق ما تستدعيه الأعراف الإسلامية القائمة على تعميق المعارف حول القرآن الكريم و تعاليم السنة النبوية الشريفة وتتبع تاريخ الفقه بالاعتماد فيه على المذهب المالكي وتاريخ السير ، والنحو و اللغة و الأمر بالمعروف و النهي على المنكر ...

وقد كان للطالب في هذا الطور الحرية في اختيار ما يناسبه من الشيوخ في حالة ما إذا كان الأستاذة قد درسوا نفس المؤلفات تقريبا ، والتي كان أهمها : كتاب التهذيب وهو مؤلف في الفقه المالكي ألف في القرن العاشر 982 هـ من قبل " أبو سعيد خالف بن أبي قاسم البرادعي " وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وهو كتاب خاص بتعاليم السنة النبوية، وكتاب المختصر للشيخ خليل وهو كتاب مختصر للفقه المالكي ، والمدونة لأبي سعيد المعروف باسم سحنون وهناك مقالة أخرى في الفقه المالكي تدعى "الرسالة لأبي زيد القيرواني" ، وكتاب الألفية للعراقي و التي هي جامع لقواعد اللغة العربية في شكل قصيدة شعرية وكتاب الموطأ وهو جامع للسنة النبوية للإمام مالك بن أنس ، ومقال تلخيص المفتاح لجلال الدين محمد القيرواني ، وكتاب التسهيل لابن مالك و مقال الحكم لعطاء

الله الشاذلي ، وتحفة الحكام لابن عاصم ، ومسائل البيع المعروفة بأركان البيع لسيدى محمد بن أحمد ميارة الفاسي " (1) وكتب المغيلي ، والونشريسي (2) .

أما عن فترة الدراسة في هذا الطور من التعليم فلم تحدد بقترة زمنية معينة ، وإنما كانت مشروطة بانتهاء الطلاب من استيعاب عدد معلوم من كتب الفقه والحديث والمنطق والنحو ، وقد ذكر موسى بن أحمد السعيدى ذلك قوله ولازمه أكثر من عشر سنين ، فختمت عليه الموطأ فهما ، وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتحقيق مرة بثلاث سنين وقد أفادني كثيرا " (3)

وكانت طريقة التدريس تتم عن طريق المناقشة بين الأستاذ وطلابه ، وكانت الطريقة الشائعة في الدرس وهي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته، وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتب المقررة بحضور الأستاذ ثم يطلب من كل طالب توضيح ما قرأه وكان الأساتذة يجتارون العبارات المبسطة لكي يتمكن الطلبة من استيعاب ما يقولون (4) ويضاف إلى هذا أن المدرسين على اختلاف مستوياتهم لم يكونوا يلتزمون بالتوقف عند مادة بعينها بل أنهم كانوا يتصدون غالبا لتدريس مواد عديدة ولكنهم لا يدرون إلا المواد التي يكونون قد أتقنوها وأجيزوا فيها (5) أي كانوا يتبعون أسلوب الموسوعات الذي كان يجري به العمل عند كل الأمم.

(1) Zakari Op Cit P 202.

(2) الدالي : تاريخ الحضاري ، المرجع السابق ، ص 167.

(3) الدالي : تاريخ الحضاري ، المرجع السابق ، ص 168.

(4) زبادية ، ملامح ، المرجع السابق ، ص .

(5) نفسه و الصفحة عينها .

أما العلوم التي كانت تدرس فكانت العلوم النقلية من علوم شرعية وما يتصل بها من علوم لغوية وأدبية وعلوم عقلية من علم الكلام والمنطق والفلك .

رابعاً : العلوم النقلية والعقلية .

1. العلوم النقلية:

ظلت العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية الإفريقية وأهم هذه العلوم هي :

العلوم الشرعية المتعمدة على النص : من تفسير وحديث ومن أبرزها كتاب صحيح البخاري ، ومسلم والشفاء للقاضي عياض .

- الفقه:

عرفت المدارس وأماكن العبادة في هذه الفترة من تاريخ بلاد السودان الغربي انتشار كتب الفقه المالكي المعروفة بالمغرب الإسلامي وباقي العالم الإسلامي فهي : مختصر خليل وجامع المعيار ، وتحفة الحكام ، مختصر الفروع والمدونة و الرسالة وكتاب موطأ مالك⁽¹⁾ .

وقد ذكر أحمد بابا أنه درس على أساتذة بغينغ قائلاً : ... قرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه ، أما خليل فمرارا عديدة ... وحضرته كثيرا في الملتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاثا

(1) Zakari Op Cit P 201-202. دالي تاريخ ، المرجع السابق ، ص 182.

... وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا ... وكثيرا من تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام ، مع شرح ولديه عليها " (1) .

- علوم اللغة والأدب :

من بين العلوم النقلية التي كانت تدرّس في المدارس والجامعات بالسودان الغربي علوم اللغة والأدب من نحو وبلاغة، ومن الكتب التي كانت تدرس نجد تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، وشرح الكافية الشافية ، في علم النحو وشرحا عن لامية الأفعال ، وكتاب الأصول لابن السراج والخزرجية وتلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة، وقد برز علماء أجلاء في هذا الفن من أبناء السودان الغربي من بينهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وأبو عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التمبوكتي 1014هـ/1595م . والذي اشتهر بمؤلفه أطلق عليه المنح الحميدة في شرح الفريدة ، وهو شرح لألفية السيوطي في النحو ومن بين ما قاله الشيخ بابا بن الأمين التنيكتي " فقد استخرت الله تعالى في وضع شرح عزيز ، وتعليق وجيز على الألفية الفريدة ، وإن كان ناظمها لجلال الدين السيوطي ، شرحها بالمطالع السعيدة ، لكن تحتاج إلى تقرير وتحرير ، وإيضاح وتجبير ، ففتح الله لي في هذا الشيخ العجيب والمؤلف الغريب ، فجئت به على طريق المزج ، فكان لإجتناء الفوائد واقتطاف الفرائد كالمزج وسميته بالمنح الفريدة في شرح الفريدة (وجاء بتعريف لجلال الدين السيوطي) وقال كثرت تصانيفه وانتشرت في الآفاق ، من بلاد الشام ، والروم والحجاز ، واليمن والهند و المغرب ، والتكرور وذلك في حياته وبلغت مؤلفاته أربع مائة ... وقعت بينه

(1) دالي تاريخ ، المرجع السابق ، ص 182.

وبين الشيخ عبد الكريم المغيلي ، مكاتبة عظيمة في أمر المنطق .. ولما دخل مصر أمر المؤمنين أسقي الحاج محمد قاصدا الحج ، اجتمع معه ولازمه ، وسأله عن أشياء فيما الأحاديث المتفقة في فضل السلطنة ، ذكر في أوله أنه جعلني تحفة للمسلمين المالكين، الصالح العادل المجاهد المرابط القائم بالحق ، الناطق بالصدق ، وملك تكرر أسقي نصره الله ونصر به الدين ، وقطع بسيفه رقاب الملحددين ، ونشر به لواء العدل في العالمين .. ثم جاءه بمال عظيم من الذهب فأبى واعتذر بأنه لم يثبت في ملكه قط ثلاثة مثاقيل ثلث مثقال ... وأخير جلال الدين السيوطي السلطان أنه مقتول في الوقت الفلاني ... " (1) .

وهذا يبين مدى اهتمام علماء السودان الغربي بتعلم العلم بما فيه علم النحو والتبحر فيه و تطويره و شرحه شرحا مستفيضا ، بالإضافة إلى حرص سلاطين السودان الغربي كالأسقيا محمد و الأسقيا داود ومن قبلهم منسا موسى بسلطان دولة مالي الإسلامية أبان القرن الثامن الهجري ، على ملاقة العلماء سواء كان من المشرق أو المغرب الإسلاميين كاتصال محمد الأسقيا بجلال الدين السيوطي بمصر وهو في طريقه إلى الحج واتصاله بعبد الكريم المغيلي التلمساني والعمل بنصائحه الفقهية .

أما فيما يخص الأدب من تراجم وتاريخ وشعر فقد اهتم علماء السودان الغربي بهذا الفن وألفوا فيه مؤلفات عديدة من بينها ما ألفه العلامة أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي ترجم فيه إلى ثمانية مائة واثنين عالما، ومؤلف كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج وهو مختصر لنيل الابتهاج ومن بين

(1) الدالي ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 191 .

كتب التاريخ نجد ما ألفه بابا كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين بعنوان دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان ، ومن كتب التاريخ أيضا تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمجهول ، وتاريخ الفتاش في أخبار البلدان ، والجيش ، وأكابر الناس ، وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور ، وتفريق أنساب العبيد عن الأحرار. (1)

أما الشعر فقد عرف لونين المدح والثناء :

أ- المدح : نجد من بين شعراء السودان الغربي الشاعر الشيخ المختار بن القاضي أندغ محمد الذي عدة قصائد من بينها قصيدة يمدح فيها السوقين عدد أبياتها أربعة وأربعون بيتا .

❖ جزى الله أهل السوق عنا بخيره
❖ فما حسدوا فضلا وما نطقوا جهرا
❖ فإنهم ذاقوا عسيلة علمهم
❖ فاوارثهم فضلا وأعقبهم دخرا
❖ يضمون علما الغير عفوا لعلمهم
❖ ففازوا بقصب السبق وامتحدثوا فخرا
ومن بين شعراء السودان الغربي الذين نبغوا في الشعر الفقيه المختار بن أيداه ، الذي له عدة قصائد في المدح فيقول في قصيدة في حق أحمد بابا التنبكي .

❖ حسبي من آل الشيخ بابا أحمد
❖ الطيب المحبب الحممد
❖ الفاضل المبارك المود
❖ الطاهر الحلاحل الزيد الجد

(1) هذا المؤلف لصاحبه محمود كعت هو أبو الثناء محمود ابن عمر كاتي الصنهاجي التوموكتي 1548/1463 وهو قاضي توموكتو وهو فقيه و مؤرخ فقال في مؤلفه : " لما رأيت إهمال الناس للتاريخ ، على ما له من فائدة جليلة في معرفة البلاد ... التمسست من الله تعالى جلت قدرته أن يساعدني على كتابة هذا التاريخ الذي يبحث في سلاطين السودان " أنظر نعيم قدام المرجع السابق ، ص 147 . الدالي ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 197 .

- ❖ الماجد السميع المجد ❖ شمس الضحى المبجل المنفرد
- ❖ يا بابا جد أن أباك مرشك ❖ كن جلدا إن أباك جلد
- ❖ عن مسعدا إن أباك مسعد ❖ كن أسدا إن أباك أسد
- ❖ كن مفردا إن أباك مفرد ❖ إن أباك مثله لا يوجد

وقد نبغ شعراء السودان الغربي في لون آخر من ألوان الشعر وهو الرثاء ومن بينهم الشيخ سيدي يحيى التادلي يرثي فيها الفقيه محمود بن محمد الكابري ، وهي من البحر الطويل جاء فيها

- ❖ تذكر في التذكار جل الفوائد ❖ وفي طيه ورد على خير وارد
- ❖ ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا ❖ وسفر دوي الأفكار أخطى بزائد
- ❖ تفئ لب المرء طيبة الصبا ❖ فيلحق فتيانا ويقوى لساعدي
- .. / ..
- ❖ وصلى إله العرش ربي بمنه ❖ على خير مبعوث و أفضل شاهد
- ❖ محمد المختار للختم رحمة ❖ بتتميم أخلاق كرام معاهد

2. العلوم العقلية:

وكان أبرزها علم الكلام والمنطق والفلك فكانت أهم كتبه صغرى السنوسي والجزيرية ، ويذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج قول ... وحضرت عليه ... صغرى السنوسي مع شرح الجزيرية ، وحضرت عليه الكبرى وشرحها⁽¹⁾ .

وفيما يخص علم المنطق فقد كان للمغيلي دور كبير في هذا المجال فكان المغيلي من بين علماء المغرب الإسلامي الذين تأثروا بدرجة كبيرة بالمنطق على غرار ابن رشد الذي يعد من المتعصبين له، إذ كان يرى أنه بواسطة المنطق يتمكن الفرد من الوصول إلى اليقين ويرى أيضا أنه لا سعادة لأحد بدون المنطق لأنه يمهّد الطريق والسبيل أمام معارفنا ، حتى ترقى من الجزئي المحسوس ، إلى الحقيقة العقلية المجردة⁽²⁾ .

فلقد اهتم المغيلي بالمنطق لأنه كان يرى أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها : وكما قال ابن رشد في مؤلفه فصل المقال " وكان الاعتبار ليس شيئا أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه ، وهذا هو القياس، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه ، وهو أتم أنواع القياس وهو المسمى برهاننا"⁽³⁾ . ولقد كان للمغيلي دور في تعليم المنطق بالسودان الغربي .

فقد كانت مؤلفات المغيلي أبرزها، على الساحة الإفريقية إذ درست بعض من كتبه وخاصة رجز المغيلي ، الذي أطلق عليه منح الوهاب في رد الفكر إلى

(1) الدالي ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 182 .

(2) دي بور ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة دار النهضة العربية بيروت ط 5 ، 1988 ، ص 288 .

(3) ابن رشد ، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، تعليق أبو عمران الشيخ وجلول البدوي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص 25 .

الصواب ومن الدين تأثروا بفكر المغيلي الفقيه محمد بن عمر بن محمد أقيت الذي شرح منهج الوهاب ، هذا الرجز الذي أصبح من جملة المتون المقررة على الطلاب بالسودان الغربي خاصة ببلاد سنغاي* .

أما علم الفلك اهتم به السودانيون ، وكان من بين العلوم التي كانت تدرس، فقد درسوا كتبه المشهورة ومنها الهاشمية في التنجيم ومقدمة الشيخ عبد الرحمان التاجوري و تأليف مكتوب في شهور السنة على حساب العجم لآبي العباس أحمد بن البناء لازدي والشيء الملاحظ أن السودانيين لم يولوا أهمية كبرى لتلقين طلابهم العلوم الدقيقة (من جبر وحساب ، وهندسة ...) على خلاف جامعات المشرق والمغرب الإسلاميين التي كانت تزخر بذلك.

إن تطور الحياة التعليمية بالسودان الغربي نلمسه في العالم أحمد بابا التمبوكتي الذي شكل في حقيقة الأمر مثلاً للعالم السوداني المتشبع بالثقافة العربية الإسلامية ، وتبين لنا الحياة التعليمية لأحمد بابا ، في النظام العام الذي كان يسلكه الطالب في تعليمه وتلقيه للمواد العلمية ، من فقه وحديث وقرآن ولغة وبلاغة ومدح وأدب ، كما تنقله عبر الشيوخ يدل على كثرتهم ، وعلى انتظام التعليم في ذلك العصر، وقد تمكن أحمد بابا أن يألّف عدداً من التصانيف في مواضيع عدة فاقت الستين وقد ذكر أحمد بابا أن مكتبة كانت تضم 1600 كتاباً .

* انظر الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الدراسة

الفصل الثاني

أعلام السودان الغربي ودورهم في ترسيخ الثقافة

العربية الإسلامية

أولا: أعلام تومبوكتو

ثانيا: أعلام جني

ثالثا: الكنب و النألف المنداولة بالسودان الغربي .

مهيكل:

لقد عرف السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين مستوى رفيعا جدا في ميدان العلم و الثقافة ، بحيث عرفت الثقافة العربية الإسلامية كل المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي سواء عن طريق الفقهاء والعلماء الذين ارتحلوا إلى حواضر السودان الغربي ؛ تومبوكتو جني و غاو أو عن طريق الكتب التي كانت تر على أسواقها بكميات كبيرة أو عن طريق الطلاب الذين عرفت عنهم حركة دائبة تجاه شمال إفريقيا والذين سيتحولون إلى دعاة وفقهاء وعلماء ومؤلفين .

كان يتواجد بالسودان الغربي عدد لا بأس به من الأعلام من المغرب الإسلامي أو من صحراء توات كانوا يتولون منصب القضاء و الإمامة أو المتفرغين للتدريس و من بينهم :

- القاضي أبو العباس الدكالي ، كان قاضيا بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى .

- الفقيه محمد الفيلاي إمام مسجد البيضان بمدينة كوكو، وهو ممن استضافوا الرحالة الطنجي ابن بطوطة .

- الفقيه المدرس يحيى وهو أخو قاضي ولاته محمد بن عبد الله بن يمر .

- الفقيه المقرئ عبد الواحد الذي كان بعاصمة مالي الإسلامية .

- الفقيه أبو عثمان سعيد الدكالي أقام بمالي نحو 35 سنة .

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن وانسول ، من أهل سجلماسة، استقر بمدينة كوكو عاصر ابن خلدون و صاحبه ، و أمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي ويذكر أنهما التقيا بالقاهرة خلال العقد الأخير من القرن الثامن الهجري .

وكان ابن بطوطة قد التقى بهؤلاء الفقهاء و ذكرهم في رحلته غير أنه لم يجد طبيعة وظيفية الكثير من الشخصيات الأخرى كمحمد بن الفقيه الجازولي ، والحاج محمد الوجدي التازي، ومحمد بن عمر وهم من أهل القرن الثامن الهجري. (1)

أولاً: أعلام تومبوكتو.

1- العالم سيدي بن عبد الرحيم : (توفي سنة 866هـ)

هو سيدي يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان الثعلبي بن يحيى البكاء ابن أبي الحسن علي بن عبد الله بن الجبار بن تميم ، بن هرمز ، بن حاتم بن قصي ، بن يوسف ، بن يوشع بن ورد ، بن بطلال ، بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من علماء و صلحاء تومبوكتو ، قال فيه أبو البركات : الفقيه الشيخ ما وطئ قدم تومبوكتو قط إلا وسيدي يحيى أفضل منه.

و قيل فيه : كل بلاد لها رجال و لكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله والقطب في تومبوكتو هو سيدي يحيى (2) توفي سنة 866هـ/1461 (1)

(1) ابن بطوطة تحفة النظار ، ص 696.

(2) الدالي ، تاريخ المرجع السابق، ص 206-207.

2- محمد الكابري (نسبة إلى ميناء كابرأ ميناء تمبوكتو).

ولد في القرن التاسع الهجري (15م) ، نزيل تمبوكتو و درس بها و أخذ عنه الفقيه عمر بن محمد أقيت ، و الشيخ الفقيه سيدي يحيى بن عبد الرحيم التادلي كان معاصرا للفقيه عبد الرحمان التميمي و الفقيه أندغ محمد الكبير جد الفقيه سيدي محمود لأمه و الفقيه عمر أقيت (2)

توفي آخر القرن التاسع الهجري و قد رثاه سيدي يحيى التادلي بقصيدة من البحر الطويل :

- ❖ تذكّر ففي التذكار جل الفوائد وفي طيه ورد خير وارد
- ❖ ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا و سفر ذوي الأفكار أحظى بزائد
- ❖ تفي لب المرء طبية الصبا فيلحق فتيانا و يقوى لساعد
- ❖ يثير هموم القلب فقد سميدع فقيه حليم حامل للفرائد
- ❖ محمد الأستاذ مؤدب ذي النهى رباطا صبارا أمره في التزايد
- ❖ فيا عجا هل بعده من ميين و يا عربا هل بعده من مجالد (3)

3- الشيخ محمود البغدادي :

هو الإمام فريد زمانه الشيخ محمود البغدادي قدم إلى بلدة أهير في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، اشتغل بالتدريس وأخذ عنه :

(1) عبد الرحمان السعدي ص 51.

(2) البرتلي فتح الشكور في معرفة عيان علماء التكرور " ، تاريخ السودان ص 47.

(3) الدالي ، تاريخ المرجع السابق ص 208 تاريخ السودان ص 49. (إسماعيل ميغا المرجع السابق ص 200.

الشيخ أبو رويس⁽¹⁾ ، و الشيخ الولي أحمد بن الفقيه عبد القادر يحيى ، الشيخ أحمد الفقيه ، الشيخ الكامل بن الحاج ، الشيخ أحمد زروق تي فس .معنى قادم من فاس و الولي المكاشف الفقيه الحاج سيكاف ، و الفقيه عبد الله بن تكرش وغيرهم و قد عمل على نشر الطريقة القادرية في المنطقة و التي كانت أول طريقة تصل إلى منطقة السودان الغربي⁽²⁾ .

4- الفقيه القاضي الإمام كاتب موسى :

وهو من أئمة المسجد الجامع الكبير في تومبوكتو ، مكث في الإمامة أربعين سنة ، وهو من العلماء الذين رحلوا إلى المغرب لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى فلما انتهى من دراسته بفاس عاد إلى بلاده مالي و استقدم معه الفقيه القاضي عبد الله البلبالي وهو أول رجل أبيض صلى بالناس إماما بالمسجد الكبير و كان جميع أئمة منذ تأسيسه من السود.

كان الفقيه كاتب موسى إلى جانب توليه منصب الإمامة في الجامع الكبير والتدريس فيه يشغل منصب القاضي⁽³⁾ كان من العلماء الصلحاء البارزين الذي أثروا في النمو و ازدهار الحركة العلمية و الثقافية في بلاد السودان⁴ .

5- مسر بوب الزغراني التومبوكتي :

ينتمي لقبيلة الزغرانيين في غرب السودان الغربي ، كان عالما فقيها صالحا ، وقد اشتهر بالعلم و الصلاح وقد أخذ عند عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن

(1) من علماء بلدة أهير درس على الشيخ البغدادي و توفي في سنة 1533/940م.

(2) الدالي ، تاريخ، المرجع السابق، ص 210.

(3) تاريخ السودان ص 55، أحمد شكري الإسلام المرجع السابق ص 217 إسماعيل ميغا المرجع السابق ص 202.

(4) مبخوت بودواية، أعلام السودان الغربي ما بي القرنين 8 — 10 الهجريين ، حولية المؤرخ العدد 6 ، جويلية 2005.

عمر أقيت و قد ساهم في نشر العلم و الثقافة الإسلامية في تومبوكتو خاصة والسودان الغربي عامة .

6- الفقيه صديق تعلي (المتوفى سنة 973هـ)

وهو من كبار، و جنجوي المولد ، كان إماما للمسجد الكبير بتومبوكتو وقد وصفه سعدي بأنه كان عالما فقيها فاضلا خيرا صالحا وهو من علماء وفقهاء قرية جنش القريبة من تومبوكتو و كان قد رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج و إتقى بكثير من العلماء في مصر والحجاز و منهم الشيخ محمد البكري الصديقي.⁽¹⁾

7- محمد بغبغ (1002/930هـ)

وهو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التومبوكتي عرف بغبغ بباء مفتوحة فغين ساكنة فباء مضمومة فعين مهملة فهو فقيه محقق فاضل عالم ، أخذ عن والده و خاله ثم أخذ مع شقيق أحمد عن الفقيه أحمد بن سعيد ولازمه ثم رحلا إلى الحج مع خالهما واجتمع بالناصر اللقاني و التاجوري والبحيري والشيخ الشريف يوسف و الشيخ محمد البكري و أخذ عنهم و عن والد الشيخ أحمد بابا وعنه الشيخ أحمد بابا و لازمه أكثر من عشر سنوات من مآثره له تعاليق و حواش عن المختصر نبه فيهما على ما وقع لشراح خليل وتبع

(1) إسماعيل ميغا ، المرجع السابق ، ص 204.

ما في الشرح الكبير للتائي من السهو نقلا و تقريرا في غاية الإجادة و له فتاوى كثيرة .⁽¹⁾

قد أورد أحمد بابا أنه سمع ب وفاة محمد بغيغ وهو بالمغرب الأقصى يوم الجمعة من شهر شوال عام اثنين و ألف .

8- الفقيه أندنج بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح :

عالم من علماء السودان الغربي في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي قال فيه السعدي : هو معدن العلم والفصل و الصلاح و قال فيه أحمد بابا : هو أول من خدم العلم من أجداده ، تولى قضاء تومبوكتو في أواسط القرن التاسع الهجري و كان عالما و فقيها و عالما صالحا أخذ عن محمد الكابري و عاصر السيد يحيى التادلي.

9- القاضي محمود كعت و أسرته :

هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت-الكرمتي دارا وتومبوكتي مسكنا الوعكي أصلا، ولد في منطقة كورما غرب مدينة غاو أخذ العلم عن علماء تومبوكتو وفقهائها ، برع في الأدب و الفقه و تقلد منصب القضاء ، عاصر الحاج محمد الكبير أسقيا دولة سنغاي 1528/1493 و قد خلف أبناء كان لهم أدوار جسيمة في نمو الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي وهم : القاضي الفقيه إسماعيل بن محمود كعت و الفقيه يوسف بن محمد

(1) شجرة النور الزكية ، المرجع السابق ص 287، إسماعيل ميغا المرجع السابق ص 204-206، انظر أيضا محمد بلو بن عثمان فودي ، إنفاق المسور في تاريخ بلاد التكرور تحقيق بهيحة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط 1996، ص 311، الدالي ، التاريخ، المرجع السابق ص 219-220.

كعت و محمد الأمين بن محمود كعت ، وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت (1) .

ومن مآثر القاضي محمود كعت كتابه المشهور " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس و ذكر وقائع التكرور و عظام الأمور و تعريف أنساب العبيد من الأحرار " خلال القرن السادس عشر الميلادي كان مولد صاحب الترجمة 1468م و توفي سنة 1593 و قد زامن الغزو المغربي لبلاد السودان في عهد أحمد المنصور الذهبي ، وما سبق ذلك من أزمات سياسة بين المغرب والسودان الغربي في عهد الاسقيين ، مما يعطي كتابه ميزة خاصة غير أن الحوادث التي جاء بها كتابه تجتاز عمره بست سنوات مما يبعث على الاعتقاد بأن الكتاب قد أتمه بعض أحفاده بعد وفاته و كان قد أخذ عنه خلق كثير من بينهم الشيخ الفقيه أحمد بابا الذي قال: " لقد صار شيخ زمانه في العلوم والفنون لا نظير له ، لازمته أكثر من عشرة سنين ، فقرت عليه بلفظي مختصر خليل ، ابن الحاجب قراءة بحث و تحقيق و تحرير و ختمت عليه الموطأ قراءة منهم ، و حضرته كثيرا في المدونة ، و رجز المغيلي في المنطق و الخرجية في العروض، و سمعت بقراءته هو كثيرا من البخاري ، وهو أستاذي و شيخي ، مما انتفعت بأحد انتفاعي به و بكتبه ، و أجازني جميع ما يجوز له ومنه و كتب لي بخطه في ذلك " (2) .

٥٥

(1) مبخوت بودواية ، المرجع السابق ص 185 - 186 .

(2) يحيى بوعزيز ، إفريقيا الغربية ، المرجع السابق ، ص 196-197 .

10- الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج:

كان من علماء جامعة سنكوري ، تولى القضاء بتمبوكتو في أواخر ذولة مالي الإسلامية و يعد من بين العلماء الذين هاجروا نحو مدينة تمبوكتو للمشاركة في النهضة العلمية و الثقافية التي ازدهرت في ذلك الوقت و الإشراف على التدريس بجامعة سنكوري .

11- محمد أقيت و أسرته :

هاجر "محمد أقيت" جد أسرة أقيت من موطنه الأصلي : بلاد ماسنة إلى بلدة بير، استقر محمد أقيت بتمبوكتو في منتصف القرن التاسع الهجري و قد انحدر من هذه الأسرة علماء كان لهم الأثر البالغ في الثقافة الإسلامية و اللغة في السودان الغربي عامة و تمبوكتو خاصة و منهم :

الفقيه "أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح" و قد وصفه السعدي بأنه معدن العلم و الفضل و الصلاح ، هو جد جد أحمد بابا لأمه ، كان فقيها تولى قضاء تمبوكتو في أواسط القرن التاسع الهجري ، و كان من شيوخ جامعة سنكوري و علمائها الذين قاموا بدور بارز في الرفع من وزن الجامعة ثقافيا و علميا .

عمر بن احمد : هو والد جد الشيخ أحمد بابا التميوكتي ، كان عالما صالحا يتلمذ على الفقيه القاضي ، مودب محمد الكابري ، و كان حيا حول بداية الثلث من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، و كان هذا العالم من فقهاء جامعة سنكوري .

12- المختار النحوي :

هو مختار بن عمر بن أحمد السالف الذكر ، لقب بالنحوي لتضلعه في هذا الفن ، كان عالما بكل فن من فنون العلم ، توفي أواخر العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة ، كان من فقهاء جامعة سنكوري و علمائها الذين ساهموا في بناء النهضة الثقافية و ازدهارها في السودان الغربي .⁽¹⁾

13- احمد بن عمر محمد أقيت (943 هـ \ 1536م)

هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التومبوكتو، عرف بالحاج احمد وهو جد أحمد بابا التومبكتي ، و أكبر الاخوة الثلاثة ، اشتهروا بالعلم و الدين كانوا من أهل الخير و الفضل و العلم و أخذ عن عدد من الشيوخ منهم جده لأمه الفقيه أندغ محمد قاضي مدينة تمبوكتو و خاله الفقيه المختار النحوي ، و بعض شيوخ منطقة توات .⁽²⁾

ارتحل إلى المشرق الإسلامي و حج عام 890هـ-1485 و لقي العالم الجليل جلال الدين السيوطي ، و خالد الأزهري إمام النحو و غيرهما ، و رجع في زمن فتنة الخارجي سني علي ، و دخل كانو و اشتغل في التدريس و انتفع به خلق

(1) تاريخ السودان ص 29، 28، إسماعيل ميغا ، ص 184، 186 ، الدالي التاريخ الحضاري المرجع السابق ص

210، 211، شجرة النور الزكية ، ص 285، 286.

(2) تاريخ الفتاش ص 85، إنفاق المسور ص 314 ، سعد حراش ص 260، احمد بابا التومبكتي ص 137،

الدالي، التاريخ ص 210-211.

كثير من طلاب العلم منهم : أخوه الفقيه محمود قرأ عليه المدونة و غيرها توفي ليلة الجمعة في ربيع الثاني عام ثلاث وأربعين و تسعمائة عن نحو ثمانين سنة (1) .

14- الشيخ عمر بن الشيخ محمد أقيت (و أبنائه)

و لد في القرن التاسع الهجري ، عاش في فترة السلطان سني علي ، كان عالما فقيها صالحا تقياً درس على يد الفقيه الصالح محمد الكابري ، رحل إلى ولاته عام 872هـ / 1467 م بأولاده الثلاثة ، الفقيه الحاج أحمد وهو أكبرهم سنا والفقيه عبد الله و الفقيه محمود و هو أصغر اخوته و كان بمعية صهره الفقيه النحوي المختار بن القاضي أندغ محمد و أدرك الإمام الزموري في ولايته فأجازه كتاب الشفاء و رجع ابنه محمود ، و عبد الله إلى تمبوكتو ، أما الشيخ عمر فقد فضل البقاء هناك إلى أن توفي أما ابنه الحاج احمد فانه لتحق باخوته في تمبوكتو .

و قد أصبح عبد الله بن عمر بن محمد أقيت فقيها حافظا زاهدا وورعا صالحا درس بولاته و توفي بها سنة تسع و عشرين و تسعمائة هجرية ، أما محمود بن عمر بن محمد أقيت تولى قضاء تمبوكتو ، و كان فقيها و إماما و كان من خيار عباد الله الصالحين العارفين به ، فاشتهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته ، مع ملازمته التدريس و الفقه من فيه حلاوة و طلاوة ، سهل العبارة حسن التقريب بلا تكليف حسن التكرار فانتفع به خلق كثيرون و أحيى العلم ببلاده، زار البقاع المقدسة سنة 915هـ فلقى السادة الأجلاء إبراهيم المقدسي ، والشيخ زكريا ، و القلقندشي من أصحاب الحفاظ بن حجر و اللقائين و غيرهم

(1) إنفاق المسبور ص 316، أحمد بابا ص 137 ، و عبد الرحمان سعدي ص 37. سعيد حراش ص 260 ، الدالي ،

تاريخ ص 210-211، أنظر أيضا ، عبد الوهاب بن منصور ، أعلام المغرب العربي الجزء الخامس ، الرباط 1410

هـ / 1990م ص 158-159.

، و رجع إلى بلاده فاشتغل بالتدريس مدة خمسين سنة حتى توفي سنة 955 هـ ليلة الجمعة سادس عشر رمضان ، أما مولوده فكان سنة 868 ، أخذ عنه الكثير من بينهم أولاده الثلاثة : محمد ، العاقب ، عمر وغيرهم (1).

15- الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيمت بن عمر بن

علي بن يحيى:

ولد أحمد في 01 محرم 929 هـ (2) / 1522 م ، وهو والد أحمد بابا التنبوكتي كان ذكيا مدركا متفنا محدثا أصوليا منطقيا (3) ، له نفس طيبة وقلب عطوف ، أخذ عن عمه محمود بن عمر شتى فروع العلم ، زار البقاع المقدسة سنة 956 هـ / 1549 م و لقي بمصر العلماء و الصالحين منهم الناصر اللقاني (4) والشريف يوسف الأسيوطي تلميذ السيوطي ، و جمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري وأخذ عن سيدي عبد السلام الأسمر الزليطني الطريقة و لقي بالحجاز بمكة و المدينة جماعة من كبار العلماء منهم أمين الدين الميموني و ابن حجر المكي و الملائي، و بركات الخطاب (5) ، و عبد العزيز اللمطي و عبد المعطي السخاوي و غيرهم، فقد استفاد منهم كثيرا في شتى فروع المعرفة . وعند عودته اشتغل بالتدريس فأخذ عنه الفقيه محمد و أخوه أحمد ابني الفقيه محمود بغبغ قرأ عليه الأصول و البيان و المنطق كما درس على يده الأخوان عبد

(1) انفاق المسبور ص 320، الدالي، التاريخ ، المرجع السابق ص 212 ، أحمد بابا التنبوكتي ص 161.

(2) أحمد بابا ص 93.

(3) ميغا إسماعيل ص 191.

(4) انظر ترجمته في شجرة النور الزكية

(5) هو بركات بن محمد بن عبد الرحمان الخطاب المكي الفقيه الإمام الصالح العلامة المتفنن المعمر البركة اخذ عن

والده و غيره و أخذ عنه جماعة منهم ابن أخيه يحيى بن محمد ووالد الشيخ أحمد بابا بالإجازة، له شرح خليل في أربعة أسفار سماه المنهج الجليل ، انظر شجرة النور الزكية ص 279.

الله و عبد الرحمان ابنا الفقيه محمود وغيرهم و أخذ عنه ابنه أحمد بابا عدة علوم ، و أجازة جميع ما يجوز له ، و سمح بقراءة الصحيحين و الموطأ و الشفاء .
 ومن آثاره : شرح مخمسات العشرينيات الفازازية لابن مهيب في مدح النبي - صلى الله عليه و سلم - ، شرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا حسنا ، و كتب حاشية على شرح التتائي على خليل نبه فيه على مواضع السهو منه و قطعاً على مواضع من خليل و شرحا يسيراً جداً على جمل الخونجي و علق على صغرى السنوسي و القرطبية و ألف الأصول توفي عندما كان يقرأ في صحيح مسلم بالجامع الكبير بعد أن ثقل لسانه فأمره الفقيه محمود بغبغ بقطع القراءة فتوفي ليله الاثنين سابع عشر من رمضان عام 991هـ/1583 م .⁽¹⁾

ثانياً : أعلام جني⁽²⁾

1- الفقيه موركنكي :

وهو من العلماء الذين وفدوا على مدينة جني و قد وصفه عبد الرحمن السعدي بالعالم البارع في التدريس و المتمكن في المعلومات⁽³⁾ وهو مورمغ ككنكي ارتحل من بلده إلى مدينة كابرا لتلقي العلم من علمائها ليرتحل بعد ذلك

(1) إسماعيل ميغا ص 192-193، تاريخ السودان ص 44، الدالي ، التاريخ ص 115 و 116 .

(2) حاضرة من حواضر السودان الغربي تقع إلى الشرق من العاصمة المالية بامكو بجمهورية مالي بحوالي أربع مائة كيلو متر وإلى الجنوب الغربي مدينة تومبوكتو بحوالي تسعمائة كيلومتر ، و معنى مصطلح جني فهناك رأيان : الرأي الأول يقول أن اسمها اشتق من اسم اللجنة نظراً لأنها كانت زافرة الخيرات وأما الرأي الثاني أن اسمها اشتق من اسم أول ملوكها جنور أنظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة .

(3) تاريخ السودان ص 16 .

إلى مدينة جني و ذلك في منتصف القرن العاشر الهجري أي الفترة التي كان يحكم فيها الأسقيا موسى بن محمد الحاج الكبير 1528-1531 م.

وقد ذكر السعدي أن مورمغ كنكي كان عالما ، فقيها بارعا في العلم صالحا عابدا زاهدا و أنه فور وصوله إلى مدينة جني توافد عليها الطلبة و أسرعوا إليه للاستفادة منه و لينهلوا من علمه ، و قد باشر في مدينة جني مهنة التعليم والتدريس بالمسجد الجامع بانتظام دائم. و لقد كان لهذا العالم دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية و نمو الحركة الفكرية في البلاد و أثر في حياة جني العلمية تأثير قويا ، ولا يزال ذكره عالقا في أذهان أهالي المنطقة . (1)

2- القاضي محمد سانوا الونكري :

كان فقيها عالما عابدا صالحا ، قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري قادمًا من قرية تسمى "طور" القريبة من جني و عند استقراره بمدينة جني أحاطه السلطان بمظاهر التبجيل و الاحترام ، و أصبح بعد ذلك من أهل الشفاعة لديه. و أصبحت له مكانة مرموقة ليس فقط بمدينة جني بل تعدت شهرته العلمية وصلاحه إلى مدينة تومبوكتو مركز الثقافة الإسلامية و العلم العلماء ، و عندما زار الشيخ محمود بن عمر بن محمد أقيت عالم بلاد السودان و إمامها مدينة جني في مطلع القرن العاشر الهجري التقى بهذا العالم الفقيه فأعجب بعلمه و صلاحه ، فأثنى عليه ولما رجع إلى تمبوكتو نقل ما رآه من حاله و من علمه وصلاحه وزهده إلى مسامع أمير المؤمنين الحاج أسقيا محمد فعينه على قضاء مدينة جني بعد عودته من الحج حوالي سنة 904 هـ ، و كان أول قاضي

(1) إسماعيل ميغا ، المرجع السابق ص 226 ، أحمد شكري ، الإسلام، المرجع السابق ص 218.

شرعي يفصل بين الناس بالشرع ، و توليه منصب القضاء في جني نقطة تحول في تاريخ القضاء الإسلامي في هذه المدينة حيث لم يكن الشرع قبل تعيينه قاضيا يطبق عند الفصل بين الناس في خصوماتهم و سائر القضايا ، بل كان الناس - قبل تعيينه - يتقاضون إلى خطيب المسجد الجامع فيسعى بينهم بالصلح .
و الفقيه محمد سانوا الونكري من العلماء الذين تركوا بصماتهم في ازدهار الحركة العلمية و الثقافية في مركز جني .

3- الفقيه القاضي محمود بغبغ :

تولى الشيخ محمود بغبغ قضاء جني في عام التاسع و الخمسين بعد تسعمائة 1551م و ولاه القضاء السلطان أسقيا إسحاق ابن أمير المؤمنين أسقيا الحاج محمد الكبير بعد وفاة القاضي العباس الكب .⁽¹⁾
بعد القاضي محمود من بين العلماء الذين قاموا بدور عظيم في إثراء الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي ، وهو والد العالمين الجليلين : الفقيه محمد بغبغ عالم تومبوكتو و الفقيه أحمد بغبغ .

إنّ العلماء الذين هم من أصل الونكري كانوا كثر في مدينة جني و كان لهم دور هام في نشر الثقافة الإسلامية في جني خاصة و في السودان الغربي عامة، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام في بلاد الهوسا (نيجيريا) .

ومن بين العلماء الذين ساهموا في تطوير الحركة العلمية و الإسلامية بمدينة جني : عالم كنجاني الذي عاصر السلطان أسقيا الحاج محمد الكبير⁽²⁾ و العالم

(1) أحمد بابا المصدر السابق ص 341 ، تاريخ السودان ص 19 . فتح الشكور ص 113 .

(2) تاريخ السودان ص 19 .

مما الذي تولى الخطابة بمدينة جني بعد موت الخطيب القاضي أحمد " ترف " في نهاية القرن العاشر الهجري (16م)⁽¹⁾ و العالم محمد " بنب كنان " و اصله من ونكرا تمكن من أمور الفقه و تولى منصب القضاء في نهاية القرن العاشر هجري⁽²⁾ والقاضي " مود بكر تروي " المتوفى سنة 985 هـ / 1577 م الذي يعد من أبرز قضاة مدينة جني ، فقد خدم العلم فنال بركته و توفي أواخر القرن العاشر هجري و من القضاة الذين عرفتهم مدينة جني القاضي مود موسى الذي عاصر باشا المغرب الأقصى على بلاد سنغاي محمود زرقون.

ثالثا: الكتب و المؤلفات المتداولة بالسودان الغربي .

و كانت الكتب الدراسية المتداولة في جني و غاو و تومبوكتو هي نفس الكتب و المؤلفات المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى و من بينها : تأليف التفسير من أهمها الجلالين⁽³⁾ ، موطأ مالك في الحديث و الفقه ، الصحيحين البخاري و مسلم⁽⁴⁾ و الشفاء للقاضي عياض في السيرة ، و مديونة سيحونون في فقه الإمام مالك ، و الرسالة الفقه المالكي ، و مختصر خليل و المنتقى للبايجي شرح الموطأ⁽⁵⁾ و مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه المالكي و مختصر ابن الحاجب الأصلي في الأصول⁽⁶⁾ و تهذيب البرادعي في الفقه المالكي، و جامع

(1) تاريخ السودان ص 19 .

(2) المصدر نفسه و الصفحة عينها .

(3) السعدي ص 33 .

(4) نيل الابتهاج ، ص 342 .

(5) أحمد بابا التومبكتي ، ص 341 ، 342 .

(6) هذان الفرعان لجمال الدين أبي عثمان ت 646 ، عرف ابن الحاجب و هو دفين الإسكندرية ، و كانت كتبه

تدرس بجي و تومبوكتو .

المعيار للونشريسي ، والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، الدرر اللوامع الابن بري التازي ، دلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي ، مدخل ابن الحاج ، و البيان و التحصيل لابن رشد ، و المعيار المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا و الأندلس والمغرب للونشريسي ، و الجامع الصغير في الحديث للسيوطي ، و ألفية العراقي في علوم الحديث مع شرحها ، و سيرة ابن هشام ، الجزائرية للزاوي⁽¹⁾ ، و رجز المغيلي الكبرى في المنطق و شرحه لأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، و تحفت الحكام و العباد⁽²⁾ و عقائد السنوسي في التوحيد وهي ثلاثة: العقيدة الكبرى والوسطى و الصغرى ، والخزرجية في العروض بشرح الشريف ، و العشرينيات في مدح الرسول - صلى الله عليه و سلم - و عرفت بالفاززية⁽³⁾ ، و حكم ابن عطاء الله مع شروح زروق عليه ، و الهاشمية في التنجيم مع شرحها ، و مقدمة التاجوري و البسط والتعريف في علمك التصريف للمكودي⁽⁴⁾ ولامية ابن المجراد السلوي في الجمل ، والمرشد المعين لابن عاشر الفاسي ، و لامية الزقاق ، و المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق أيضا ، و إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقرئ ، و المقامات الحريري في الأدب العربي ، و ألفية الأثر في الحديث ، و شرح النقاية في الأصول ، و البيان والتصوف ، و شرح الكوكب الساطع في نجم جمع الجوامع

(1) أحمد بن عبد الله الجزائري الزاوي تـ 884 هـ / 1479 م ، صاحب اللامية المشهورة في علم الكلام ، عرفت في السودان الغربي باسم المنظومة الجزائرية ، أنظر سعيد حراش ، العلاقات الفكرية ، المرجع السابق ، ص 243 .

(2) حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 244 .

(3) لصاحبها عبد الرحمان الفاززي ، القرطبي تـ 627 هـ / 1229 م ، استعمله السودانيون في المدح .

(4) هو عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي توفي 808 هـ / 1405 م له أيضا شرح المكودي على ألفية ابن مالك ، والمقصودة المشهورة في مدح الرسول - صلى الله عليه و سلم -

وهو في الأصول و البيان والتصوف، و شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد والشاطبية⁽¹⁾ التي انتشرت انتشارا سريعا في بلاد السودان ، و لقد كان لسلطين السودان الغربي في عهدي دولة مالي وسنغاي دور في اقتناء هذه التأليف و الكتب فيقول العمري عن السلطان منسا موسى " و جلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك رضي الله عنه " و استغل مروره بالقاهرة أثناء حجه ، فاشترى مجموعة كبيرة من كتب فقه المالكية⁽²⁾ ، كما أحضر هذا السلطان لمراكز التعليم بدولته نوادر الكتب من مصر و الحجاز ومن الأقطار التي مر بهما ومن ثم أنفق جزءا من أموال مملكته على شراء الكتب⁽³⁾.

وأكثر من ذلك ، يظهر أن حكام مالي كانوا يسهرون على افاد الطلبة السودانيين للمراكز الثقافية ببلاد المغرب و المشرق الإسلاميين ، و ذلك على نفقتهم الخاصة ، وأخذت رحلة العلم السودانية تعرف نموا مطردا و متزايدا. مع بداية القرن التاسع الهجري و كان ذلك خلال بروز العائلات العلمية السودانية خاصة عائليتي أقيت ، و بغيح و بما أن القاهرة كانت توجد في طريق الحجاج السودانيين ، فقد كان أهل مالي و سنغاي يستغلون فرصة مرورهم بها لحضور حلقات العلم بالجامع الأزهر ، و الاتصال بفقهاء المالكية ، و يذكر أن سلاطين السودان الغربي أنشئوا مدرسة خاصة بهم بمصر و تحملوا جميع نفقاتها يقول المقرئزي عن هذه المدرسة المالكية التي حملت اسم منشئها : " هي بخط حمام الريش من مدينة مصر (القاهرة) كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا إلى

(1) لصاحبها القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى 590 هـ / 1193 م .

(2) أحمد شكري ، الإسلام و المجتمع السوداني ، المرجع السابق ، ص 221 .

(3) الدالي ، العلاقات ، المرجع السابق ، ص 113 ، حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 246.

مصر سنة بضع و أربعين و ستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضي "علم الدين بن رشيق" مالا بناها به و درس بها فعرفت به و صار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة و كانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال" (1).

ولقد ظهرت طبقة من المثقفين المبدعين في تأليف مختلف الفنون الإسلامية ، في الفقه و المدح و النحو و المنطق و التصرف و التاريخ ، ففي الفقه برز كما ذكرنا برز العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، بن عمر بن علي بن يحيى الذي علق علي موضع خليل و علي شرحه للتنائي بين مواضع السهو منه .

كما ألف في الفقه العلامة أحمد بابا التمبوكتي عدة تأليف منها :

- تنبيه الواقف

- درر الوشاح في فوائد النكاح

- ترتيب جامع المعيار للونشريسي

- تعليق على مواضيع ابن الحاجب

- الزند الوري في مسألة تخير المشتري

- اللمغ في الإشارة إلى حكم التبغ

- معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود

أما في المدح ، فألف علماء السودان الغربي قصائد في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم- فمن بين تأليف أحمد بابا في هذا المضمار و هي :

- الدر النظير في ألفاظ الصلاة على البشير النذير .

(1) أحمد شكري ، المرجع السابق ، ص 224 .

- خمائل الزهر في كيفية الصلاة على البشير النذير

أما في النحو فقد ألف أحمد بابا التمبوكتي مؤلفات عدة ومن بينهما :

مسألة مساواة الفاعل للمبتدأ و شرح الألفية

أما أبي عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التمبوكتي فقد ألف :

- المنح الحميدة في شرح الفريدة ، و هو شرح لألفية السيوطي في النحو .

أما في المنطق ، فقد أبدع فيه عدد لا بأس به من السودانين ومن بينهم :

الفقيه محمد بن محمود بن عمر أقيت الذي شرح رجز المغيلي ، و الفقيه أحمد بن

أحمد أقيت الذي وضع شرحا سماه شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب

للمغيلي ، كما وضع تعليقا على صغرى السنوسي التلمساني .

أما في التصوف فقد ألف فيه بعض من علماء السودانين ومن بينهم أحمد

بابا الذي ألف مؤلفا أطلق عليه فتح المجيب و فتح الرزاق و كذلك لعمه أبي بكر

بن أحمد أقيت التمبوكتي (932 هـ - 991 هـ) تأليف في التصوف سماه معين

ضعفاء في القناعة و هذه رسالة في التصوف تلقي الضوء على هذا النوع من

الإبداع تقول : " الشيخ الصالح الزاهد القطب أبي مدين شعيب الغوث ،

المولاية ، نفعنا الله بهم آمين و صلى الله على سيدنا محمد ، عدد ما ذكره

الذاكرون ، و غفل عن ذكره الغافلون ، إلى يوم الدين ، و آخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين ، بتاريخ أوائل صفر عام ثمانية و ثمانين و ألف (1088

هـ 1677 م) على يد كاتبه العبد الحقير ، الفقير بقلة عمله ، ورجاء عفو ربه ،

عبيد الله تعالى عبد الكريم بن الصالح بن أبي محمد بن أحمد السوقي ، كتبه لخيار

ابن إدريس ، و كل من نظر فيه أن يدعو لنا و لجميع المسلمين الخاتمة بجاه محمد و آله أجمعين " (1) .

أما في التراجم و التاريخ و الشعر فقد برز عدد من السودانين و أنتجوا عدة مؤلفات و يتصدرهم العلامة أحمد بابا التمبوكتي الذي أنكب على تأليف الكتب و إعداد تراجم و سير العلماء و الفقهاء و الصلحاء ، خاصة فقهاء المالكية ابتداء من الإمام مالك إلى عهده هو و زادت تأليفه على الخمسين كتابا من بينها :

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الذي ترجم فيه إلى ثماني مائة و اثنين عالم .

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، و هو مختصر لنيل الابتهاج.

و كلاهما عبارة عن تكملة لكتاب الديباج الذي ألفه العالم ابن فرحون ، و ذكر أحمد بابا في مقدمة نيل الابتهاج ، بأن وجوده بمراكش ، و توفر المراجع بها ، خلال نفيه إليها ، وهي التي أتاحت له فرصة التأليف و قد جاء في هذين المؤلفين معلومات سياسية ، و ثقافية و اقتصادية و اجتماعية ، و ترجم لأعلام كثيرين من الأندلس و المغرب الأقصى ، و المغرب الأوسط و المغرب الأدنى.

ومن المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ الإفريقي ، المؤرخ بابا كوز بن الحاج محمد بن الحاج الأمين الذي ألف كتابا عنونه بـ: " درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان ، الذي استفاد منه المؤرخ محمود كعت (2) في وضعه لكتاب تاريخ

(1) الدالي ، التاريخ ، المرجع السابق ، ص 194 .

(2) ولد الشيخ محمد بن محمود كعت عام 1468 م ، حسب رواية الشيخ عبد الرحمان السعدي ، بمدينة تمبوكتو ونشأ بها ، و حفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ القاضي محمود و عنه أخذ علوم اللغة العربية و الفقه و الحديث و التاريخ و التفسير، و السير العلماء و الفقهاء ، و ارتحل إلى مصر فأخذ عن علماء الأزهر ثم زار البقاع و

الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس ، و ذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور و تفريق أنساب العبيد من الأحرار " وقد ألف هذا الكتاب في القرن 16 م و قد سجل فيه صاحبه أهم الأحداث التي شاهدها و عاصرها بدأ حديثه عن الاسقيا محمد الأول الكبير ، و أثنى عليه ، و وصفه بالعدل و الصلاح ، و الإنصاف ثم أرخ لمدينة تمبوكتو و ما أصابها من دمار و غزو من قبل المغاربة عام 1591 م وقال " ولما أجلاهم القوم و ارتحلوا صارت تمبوكتو جسما بلا روح و انعكس أمرها و تغير حالها ، و تبدلت عوائدها ، و رجع أسفلها أعلاها و أسفلها ، و ساد أرذالها على عظمائها " .

ومن المؤرخين الذي أرخوا للسودان الغربي المؤرخ عبد الرحمن السعدي الذي ألف كتابا عرف بتاريخ السودان و ذكر في مقدمته أسباب تأليفه و قال : " ولما رأيت انقراض ذلك العلم و دروسه ، و ذهاب ديناره و فلوسه ، و أنه كبير الفوائد ، كثير العوائد بما فيه معرفة المرء بأخبار وطنه و أسلافه ، و تواريخهم و وفياتهم فاستعنت بالله سبحانه و تعالى في كتب ما رويت من ذكر ملوك السودان أهل سنغاي ، و قصصهم و أخبارهم و سيرهم ، و غزواتهم ، و ذكر تمبوكتو ، و نشأتها و من ملكها من الملوك و ذكر بعض العلماء و الصالحين الذين توطنوا فيها و غير ذلك إلى آخر الأحمدية الهامشية العباسية سلطان مدينة الحمراء مراکش " . وقد أرّخ السعدي للممالك الإسلامية في السودان و نشأة المدن الإسلامية و نبذ عن أخبارها ، و عن الدعاة و القضاة " و أئمة المساجد ،

الحجاز و عند عودته إلى تمبوكتو اشتغل بالتدريس و الإقراء لعلوم الفقه و الحديث و المنطق و تتلمذ عليه كثيرون منهم الشيخ الفقيه أحمد بابا و غيره ، أنظر يحيى بوعزيز ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 197 .

و الخطباء ، وأرّخ للسلاطين الكبار من أسرة الاسقيا محمد الكبير و خلفائه من بعده .

ولقد ترجم السعدي لحوالي مائتي عالم سوداني في كتابه على رأسهم أحمد بابا التومبوكتي .⁽¹⁾

ومن كتب التاريخ أيضا، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لجهول ، وجاء في الكتاب أخبار باشوات إفريقيا و مآثرهم ، و حروبهم و صراعاتهم مع القادة المغربية⁽²⁾ .

(1) يحيى بوعزيز ، تاريخ ، المرجع السابق ، ص 207 ، 208 .

(2) الدالي ، التاريخ ، المرجع السابق ، ص 196 ، 197 .

الفصل الثالث

الروابط الثقافية بين المغرب والأوسط

والسودان الغربي

أولاً: أثر محمد ابن عبد الكريم المغيلي باقليمي توات و السودان

الغربي

1- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و البدني

باقليمي توات و السودان الغربي.

أ- إقليم توات (التسمية و الموقع)

ب- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي في إقليم توات

2- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي بإقليم السودان الغربي

أثانياً: دور الزوايا و الطرق الصوفية في نش الثقافة العربية الإسلامية

مهيد:

لقد ارتبط سلاطين بني ريان بعلاقات ودية مع سلاطين ممالك السودان الغربي (مالي ، سنغاي) ، فكانوا يتبادلون الهدايا و الرسائل ، وكانت العلاقات متصلة عبر الدروب و المسالك الصحراوية ، فكان طلاب السودان الغربي يفتدون إلى تلمسان لتلقي العلم في مدارسها المشهورة و معاهدها الدينية التي بذل لها سلاطين بني زيان الكثير من الرعاية و حسن اختيار الأساتذة و العاملين بها (1)

فكان لتلمسان دور كبير في تقديم يد المساعدة و العون للحجاج السودانين عند مرورهم بها ، وكان بعض أبناء بلاد السودان الغربي يفضل الإقامة و الاستقرار بتلمسان و عدم الرجوع تكسبا للعمل أو الدراسة لاسيما في مسجدها الأعظم (2) أو بمدارسها الخمسة التي كانت تشبه جامعات العصر الحديث ، فقد نهل السودانيون منها علوم مختلفة سواء في الشرع أو العلوم العقلية من طب و علوم الطبيعية ، و المنطق و غيرها و كان لبعض علماء و فقهاء المغرب الأوسط دور في نشر الثقافة العربية الإسلامية ببلاد السودان و كان على رأسهم العلامة الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كان له الأثر البالغ ليس فقط بتلمسان وتوات و السودان الغربي بل في العالم الإسلامي .

≡

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب الغربي مج 3 مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، ص 170 .

(2) نفس المرجع و الصفحة عينها .

أولاً: أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري والديني بإقليم توات
والسودان الغربي .

1. أثر محمد عبد الكريم المغيلي بإقليم توات

أ - إقليم توات (التسمية و الموقع)

ذهب البعض أن كلمة " توات " أصل تكرر و تعني وجع الرجل (1)، ويرجع البعض الآخر على أن توات اسم لأحد البطون المنحدرة من قبيلة المثلثين سكان الصحراء ، و المثلثون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ، ومنهم طوائف الطوارق و لتونه و توات (2) و يرى محمد بن امبارك أن الكلمة أصلها أعجمي أطلقتها قبائل من لتونة عندما التجأت للإقليم - توات - في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي على المكان بعد أن وجدوا المكان مناسباً و موافقاً لقرارهم فيه و سموا هذا المكان بتوات (3) .

وهناك رأي آخر مفاده أن اسم توات جاء من الإتاوات التي كانت تدفع إلى الموحدين بدءاً من عام 518 هـ - 1124 م . (4)

ويقع إقليم توات الذي يضم أدرار ، تميمون ، وعين صالح في جنوب غرب الصحراء الجزائرية (المغرب الأوسط) ، ويضم الإقليم عدداً من الواحات

(1) عبد الرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 07 .

(2) الرصاع (محمد) فهرسة الرصاع ، تونس ، 1967 ، ص 127 .

(3) عبد الرحمن السعدى ، المصدر السابق ، ص 07 .

(4) أحمد حمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رسالة الماجستير ، 1999 - 2000 جامعة وهران ، ص 6 .

والقرى والقصور على شكل هلال ، فهو يقع بين خطي عرضي 26,7 و 28,5 درجة شمالا⁽¹⁾ و بين خطي طول 2,30 غربا إلى 1 شرقا و هي امتداد لمنخفض تزروفت⁽²⁾ و تعد توات قاعدة للانطلاق إلى بلاد السودان⁽³⁾ .

يجد توات من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير و منطقة تيكورارين⁽⁴⁾ وكذا وادي الساورة و عرق الراوي .

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ، وفدت على إقليم توات جماعات من عرب المعاقيل⁽⁵⁾ فاستغلوا ضعف نفوذ أمراء بن مرين على هذه المناطق فطاب لهم المقام بالمنطقة و ساعدهم على ذلك الخلافات المستمرة بين القبائل

(1) Rouire (L) , le sud-ouest oranais et le touet , in revue de la société de

géographie d'Oran 1891 , P 362.. أنظر أيضا

DEVORS (P) ; le touat étude géographique et médicale, archives de l'institut

Pasteur T. XXV n° 3-4 Septembre , décembre Alger 1974, P 224. أنظر أيضا فرج محمود

فرج ، المرجع السابق ، ص 01.

(2) هي الصحراء الشاسعة بلغة الربر .

(3) عبد الرحمن بن خلدون ، ج 6 ، ص 72.

(4) تيكورارين ، منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة و عشرين ميلا عن شرق تبيست ، حيث يوجد ما يقارب من خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل ، و سكان هذه المنطقة أغنياء لأهم ، اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان و هنا مجمع القوافل ، أنظر حسن الوزان ج 2 المصدر السابق ، ص 133 .

(5) دخلوا المغرب يرفقه الهلاليين في قلة ، و نزلوا المنطقة التي تلي ملوية و رمال تافيلالت و بقي منهم بإفريقية جميع اندمجوا في جملة بني كعب بن سليم ، و حيث أنه يمكن القول بامتداد حدود دولة بني عبد الواد من جبال سعيدة ووادي مينة شرقا إلى وادي ملوية و مدينة وجدة غربا وهم ينسبون إلى معقل جدهم ومنه سحير و محمد ومن سحير ولد عبيد الله و ثعلب ، و من عبيد الله ذوي عبيد الله ، البطن الكبير و من ثعلب ، الثعالبة الدين هم بنواحي الجزائر أنظر ، عبد الرحمن بن خلدون ج 6 ، ص 59 ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج 2 ، ص 159 ، القلقشندي صبح الأعشى ج 5 ، ص 149 مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في المغرب ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ، ص 231،232.

التواتية⁽¹⁾ وسرعان ما تمكن هؤلاء العرب الرحلة من بث نفوذهم على الإقليم فلم يجد أمراء بني مرين مفرا من الاعتراف بالأمر الواقع ، فظل إقليم توات مفتوحا أمام الهجرات المختلفة ، فسيطرت عليه أيضا أقلية يهودية يرجع اصلها إلى ما قبل الفتح الإسلامي إذ كانت هذه الهجرات إلى المغرب الأوسط اضطرارية عموما فرارا من موجة تعصب ديني أو من اضطهاد عنصري أو من عواقب عصيان أو تمرد أو مؤامرات ارتكبوها في حق المجتمعات التي استضافتهم قبل الإسلام ، مثلما حدث في ليبيا مع الرومان اثر العصيان الذي دعا إليه إلى خام AKIBA إضافة إلى الاحتكارات التجارية التي كثيرا ما أثارت غضب المجتمعات ضدهم⁽²⁾ .

ويذكر أن بعض الفارين من يهود يثرب من شبه الجزيرة العربية قد استقروا قبل فتح شمال إفريقيا بهذه المنطقة بما فيها المغرب الأوسط ، وخطوا رحالهم بالجنوب الجزائري بمنطقة قصور توات وورقلة وتقرت و جنات ، و يذكر أيضا أن المئات من العائلات اليهودية التي كانت تشتغل بالتجارة و بمختلف الحرف قد انتقلت مع الفاتحين المسلمين إلى شمال إفريقيا بمحض إرادتها و تحت رعاية عقبة بن نافع الذي يقال أنه استعان بهم في تعمير مدينة القيروان التي كانت أول محطة لهم ، قد عرفت الهجرات اليهودية الجماهيرية تزايدا في الفترة الواقعة ما بين 1391 م - 1491 أي بعد أحداث إشبيلية ثم بعد سقوط غرناطة⁽³⁾ و استقرارهم بالمدن

(1) فرج محمود فرج المرجع السابق ، ص 06

(2) فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، دار الأمة الجزائر 1996 ، ص 39.

(3) نفسه و الصفحة عينها، أنظر أيضا شريب سيبتروفيتش ، حكومة العالم الخفية ، ترجمة مأمون سعيد البليدة

الجزائر ، ص

الساحلية و حتى الداخلية و المناطق الصحراوية لاسيما منطقة توات غير أن الجالية اليهودية تعرضت للطرد و الملاحقة بتلمسان مرتين على التوالي سنة 1442 و سنة 1476 ثم بمدينة توات و تمطيط إحدى أهم المراكز التجارية في شمال الصحراء على يد الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي مع حلول السنوات الأولى من القرن السادس عشر .

و قد عرفت توات وفود على فترات متعاقبة عناصر من البربر و العرب والزنج ، و بعد امتزاج هذه العناصر ، أصبحت تحتكم لعادات و تقاليد و قيم اجتماعية موحدة نابعة من انتمائهم الإسلامي بمقتضى الطبيعة الصحراوية القاسية و التي نستلزم ذلك التآلف الاجتماعي أيضا ، فبنوا الدور وخلقوا لأنفسهم جوا معيشيا على الرغم من قساوة المناخ و استنبطوا المياه الجارية بإبداعهم الغريب قل أن نجد ذلك في تلال المغرب " و ذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى و تطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها تم تصعد الفعلة و يقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء ، فينبعث صاعدا فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا و يزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء و هذه الغريبة موجودة في قصر توات و تيكورارين وورقلا، ⁽¹⁾ وهذا الإبداع الغريب كان يعرف بالفقاير أو الفقرات .

إن سكان توات " هم أهل عدة و عدد... فيهم الرحالة و الخيالة و أكثر معاشهم من بلح النخل ، و فيهم التاجر إلى بلد السودان " ⁽²⁾ و من طباعهم إلى

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، ج 7 ، ص 68 ، 69.

(2) بن خلدون ، العبر ج 7 ، ص 119.

جانب تدينهم الطيبة و كرم الضيافة و هم أهل التقوى و الصلاح ، على الرغم من أن توات أرض جذب و قلة مع بركة و قناعة و أمانة و عافية تنهياً فيها العبادة و الرياضة و الزهادة " (1).

لقد خضع إقليم توات للنفوذ المغربي خاصة في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي حينما أرسل حملة عسكرية يقودها كل من محمد بن بركة و أحمد بن الكداد العمري المعقلي لإخضاع إقليم توات و إرغام أهله على دفع الضرائب مرة ثانية لحكومة المخزن ، و يبدو أن الحملة لم تجد أية مقاومة ، بل أحسن استقبالها الشيخ عمرو بن محمد الذي كان شيخاً على الإقليم ، مما كان له وقعا حسنا لدى السلطان المغربي ، الذي أصدر موافقة على بقاء الشيخ عمرو بن محمد في منصبه شريطة مواظبته و التزامه بإرسال الضرائب السنوية لحكومة المخزن . (2)

وكانت مدينة تمنظيط (3) عاصمة الإقليم التواتي حيث كانت تمتاز بانتشار عمراها و كثرة سكانها و مركزها العلمي و الديني ، وقد وصفها ابن الحاج عبد الرحيم بابا حيدة بقوله : " .. فاعلم أن مدينة تمنظيط اسم لمدينة في إقليم توات

(1) ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنظيط ، تحقيق محمود فرج المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1977 ، ص 1.

(2) المخزن ويعني الحكومة و سلطتها بمصالحها و مظاهر نفوذها في الشرطة و الجيش و رجال الحكم الممثلين لها في الأقاليم، وقد انتقل هذا المصطلح من الأندلس إلى المغرب ، في أواسط القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي على عهد بني مرين، أنظر عبد القادر زمامة " كلمات من المغرب الأقصى ، مجلة الجمع العربي بدمشق المجلد 40 أبريل 1965 ج 2 ص 428.

(3) تقع في الناحية الجنوبية لقصر تيمي ، و هي تتشكل من خمسة قصور ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها .

اجتمع فيها العلم والعمارة والديانة والرئاسة و انتب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع ... " (1)

فكانت تمنطيط عاصمة لإقليم توات ومقر لقاضي الجماعة فكانت تعرض على قاضيه بعض المنازعات التي كان يتخبط فيها الإقليم حينذاك كالخلافات القبلية التي كانت تدور رحاها بين قبائل أولاد أحمد بمقاطعة تيمي و قبائل أولاد بن عمر و أولاد سلام و أولاد يحيى التي كانت تقطن مدينة تمنطيط . هذه الخلافات غيرت المجرى السياسي للمنطقة ، بانتقال عاصمة الإقليم من مدينة تمنطيط إلى أدرار أكبر مدن مقاطعة تيمي و ذلك في نهاية القرن السابع عشر الميلادي .

ب- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي في إقليم توات :

شهد المغرب الأوسط غداة القرن التاسع الهجري نشاطا فكريا كبيرا ومن بين العلماء الذين ساهموا بقسط وافر في تطور الحركة العلمية و الفكرية كان العلامة الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي (2) و لقد أثر تكوينه الديني ووعيه بالمخاطر التي كانت تحدق بالمغرب الأوسط خاصة و العالم الإسلامي كافة عشية سقوط الأندلس على موافقه من التجاوزات اليهودية بحيث أعطتها صلابة وتشددا، و انتقل المغيلي إلى توات (3) و بالضبط إلى تمنطيط و ذلك سنة 882 هـ فاشتهر بعلمه و قضيته مع يهود توات أزال الغبار عن مكانته في القرن التاسع الهجري ، فقد اتخذ من تمنطيط مركزا لنشاطه الفكري و منطلقا لنشره

(1) بابا حيدة ، المصدر السابق ، ص 13 ، 14 .

(2) انظر ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الدراسة .

(3) يقال أن سبب انتقال المغيلي من تلمسان نحو توات هو لما رأى من جور الحكام بتلمسان ، و توليتهم من

تتقى شوكنه من اليهود و سكوت العلماء شد الرحال نحو توات .

الإسلام و تصحيح العقيدة الإسلامية في مناطق عديدة من السودان الغربي فقال فيه صاحب القول البسيط " وهو مشهورا بالعلوم الظاهرة و الولاية الباطنة فهو آية الله في أرضه و حجته في شريعته " (1).

وقد أسس زاويته القادرية بتمنيط فكان لها صدى عبر مناطق السودان الغربي، و لقد رأى الشيخ المغيلي من يهود توات تجاوزا للحدود الدينية - الشرعية واستعلاء على المسلمين حتى أنهم أكثروا من التعدي و الطغيان و التمرد على الأحكام بتوليه أرباب الشركة أو خدمته السلطان (2)، كما لاحظ تساهلا و تسامحا من قبل المسلمين مع اليهود حتى كان الواحد منهم يقربهم من نفسه و عياله أو يستعملهم في أعماله بيدهم ما شاء من ماله مع أنه لا دين لهم و لا مروءة و رأى تدهورا أخلاقيا كبيرا للمسلمين مما ساعد اليهود التدخل في إدارة دواليب السلطة و بث نفوذها في كل مكان له حيوية و نشاط يستفاد منه لصالحهم، حيث اقدموا على بناء الكنائس أو البيع و استعلائهم بذلك عن الإسلام و المسلمين، و قد رفض، رفضا قاطعا هذا السلوك السلبى للمسلمين تجاه اليهود وهذا الصمت و التعامل العادي معهم الذي يوحى بالرضى و التواطؤ، فرفع عقيرته مستنكرا على اليهود عملهم هذا بتزعمه تيارا رافضا لهذا الوضع و قيادة حملة عسكرية لطرد اليهود و القضاء على الفساد و الانحطاط الذي أصاب المسلمين و أنهكهم فلقى معارضة أدبية من قبل بعض العلماء و القضاء في توات و على رأسهم قاضي توات آنذاك " أبو عبد الله العصنوني مما اضطره إلى الاتصال بعدد من مشاهير العلماء و الفقهاء و رجال الدين بتونس و فاس

(1) ابن بابا حيدة المصدر السابق، ص 31.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ، المرجع السابق، ص 43.

وتلمسان و قد أدى هذا الجدل والنقاش حول هذا الموضوع إلى مساهمته كل من الشيخ السنوسي و محمد بن عبد الجليل التنسي، و الرصاع مفتي تونس و أبو المهدي الماواسي مفتي فاس و ابن زكري مفتي تلمسان والقاضي أبو زكرياء يحيى بن أبي البركات الغماري و عبد الرحمن بن سبع⁽¹⁾ . و سرعان ما وصله جواب التنسي و معه كلام السنوسي سارع هو و أتباعه إلى ارتداء لباس الحرب⁽²⁾ و قصدوا كنائسهم و أمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها ، و ألزم اليهود بالذل و الهوان و لقد قال المغيلي لمناصريه من قتل يهوديا فله علي سبع مثاقيل و جرت يومئذ في ذلك أمور⁽³⁾ ، و طهر توات و تمنطيط نهائيا من اليهود ، و لما ظهرت بعض جيوب المقاومة في أوساطهم طاردهم و لاحقهم حتى تومبوكتو حيث حرص عليهم حكمها و قد كلفته هذه العملية حياة ابنه عبد الجبار المغيلي الذي قتله اليهود أثناء غيابه في مهمته دعوية ببلاد السودان الغربي ، و عندما بلغه خبر مقتل ابنه اشتد غضبه و لم يتحكم في نفسه ، فطلب من سلطان التكرور إلقاء القبض على جماعة من التواتين بكاغو فقبض عليهم السلطان⁽⁴⁾ ، و أنكر عليه الفقيه أبو المحاسن محمود بن عمر إساءته إلى هؤلاء الأبرياء إذ لم يفعلوا شيئا فرجع عن ذلك و أمر بإطلاقهم ، و رحل لتوات و استقر بها إلى أن أدركته المنية سنة 909 هـ / 1505 م .

(1) أحمد بابا ، نيل الابتهاج ج 2 ، المصدر السابق ، ص 265.

(2) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(3) نفس المصدر ، ص 266.

(4) نفس المصدر و الصفحة عينها .

لقد كان للمغلي أثر بارز في إقليم توات إذ يعد من بين العلماء الذين أثروا الحركة العلمية و الدينية بالإقليم فقد كانت للمغلي حلقات علمية كثيرة بمساجد توات و منطقة السودان الغربي و قد تتلمذ على يد العديد من العلماء و الفقهاء أشهرهم محمد بن عبد الجبار الفجيجي و إبراهيم عبد الجبار الفجيجي و العاقب بن عبد الله الأنصمي و محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي ، و عمر الشيخ بن أحمد البكاي:

- عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي : ولد سنة 865 هـ/1460 م وقد درس في بداية مشواره على يد والده ثم ارتحل إلى بلاد المغرب و منها إلى مصر ثم إلى بلاد الشام و زار البقاع المقدسة ليعود بعد ذلك إلى بلاد السودان الغربي و التقى بالعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي فلزمه و أخذ بفضائله و تبعه في كل جولاته الداعية إلى نشر الدين الإسلامي و تصحيح العقيدة الإسلامية وقد لازمه في سفره نحو المشرق و التقيا بالعلامة الجليل السيوطي ، و كان لعمر الشيخ دور في إكمال رسالة محمد بن عبد الكريم المغيلي في نشر الطريقة القادرية ببلاد التكرور و التي كانت ترمي إلى الإصلاح و تصحيح العقيدة و تثبيت الدين الإسلامي .

- محمد بن عبد الجبار الفجيجي : وهو عالم متصوف أخذ عن والده عبد الجبار علوم الحديث و عن علماء منطقة فجيج الفقيه اشتهر بالشعر ، و أسس زاوية في بلده فجيج و مسجدا كما بنى بيتا للفقراء و لمريدي⁽¹⁾ التصوف ينفق عليهم و يموتهم و كان قد باع جميع ماله من الأرض و أنفقها على المريدين

(1) ابن مريم البستان ، المصدر السابق ، ص 287.

الذاكرين الله على الدوام⁽¹⁾ ، وقد ارتحل إلى تلمسان لطلب العلم فأخذ بها عن الشيخ ابن مرزوق الكفيف ، وعند وصوله إلى فاس التقى بمحمد بن عبد الكريم المغيلي حيث لازمه طوال وجوده بها ، فأخذ عنه التصوف وكثير من علوم الحديث والفقه والمنطق ، توفي سنة 950 هـ / 1543 م .⁽²⁾

- إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي : هو أكبر أبناء الشيخ عبد الجبار وأغزرهم علما قرأ على أبيه و عند انتقاله إلى فاس أخذ عن شيخ الجماعة الإمام بن غازي ، ثم ارتحل إلى تلمسان فأخذ بها عن الإمام السنوسي ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن السيوطي و بعد عودته اشتغل بالتدريس بفجيج ثم ارتحل نحو السودان الغربي و في طريقه مر بتوات فالتقى بالمغيلي فأخذ عنه السياسة الشرعية والمنطق و الحديث والعقيدة ، و تأثر بمبادئ المغيلي و آرائه المعادية لعلماء السوء الذين باعوا دينهم واقتنع بوجهات نظر المغيلي بضرورة نصح الحكام و أولي الأمر للعودة إلى الطريق الصحيحة و كان قد سافر مع المغيلي نحو بلاد السودان لنشر الثقافة العربية الإسلامية و تصحيح العقيدة .

- الشيخ العاقب بن عبد الله الانصمي. المسوفي: وهو من أهل أقدر ، أخذ عن المغيلي علم التوحيد و المنطق و اللغة العربية و أخذ عن الإمام السيوطي لما حج وغيرهما⁽³⁾ قال عنه أحمد بابا " فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن وقاد الخاطر مشتغل بالعلم ، في لسانه حدة له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل : وخصت نية الحالف حسن مفيدا جدا ، اختصرته مع كلام غيره في

(1) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(2) نفس المصدر ، ص 288.

(3) أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، مج 1 ، ص 399.

جزء سميته تنبيه الواقف على تحرير و خصصت نية الحالف ، و له جزء في وجوب الجمعة بقرية أنصمن، خالف غيره من شيوخ بلده و أرسلوه لعلماء مصر فصوبوه والجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود ، و أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير أجاب فيها السلطان أسقي الحاج محمد و غيرها ووقع له منازعة مع الحافظ مخلوف البلبالي⁽¹⁾ في مسائل⁽²⁾ .

وكان ملازما للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي طوال وجوده بالسودان الغربي، حيث تأثر به .

- محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي : اشتهر بأبد حمد ، بهمزة مفتوحة تم باء ساكنة ثم دال مفتوحة بعدها ، ومعناه بلغتهم " أبركان" كان فقيها عالما علامة محققا فهامة محدثا متفننا رحلة شهيرا محصلا نافذا جيد الخط و الفهم حسن الإدراك كثير المنازعة ، درس ببلده على جدي الحاج احمد بن عمر ، ثم رحل إلى تكدة⁽³⁾ فلقى بها المغيلي و حضر دروسه ، ثم ارتحل إلى المشرق صحبة الفقيه محمود فلقى شيخ الإسلام زكرياء، و القلقشندي وابن الشريف و عبد الحق السنباطي في جماعة فأخذ عنهم علم الحديث ، و سمع وروى وحصل و دأب حتى تميز في فنونه و صار في أعداد المحدثين⁽⁴⁾ و لقي الشمس اللقاني والناصر أخاه و حضر دروسهما و تصاحب مع أحمد بن عبد الحق

(1) هو مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ، هو فقيه حافظ ، اشتغل بالعلم على كبر ، فأول من أخذ عنه الشيخ الصالح عبد الله بن عمر بن محمد آقيت ببلاد ولاتن، و أخذ عن ابن غازي ، و قيل إنه يحفظ صحيح البخاري ، رحل إلى السودان الغربي (ككيو ، وكشن) و جرى له هناك نوازل و أبحاث مع الفقيه العاقب توفي 940 هـ ، انظر نيل الابتهاج مج 2 ، ص 305،304.

(2) نفس المصدر و الصفحة عينها .

(3) تكدة : تقع بمملكته أهير شمال أقدر أنظر اتفاق المسور ، المصدر السابق ، ص 74.

(4) نيل الابتهاج ، مج 2 ، ص 278، 279.

السنباطي و أجازته من أهل مكة أبو البركات النويري ، و بن عمه عبد القادر و علي بن ناصر الحجازي، وعند عودته استقر بكشن بالسودان الغربي وولي قضائها إلى أن توفي في حدود نست و ثلاثين و تسعمائة .

1- أثر محمد بن عبد الكريم الفكري و الديني بإقليم ال السودان الغربي:

رحل الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى بلاد السودان الغربي ليعمل على تصحيح العقيدة الإسلامية الذي أخذ الفساد يدب فيها و ليصبح أحد أهم الروابط الثقافية و الفكرية التي ربطت المغرب الأوسط بالسودان الغربي عن طريق منطقة توات ، فمنذ القرن الخامس عشر ميلادي أصبح هذا الإقليم مركزا هاما لنشر الفكر و الثقافة الإسلامية بالمدن السودانية القريبة من الأطراف الجنوبية للصحراء. و كان قد سبق المغيلي بهذه الديار فقهاء و علماء من بينهم الشيخ الفقيه أبو الأنوار ابن عبد الكريم التتلافي الذي استمر فترة طويلة يعمل في الاقتناء و التدريس بمدينة تومبوكتو، و الشيخ بن سعيد البكري و الشيخ محمد بن أحمد ، دون أن ننسى التجار الذين كان أكثرهم من الفقهاء و العلماء⁽¹⁾. وعند الوصول المغيلي إلى هذه الديار رأى بأن فهم الناس لأحكام الدين الإسلامي تطبع عليه البساطة ، مما أشاع ظاهرة الشعوذة التي كان من وراءها أناس ادعوا الفهم الصحيح لديننا الحنيف ، وأول منطقة حل بها المغيلي منطقة " أهير " مارا "بتدمكت" التي كانت لا تزال في أيام علي ازدهار ملحوظ، ومنها انتقل إلى "كشين" ، أو "كانو" التي بقي بها للقضاء و الاقتداء ، و التدريس وتزوج وأنجب ثلاثة أبناء هم: أحمد ، وعيسى و السيد الأبيض ، فتوطدت الصلة بينه

(1) عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 148.

الصلة بينه وبين ملك "كانو" "محمد زنقا بن يعقوب" الذي قربه إليه ، واستأنس به ، وكان قد طلب من المغيلي أن يكتب له وصية في شؤون الدولة فكتبها له، فجاء في هذه الوصية الأحكام الشرعية لتنظيم شؤون الدولة وقد عنوانها بـ " فيها يجوز للحاكم" وتشبه هذه الوصية في إنجازها وشمولها وصية سيدنا عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري في شؤون القضاء و تشبيهه في إنجازها وصية حسن البصري لعمر بن عبد العزيز في وصف الإمام العادل .

ولقد كتب المغيلي لسلطان "كانو" مجموعة أخرى في شؤون الإمارة و تنظيم الدولة و كان قد عنوانها المغيلي بـ " ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة " قسمها إلى ثمانية أبواب جاء الباب الأول فيها يجب على الأمير من حسن النية للإمارة أما الباب الثاني فجاء فيها يجب على الأمير من حسن الهيئة ، وجاء الباب الثالث فيها يجب على الأمير من ترتيب مملكته، و الباب الرابع جاء فيه فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر و السفر ، أما الباب الخامس فجاء فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور وجاء الباب السادس فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام ، وجاء في الباب السابع في مجيء الأموال من وجوه الحلال وجاء في الباب الثامن و الأخير في مصارف أموال الله (1) .

وكان قد وصل الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي إلى "كاغو" عاصمته مملكة سنغاي عام 1502 (2) بسلطانها الحاج الكبير الذي كان يسعى بجد لإصلاح شؤون إمارته وتصحيح فهم الناس الأحكام الدين الإسلامي ، فقدم له سبع

(1) مبروك المقدم ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ج1 المرجع السابق ص 252 - 268، انظر أيضا مبروك

مقدم أحوية المغيلي ، ج 2 ، 2002 ص 49 - 50.

(2) البستان ، المصدر السابق ، ص 182 ، أنظر أيضا يحيى بوعزبز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، المرجع

السابق ، ص 97.

أسئلة موسعة ذات فروع متعددة ، استفث فيها المغيلي تألمه الشديد من كون علماء بلاده لا يفقهون من الدين الإسلامي إلا بعض الأحكام البسيطة وفهمهم كان في الغالب سقيما⁽¹⁾ فلقد احتوت أسئلة الأسئلة السبع⁽²⁾ على تعاليم إسلامية قويمة منها نبذ المشعوذين و إبعاد علماء الهوى عن بلاط المملكة ، وعكست هذه الأسئلة الوضع الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي بمملكة سنغاي .

ونستنتج من هذه الأسئلة أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و الديني بإقليم السودان الغربي ، وكان المغيلي بذلك من أهم الفقهاء الذين عملوا على تصحيح العقيدة في إقليم السودان الغربي وما امتداد جهوده إليه إلا دليل على المكانة الحضارية و الثقافية للمنطقة وعلى علاقتها المتينة مع المغرب الأوسط ، فأصبح وفود الفقهاء و العلماء إلى السودان الغربي ، و التحاق الكثير منهم بالملوك والأمراء عاملا في تقديم الخبرة و الثقافة إليهم ، و تحبيب الدين الإسلامي الصحيح إلى نفوسهم ، و من أهم الوافدين على السودان الغربي من المغرب الأوسط عامة و إقليم توات خاصة:

- أبو يحيى بن محمد المنياري الذي اشتهر بالعدل و الإصلاح⁽³⁾ .
- الحاج عبد الرحيم الأول صاحب شهرة معروفة بالإقليم و كان مقصدا للضعفاء و الأعيان على السواء .

(1) زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 159 .

(2) للاطلاع على ما جاء في أسئلة الاسقيا ، انظر محمد بن عبد الكريم المغيلي ، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي تقديم و تحقيق عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1974 ، انظر أيضا مقدم ، أجوبة ، المرجع السابق ، ص 50 وما بعدها .

(3) محمد بن بابا حيدة ، القول البسيط ، المصدر السابق ، ص 30 .

- محمد بن أحمد المعروف بباب حيدة الذي كان مشهورا بالعلم والولاية ، وله تأليف عديدة نظما ونثرا (1) .

2- تأثير المغرب الأوسط في الفن و العمارة للسودان الغربي:

أ- الجانب الفني و المعماري :

عرف عن الحركة الفنية في عهد الاسيقيين ، أنها كانت على درجة من الحذق والمهارة خاصة الموسيقى و الرقص و الغناء و النقش و النحت فقد أشار الحسن الوزان بأنه شاهد بنفسه في بلاد السودان الغربي أن سكان الأحياء المختلفة يبيتون في غناء و رقص حتى مطلع الفجر خاصة في الأعياد و المناسبات كما أشار أيضا السعدي أنه أثناء خروج الجيش فإن ضربات الطبول كانت لا تتوقف حتى وهو في المعركة ، و آلات الطرب كانت موجودة حين ذاك ، كانت الطبول بأنواعها الكبيرة التي يستعملها الحرس الملكي بالجيش ، الصغيرة التي يستعملها الناس عامة، كما كانت توجد الأبواق المصنوعة من قرون الأبقار وأنياب الفيلة ، بالإضافة إلى المزامير المصنوعة من قصبات اليراع ، وقد عرف عن السودانيين أنهم كانوا يشتركون بشكل جماعي في الرقص ، ويسيرون على ضربات الطبول. و فيما يخص الفنون التشكيلية من نحت و نقش باستثناء ما اتصل بفن العمارة لم يكن لها وجود يستحق الذكر بالسودان الغربي .

ومن التأثيرات الإسلامية على المنطقة كان في فن العمارة ، فإن بناء المساجد فن عربي إسلامي قائم بذاته و هو دليل دخول الإسلام إلى المناطق الموجودة بها تلك المساجد ، وكما كان للإسلام البادرة السودانية الكبرى الواقعة على طريق

(1) نفسه ، ص 31.

القوافل التجارية فقد كان للمغرب الأوسط في إدخال طابع خاص في بناءها باستخدام الأجر لأول مرة . فأصبح لكل مدينة مسجدها الكبير (1) .

لإضافة كانت الأجور المحيطة بالمسجد تماما كتلك الموجودة في بلاد المغرب الأوسط عامة ، من ذلك بناء و تنظيم المخازن و المتاجر و الحوانيت حول المسجد، والتي كانت تبيع العطور والكتب و أبنية الصناعة و التجارة (2) .

ومن تأثير المغرب الأوسط أنه خصص في كل منزل جناح خاص للضيوف، وقد ذكر أن قصر ملك بغانة كان محصنا ومبني بالطوب المشوي و له نوافذ زجاجية وبداخله نقوش و تزيينات، وكان الملوك و النبلاء ويستقدمون البنائين من المغرب الأوسط ليقيموا لهم البيوت و القصور على الطراز العربي المغربي الذي كان سائدا في أول الأمر في القسم العربي من مدينة كومي صالح (3) وكانت في بداية القرن الرابع عشر بداية ظهور الفن المعماري المغربي حين بنى المهندس الشاعر أبو إسحاق إبراهيم الساحلي في تومبوكتو كثيرا من المباني المساجد والقصور ، وكان المسجد الذي بناه عرف بـ " جينكري بيري " Djinguerber أي المسجد الكبير (4) .

لقد انتقل الفن المعماري المغربي الأندلسي إلى اغلب مدن المغرب الأوسط فأصبحت المدن الثلاثة تومبوكتو و جني و غاو أشبه ما يكون بالمدن المغربية ، كبناء المخازن البضائع في أسفل دور السكن التي كانت تتسم بالسطوح العليا والأبواب الضخمة و هذه هي المظاهر الأساسية في مدن المغرب الأوسط ، و قد

(1) فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 114 .

(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 145 .

(3) نفسه ، ص 146 .

(4) Didier Williams Op cit P 90 .

عرفت هذه المدن أيضا القصور الشامخة و الدور الرفيعة و المدارس الأنيقة و المساجد الفسيحة المزخرفة⁽¹⁾.

وفي القرن الخامس عشر قام المعماري السوداني محمد فادي الذي أخذ عن المهندسين المغاربة فن البناء المسمى بالطراز المغربي الأندلسي أو المتمثل في الشكل المربع المسقوف بالتراب ، و المحاطة جوانبه من الأعلى بإطار قليل الارتفاع و كثير ما تتخلله ثقب صغيرة ، و كان خاصة بالمساجد و دور السادة في بداية الأمر ثم عما استعماله لدى الجميع بعدما كان الفن المعماري السوداني القديم الذي كان يتسم بقاعة مستديرة و حائط مستدير مسقوف بالتبن أو القش و المحاط كذلك بجوش دائري ، و قد عرف بعد ذلك الشكل الهرمي الذي استعمل خاصة في بناء المساجد لاسيما في عهد الأسيقيين .

لقد احتفظ المغرب الأوسط بحكم علاقاته القوية بالسودان الغربي .

ثانيا : دور الزوايا والطرق الصوفية في نش الثقافة العربية الإسلامية.

* الطرق الصوفية .

إذا كان انتشار الطرق الصوفية⁽²⁾ في المغرب الأوسط خلال القرن

السادس عشر الميلادي دليل على ضعف و تساهل الحكومة في بسط نفوذها

(1) عبد الرحمان الجلاي ، المرجع السابق ، ص 251.

(2) الصوفية مأخوذة من التصوف وهو التخلق بالأخلاق الإلهية ، بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا ، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، و باطنها فيرى حكمها من الباطن في الظاهر ، و هو مذهب كله جد يقوم على عشرة أركان أولها تجريد التوحيد ، ثم فهم السماع ، و حسن العشرة ، و إثارة الإيثار ، و ترك الاختيار و سرعة

على الأمة مباشرة و على تقصير علمائه في إحياء كتاب الله ⁽¹⁾ فإن في السودان الغربي كان لها دور كبير في نشر الإسلام و القضاء على المعتقدات الشائعة كعادة و أد الأطفال ⁽²⁾ و الكهانة ⁽³⁾، و السحر و الشعوذة و قراءة الأثر و ضرب الرمل و استحضر الأشياء ، فقد عملت هذه الطرق على تعليم عامة الشعب خصائص الإسلام الذاتية من سهولة و سير و فطرة ⁽⁴⁾.

1. الطريقة القادرية:

ومن بين الطرق الصوفية انتشرا في السودان الغربي ، الطريقة القادرية التي أسسها سيدي عبد القادر الجيلاني ⁽⁵⁾ في العراق ثم انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر ، ويعد الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البكائي أول من أوصل هذه الطريقة إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي ⁽⁶⁾ حيث أقبل الكثير من السودانيين على الانضمام إليها ، و ذلك راجع لنشاط دعايتها الذين حرصوا على

الوجد ، والكشف عن الخواطر ، و كثرة الأسفار ، و ترك الاكتساب ، و التحريم الادخار انظر عيد المنعم الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسرة بيروت ط 1 ، 1980 م ، ص 45.

(1) علي عبد القادر حلمي ، مدينة الجزائر ، نشأتها و تطورها قبل 1830 الجزائر 1972 ، ص 271 .

(2) كانت عادة و أد الأطفال منتشرة في المجتمع الإفريقي و ذلك لعدة أسباب فقد يواد الطفل لأنه ولد بقدميه بدلا من رأسه أو لأنه ولد وأحد كيفية ينقص أو يزيد إصبعها عن الأخرى .

(3) وهي من العادات التي كانت شائعة في إفريقيا ، و يرجع ذلك في أصله و أساسه إلى محاولة الإفريقيين تفسير

الغوامض و تحليل الظواهر المحيطة بهم ، أنظر عبد الرحمن عمر الماحي ، الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 14 .

(4) إبراهيم علي طرخان ، إمبراطورية البرنو الإسلامية القاهرة 1975 ، ص 74.

(5) هو عبد القادر الجيلاني ولد سنة 471 هـ و توفي سنة 561 هـ ، 1079-1166 م عاش ببغداد حيث

اتصل بشيوخ التصوف و أخذ عنهم و برع في أساليب الوعظ و الإرشاد و تصدر للتدريس و الإفتاء في بغداد سنة

528 هـ ، انظر إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983 ، ص

221 ، انظر أيضا عمار الهلال ، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا ، الجزائر ، 1988

، ص 109.

(6) نعيم قداح ، حضارة الإسلام و حضارة أوروبا في إفريقيا الغربية دمشق 1465 ، ص 118.

نشر الدين والعلم معا، بإنشائهم الكثير من المدارس و المراكز في ولايات ثم تومبوكتو التي كانت في هذه الفترة قد وصلت أوج قمتها الثقافية والاقتصادية والعمرانية،⁽¹⁾ مما ساعد كثير من الدعاة العرب على نشر هذه الطريقة الصوفية و ممارسة نشاطاتهم الأخرى الدينية و الثقافية و تشجع و تحفيز الطلبة للاستزادة في العلم والترحال من أجل طلبه إلى شمال إفريقيا، كالقيروان، فاس، وتلمسان وتوات والقاهرة. و تعد الطريقة القادرية هي أقوى الطرق الدينية في الصحراء و أكثرها توغلا في السودان الغربي⁽²⁾ و أوفرها نجاحا في نشر الإسلام⁽³⁾ بين الوثنيين، ولقد عمدت هذه الطريقة استخدام وسائل الترغيب رغبة في نشر الدين ابتغاء مرضاة الله و حسن الثواب في الآخر و هداية الناس، فبدأت بتأسيس منارة العبادة و التعليم من مساجد و مدارس و حتى عن طريق المصاهرة مه أهالي البلد أو بشراء العبيد لتعليمهم مبادئ الدين الحنيف، ثم عتقهم، ونشر مبدأ الحرية و الإخاء والعدل والمساواة، إذ أن الزنجي لا يجذب أن يعامله إخوانه في الإسلام بالنظر إلى لونه على أنه من طبقة دنيا نسبه إليهم⁽⁴⁾.

ولقد اتسعت خريطة انتشار الطريقة القادرية في بلاد السودان على يد الشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي و عنه أخذ الطريقة الشيخ سيدي أعمار بن

(1) عمار هلال، المرجع السابق، ص 110، أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام تر / حسن إبراهيم حسن، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة مصر 1957، ص 365.

(2) فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977، ص 110.

(3) عن دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في السودان أنظر إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 221، وعمار هلال المرجع السابق، ص 112، 114.

(4) حسن إبراهيم حسين، انتشار الإسلام و العربية فيما يلي الصحراء الكبرى ط 3، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1983، ص 16، 17.

الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي أحمد الكنتي (959 هـ / 1552 م) وأصبحت تسمى بالبكاية و هي جزء من الطريقة القادرية و بلغت البكاية أوج مجدها مع ظهور الشيخ سيدي مختار الكنتي المتوفى سنة 1226 هـ / 1821 والتي عرفت انتشارا واسعا جنوب بلاد شنقيط (موريتانيا) إلى السنغال و السودان وغينيا.

لقد نجحت الطريقة القادرية بانضمام ملوك و أمراء السودان الغربي إليها و الذين اتخذوا من مقدمي الطريقة القادرية مستشارين لهم فاستفادوا من خبراتهم وثقافتهم مما سهل على الطريقة القادرية الانتشار أكثر في بلاد السودان الغربي إذ وصلت كنعاء و تمبو بجمال فوتاجالون ، و مسرد و بلاد المانديغ و موطنهم على نهر جيمي في غينيا .

و لقد لعب إقليم توات دورا أساسيا سوء في نشر الطريقة القادرية أو في استقبال السودانيين الذين قدموا لإتمام دراستهم بالمدارس التواتية ، حتى إذا ما أتموا دراستهم الدينية عادوا إلى أوطانهم مزودين بالعلم و الدين للعمل على نشر العقيدة الإسلامية بين مواطنيهم، ولقد أسس التواتيون بالسودان الغربي مراكز دينية بمختلف المدن السودانية تقوم على نشر الطريقة الصوفية التي كانت تدعو إلى حب الجار والتسامح و الإرشاد و غيرها من الصفحات الكريمة التي يتميز بها المسلم المتصوف⁽¹⁾.

(1) أرنولد توماس ، المرجع السابق ، ص 366.

وبعد أن توطدت أركان القادرية في الجزء الغربي من إفريقيا السوداء أخذت طريقها نحو المناطق الأخرى للقارة عبر الطرق التجارية التي كانت تسلكها القوافل التجارية من تومبوكتو إلى دار فور و قردفان و الخرطوم . (1)

2. الطريقة الشاذلية (2)

يعود تأسيس هذه الصوفية إلى أبي القاسم الجنيدى الذي تأثر به الشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي ، الذي كانت له شهرة كبيرة ، إذ انتشر صيته خلال القرن 12 م في كافة العواصم الإسلامية ، و قد تتلمذ على يد الشيخ المغربي عبد السلام بن مشيش (3) ، ويعود الفضل إلى هؤلاء الثلاثة في ظهور الطريقة الشاذلية التي ظهرت في صيغتين متباينتين :

أ- **الناصرية** : و تربط في سندها و تصوراتها بالشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1036 هـ / 1626 م ، و قد تم نقلها إلى هذه المنطقة عن طريق جماعة من العلماء مثل سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي المحجوبي المتوفى سنة 1132 هـ / 1719 م ، وسيدي عبد الله التناوجيوي المتوفى سنة 1145 هـ / 1732 م ، والحاج أبي بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي المتوفى سنة

(1) نعيم قداح ، حضارة ، المرجع السابق ، ص 94-95.

(2) تنسب هذه الطريقة إلى أبي الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي الملقب بتقي الدين المولود سنة 593 هـ / 1196 م توفي سنة 656 هـ / 1258 م و تتلمذ الشاذلي على يد أبي محمد عبد السلام بن مشيش الذي بدوره تتلمذ على يد الشيخ أبي مدين . ويختلف المؤرخون حول مكان ولادته فهناك من يرجعها إلى مدينة الشاذلية القريبة من جبل زفران بتونس و هناك من يذهب أنه ولد في قرية غمارة قرب سبتة المغربية . انظر عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 100 ، إسماعيل العربي ، المرجع السابق ن ص 222 ، انظر محمد الظريف ، الحركة الصوفية و أثرها في أدب الصحراء المغربية 1800-1956 ، جامعة الحسن الثاني ، المحمدية ، المغرب ص 181.

(3) محمد الظريف ، المرجع السابق ، ص 181.

1146 هـ / 1733 م و الطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد المتوفى سنة 1165 هـ / 1751 م و غيرهم .⁽¹⁾

وكانت هذه الطريقة أقوى نفوذا و أوسع انتشارا من غيرها و ذلك بساطتها ، وانسجام مبادئها مع ميول على تبسيط المعارف و العلوم و تقريبها للأذهان ، وبتحاشي الخوض في الخلافات المذهبية الضيقة و الإغراق في تأويل النصوص ، لذلك أقبل عليها أهل الصحراء و تنافسوا في أخذ أورادها و أذكارها و تعاليم شيوخها و من أبرز مراكزها:

- مركز أدرار و يمثله مجموعة من الشيوخ مثل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم المتوفى سنة 1232 هـ / 1816 م ، و الطالب أحمد بن طوير الجنة المتوفى سنة 1265 هـ / 1848 م و غيرهما .

- مركز الترازة و يمثله أسرة حمدي بن مختار بن الطالب أجويد المتوفى سنة 1220 هـ / 1805 م ، و قد امتد تأثير الناصرية عن طريق هذا المركز إلى الكثير من القبائل المجاورة مثل أولاد بيمان ، و تاشديت وغيرهما .

- مركز تندغة و قد عرف هذه الطريقة عن طريق محمد فال بن متالي المتوفى سنة 1287 هـ / 1870 م ، و قد ساهم هذا المركز في نشر التعاليم الناصرية في مختلف المناطق المجاورة له .⁽²⁾

ب- الغظفية:

(1) محمد الظريف ، المرجع السابق ، ص 182 .

(2) الخليل النحوى ، بلاد شنقيط المنارة .. و الرباط ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم تونس 1987 ص

122 ، محمد الظريف ، المرجع السابق ، ص 182 .

و تنسب إلى الشيخ محمد الاغظف الداودي الجعفري المتوفى سنة 1277 هـ / 1860 م وقد ظهرت بأوجفت بمنطقة أدرار وهي مزيج من القادرية والشاذلية وتتميز هذه الطريقة بالتقشف و الانغلاق، و الرقص و الجذب ، إذ تصدر عن اتباع هذه الجماعة شطحات غريبة خلال اجتماعهم للذكر ويأخذهم الجذب و الرقص، فتتعالى أصواتهم بالتهليل و التكبير .⁽¹⁾

وهناك طرق أخرى تفرعت عن الشاذلية و انتشرت بالمغرب لتأخذ طريقها بعد ذلك إلى السودان الغربي و نذكر منها الرازية⁽²⁾ و الغازية⁽³⁾ و غيرهما من الطرق الصوفية الأخرى .

ولقد انتشرت الطريقة الشاذلية كطريقة صوفية في المغرب الأقصى خلال القرن الخامس عشر الميلادي على يد أبي عبد الله محمد سليمان الجزولي⁽⁴⁾ ، صاحب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، ينتمي إلى قبيلة جزولة البربرية ألف كتابه المذكور بمدينة فاس و يقال أنه جمعه من كتب خزانة ، جامع القرويين⁽⁵⁾ .

(1) محمد الظريف ، المرجع السابق ، 182 .

(2) الرازية : ظهرت نحو 1526 م في وادي الدرع بالمغرب الأقصى و مؤسسها الشيخ الرازي بن أبي القاسم أو أبي الحسن القاسم الرازي .

(3) نسبة إلى أبي الحسن القاسم الغازي ، الذي أنشأ زاوية هامة في وادي الدرع .

(4) هو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر سليمان الجزولي السملالي بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف ، ينتسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، ولد في دمشق في سوس سنة 807 هـ / 1404 .

(5) حسن جلاب ، محمد بن سليمان الجزولي ، مقارنة تحليلية لكتاب الصوفية مراكش المغرب ، ص 18 .

أخذ الجزولي بالأزهر عن شيخه علي عبد العزيز العجمي الفقه و لما رجع إلى فاس التقى بالإمام أحمد رزوق الذي كان سببا في توجيهه و إرساله إلى الشريف أبي عبد الله محمد بن أعمار الذي أرشده إلى الطريقة الشاذلية .

تأثر الجزولي أيما تأثير بالطريقة الشاذلية التي وجد فيها منفذا روحيا بشدة إلى أن يتوغل في معرفة الحقائق الباطنية لا الظاهرية عن المتصوفة الآخذين بشعار : لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ، لكم القشر و لنا اللباب ، لكم الفقه العقلي ولنا الذوق الروحي ... " (1) لقد انتقل الجزولي من فاس إلى آسفي لنشر طريقته الجزولية ثم نحو المناطق الصحراوية تم تأسيسه العشرات من الزوايا (2) التي عملت على تحقيق أهداف سامية من إرشاد ديني و إصلاح اجتماعي وتوجيه ثقافي .

نستنتج من هذا كله أن الطرق الصوفية بفروعها أدت أدوارا جسيمة

منها:

1. تحفيظ القرآن الكريم للطلبة الصغار و الكبار عبر المدن و القرى .
2. اهتمام بتلقين دروس في اللغة العربية و نشر الثقافة الإسلامية فنبغ فقهاء وعلماء كثر .
3. عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأقطار البعيدة عبر الإقليم الصحراوية و الممالك السودانية الوثنية .

(1) حسن بن عمر ، أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السملالي حياته و آثاره ، رسالة الماجستير ، جامعة

تلمسان 2003/2002 ، ص 11 .

(2) Auguste (cour) , l'établissement des dynasties des chérifs au MAROC et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger , 1509-1830 , Paris 1904 , p 36 .

4. عملت على نشر العدل و المساواة بين أفراد المجتمع السوداني .
5. ساهمت إلى حد كبير في إرشاد حكام الممالك السودانية في كيفية إدارة الحكم وإصلاح حال الرعية .
6. عملت على تقديم المساعدات المادية من خلال الإيواء و المأكل و الملابس والتعليم و رعاية الضعفاء و الأيتام و الفقراء .

* الزوايا

كان للزوايا ⁽¹⁾ دور مماثل للمدارس و المساجد في نشر التعليم و تثبيت دعائم الإسلام بربوع القارة السمراء، و لقد أنشئت هذه الزوايا من قبل رجال الطرق الصوفية ، و لقد وصلت إلى السودان الغربي عن طريق علماء توات ورجالها الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم و كثرة بنائهم للزوايا المتعددة الخدمات فكانت عبارة عن منارة للعبادة و العلم و مراكز لإقامة الطلبة و نزول المسافرين و إيواء الفقراء و أبناء السبيل .

إن خدمات الزوايا و أنظمتها و نشاط رجالها ساعدت كثيرا في انتشار الإسلام في السودان الغربي ، و فتحت الطريق أمامه نحو بقية الوثنيين .

وكان للزوايا التواتية الفضل الكبير في تحقيق التعريب في السودان الغربي و في بث معارفها بين الناس عن طريق بعث الدعاة المسلمين الذين كانوا يجوبون البلاد الإفريقية و من بين الشيوخ و الفقهاء الذين أسسوا زاوية هناك الفقيه محمد عبد الكريم المغيلي الذي استقر بتوات و الذي اتخذ منها قاعدة لنشر الإسلام و المبادئ الصحيحة بمناطق السودان الغربي و قبائل الهوصا ، و بعد وفاته استمر

(1) الزوايا مأخوذة من فعل انزوى ، يتروى ، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف و التعبد

التواتيون يغذون هذه المنطقة (السودان الغربي) بالأفكار و الثقافة الإسلامية ،
فقد استقر كثير من تجار توات بمدينة تمبوكتو و اسهموا في بناء الزوايا والمساجد
(1)

(1) عباس عبد الله ، الدور الحضاري لإقليم كوات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9 و 10 هـ /
15 ، م ، رسالة ماجستير الجزائر 2001/2000 ، ص 125 .

الباب الرابع

العلاقات الاقتصادية

والتجارية بين المغرب

الأوسط والسودان

المغرب في عهد مولانا

بنو زيان

الفصل الأول

الحياة الاقتصادية والنشاط التجاري بالمغرب

الأوسط في عهد دولة بني زيان

أولا: الحياة الاقتصادية

1- الفلاحة

أ- الزراعة

ب- الثروة الحيوانية

2- الصناعة

ثانيا: التجارة الداخلية

ثالثا: الموارد المالية

1- الضرائب

أ- الضريبة الجمركية ، الزكاة

ب- الجزية ، المكوس .

2- السكة و النقود

أولاً: الحياة الاقتصادية

لقد اعتمدت الدولة الزيانية في اقتصادها على الزراعة و الصناعة والتجارية الداخلية و الخارجية و الثروة الحيوانية، و لقد اعتنت الدولة بهذه الأمور و أولتها اهتمام خاص. وإنتاج الإمارة الزيانية وفير؛ واتسمت بقلة سكانها و كانت همزة وصل بين أوروبا و إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)⁽¹⁾ فكانت الدولة الزيانية تجني دخلا كبيرا من جراء حركة التصدير والاستيراد .

ولقد اعتنت الدولة الزيانية بالصناعات التقليدية من معدنية وحيوانية وصناعة السفن ...

1- الفلاحة :

أ- الزراعة .

كان النشاط الفلاحي بدولة بني زيان هو العمود الفقري لاقتصادها فكانت تحترف هذا النشاط نسبة كبيرة جدا من سكان القرى و المدن ، ويقول صاحب الاستبصار⁽²⁾ عن البلاد الزيانية " و للمغرب الأوسط مدن كثيرة وهي كثيرة الخصب و الزرع كثيرة الغنم و الماشية طيبة المراعي ... "

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق، ص 175.

(2) الاستبصار ص 179.

وكانت أهم مناطقها المنتجة للحبوب سهل متيجة برشك، تنس⁽¹⁾ مستغانم، وهران⁽²⁾، ارشكول⁽³⁾، هنين مليانة، تاهرت، مازونة، ندرومة، وتلمسان، سهل واد شلف، سهل تاسالة⁽⁴⁾.

والمنتجات الفلاحية في هذه المناطق متنوعة بعض الشيء وليست مقتصرة على الحنطة والشعير فقط، بل يشمل النشاط الزراعي، زراعة الحبوب من قمح، وذرة، وأنواع الخضر والفواكه. أما القمح والشعير فهو الغالب على تلك الأنواع كلها و كانت تنتجها سهول المغرب الأوسط خاصة المناطق الساحلية والهضاب من واد ملوية إلى وادي يسر⁽⁵⁾ حيث الخصوبة والغيث والأودية الجارية بالمياه، كوادي شلف ومينة⁽⁶⁾ ومن بين المنتجات الزراعية الأخرى الزيتون والتين والرمان ومن الفواكه والخضر التي كان سكان تلمسان يعرفونها ويزرعونها ببساتينهم الفول، الكرنب والخس واللفت والفقوس والخيار والبطيخ والأجاص⁽⁷⁾ وقد أشار الوزان إلى ذلك " وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكنائها في الصيف، حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون، طيبة المذاق جدا، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى، والتين الشديد الحلاوة، أسود غليظ

(1) مارمول، إفريقيا المصدر السابق، مج 2 ص 354.

(2) مارمول ص 329، الاستبصار 134.

(3) مارمول ص 297.

(4) بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيرية ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص 212، 211.

(5) Dhina (Atallah), les états de l'occident musulman au XIII , XIV et XV siècles ,

O.P.U Alger 1984 . P 336.

Ibid , P 338. (6)

(7) الدراجي مرجع سابق ص 212

طويل جدا، يجفف ليأكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة⁽¹⁾.

أما التمور فقد انحصرت إنتاجها بنواحي تلمسان و تيكورارين (شمال توات) أما العسل و الشمع اشتهرت بإنتاجهما مدينة الجزائر و تنس و اشتهرت بإنتاج القطن و الكتان برشك ، هنين و مستغانم و ندرومة⁽²⁾ و الحرير بشرشال⁽³⁾.

ب- الثروة الحيوانية :

لقد اهتم سكان البلاد الزيانية بتربية الحيوانات فاهتم سكان المناطق الجبلية بتربية المواشي كتوجين ومغراوة أما قبائل الجنوب فاغلب حيواناتهم المعز و الإبل أما تربية الخيل و البغال و الحمير فيبدو أنها كانت تتم في رعاية سكان السهول و الهضاب ، وكان أهل تلمسان و ناحيتها يعتنون كذلك بتربية الخيل و البغال و الحمير فهذه الأخيرة كانت تستعمل للركوب و حمل الأثقال و غير ذلك أما الخيل فإنها كانت معدة لركوب الفرسان وهنا يجب علينا أن نميز بين تربية الماشية المستقرة التي تستعمل الحيوان للحاجات المنزلية و بين التربية البدوية للماشية التي تتخذ أهمية أكبر بكثير بسبب الأغراض المطلوبة من الحيوان: كالتغذية من لحم و شحم و زبدة و ألبان و لتقديم مادة أولية صناعية كالصوف

(1) الوزان ، وصف إفريقيا ، ج 2 ص 20.

(2) بوشامة ، مرجع السابق ، ص 396.

(3) حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، مج 2 ص 34 ، انظر إسماعيل العربي ، القارة الإفريقية و الجزائر الأندلس

الجزائر 1983 ص 158.159.

والجلد أو لاستخدامه كقوة محرّكة مثل الحصان والجمل والبغال والحمير لان هذا الحيوان أساس قوام القافلة (1).

فقد ذكر صاحب الاستبصار أن بلاد المغرب الأوسط كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي، فمن بين مدن المغرب الأوسط التي اشتهرت بذلك ومنها المسيلة التي كانت تكثر بها المواشي والبقر وكانت جزائر بني مزغنة أكثر أمواهم المواشي من البقر والغنم ولأهل شرشال مواشي و أغنام كثيرة و أكثر أمواهم الماشية ومثلها مدينة برشك و كانت مستغانم زكية الزرع و الضرع بل أنها مشتقة من "مشتي غنم". (2)

2- الصناعة :

لقد ظهرت ببلاد المغرب الأوسط صناعات عديدة إذ كانت تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف درجة التطور ، فإن صنائع المجتمع البدوي تختلف عنها في المجتمع الحضري فهي تتركز في المجتمع البدوي و الريفي حول توفير الطعام والملبس و الخيام و بعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس ، و يختلف الأمر بالنسبة للمجتمع الآخر أي - المتطور - فقد اشتهر بنشاط و مهارة الصنّاع ، وكانت هناك مراكز صناعية منتشرة عبر أنحاء بلاد المغرب الأوسط ومن بين المدن التي اشتهرت بمنتجاتها الصناعية مدينة مسيلة ، و جزائر بني مزغنة

(1) موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الأساسي خلال القرون الأربعة الأولى تر/ عبد الرحمن حميدة دار

الفكر دمشق سوريا 1998، ص 230

(2) جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث

والرابع الهجريين (9-10 م) ، د.م. ج الجزائر 1992.

وتلمسان المدينة العظمى المشهورة بالغرب⁽¹⁾ وكان صناعتها أناس أقوياء يعيشون في هناء و متعة⁽²⁾ ، وقد اشتهرت تلمسان بصناعة المنسوجات الصوفية وقد تكلم عنها الوزان بقوله " و غالب تكسبهم أي سكان تلمسان الفلاحة و حوك الصوف ، يتغنون في عمل أثوابه الرقاق فتلقى الكساء و البرنوس عندهم من ثماني أواق و الإحرام من خمس وبذلك عرفوا في القديم و الحديث ، و من لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا و غربا ؛ فقد عرف قماش بالتلمساني وهو صوف خالص أو حرير خالص مختم و غير مختم و من أنواع الملابس التي اشتهرت بها تلمسان الزيانية حسب يحيى بن خلدون ثوب المرعز و القهزي و الحرير و الملف و الذرايع و العمائم و الاحاريم⁽³⁾ .

و لم ينحصر هذا النوع من الصناعات مدينة تلمسان بل عرفت بمدن أخرى كشرشال التي تخصصت بالمنسوجات الحريرية و هنين بمنسوجاتها القطنية و لم تقتصر الدولة الزيانية على هذا النوع من الصناعة بل تنوعت الصناعات ، فيذكر أن البلاد الزيانية عرفت صناعات مختلفة لاسيما في عهد أبي حمو موسى الثاني فأشار يحيى بن خلدون في بغية الرواد : أن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم و تباين لغاتهم و أديانهم ، فمن : دارق و رماح ، و دراع و لحام ، و وشاء ، و سراج ، و خباء ، و نجار و حداد ، و صائغ ، و دباج ، و غير ذلك ، فستك لأصواتهم و آلاتهم الأسماع ، و تجار في أحكام صنائعهم الأذهان

(1) اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين اضناوي دار الكتب العلمية ط 1 ، بيروت لبنان 2002 ص

196

(2) الوزان المصدر السابق ج 2 ص 21.

(3) مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر المرجع السابق ص 484.

انظر أيضا بد الرحمان الجليلي تاريخ الجزائر العام ج 2 ص 245-246.

وتوقف دون بحرهم الهائل الأبصار ، ثم تعرض قومتهم أصلا (هكذا) كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة أيده الله و تخزن كل بحجار (هكذا) ، صنعة المعدلة ، و يتصف العاملون من أرزاقهم عدلا (هكذا) أبدا" (1) .

ثانيا : التجارة الداخلية .

تقوم الأسواق حيث توجد تجمعات سكانية ، فكان يخصص السكان مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري و للتزود بما يحتاجونه من بضائع ، ولهذا كان لكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلية تجتمع فيه و قد توجد حول كل ماء يقيم حوله الضاربون وفي المحطات التي تقع على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن بالإضافة إلى الأسواق التي تقوم حولها المدن .

وكانت الأسواق تقوم أحيانا في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على توفير الأمن والحماية ، وكان غالبا ما يحمل السوق اسم ذلك الأمير ومن هذا سوق حمزة ، و سوق إبراهيم ، و سوق يوسف .

كانت هذه الأسواق تمثل المركز الاقتصادي للمدينة أو للمنطقة فقد كان يتردد عليها مختلف الناس ممن له غاية تجارية للكسب و الشراء (2) . وكان للسوق وظائف أخرى اجتماعية و ثقافية ومن بين الأسواق التي اشتهرت بها مدن المغرب الأوسط أسواق مدينة تلمسان إذ قال عنها البكري أنها قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق " ، و يصف الإدريسي مدينة وهران فيذكر أن " بها سوقا مقدرة و تجارات نافقة " و يذكر أنه كان بمستغانم أسواق و حمامات و جنات

(1) بغية الرواد ج 2 ص 161 .

(2) جودت عبد الكريم المرجع السابق ص 136 .

وبساتين⁽¹⁾ و يذكر البكري أن مدينة تنس كان بها " أسواق كثيرة و نفس الأمر بالنسبة لجزائر بني مزغنة⁽²⁾ التي يقول عنها حسن الوزان : " وهي كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون أسوارها رائعة و متينة جدا مبنية بالحجر الضخم ، فيها دور جميلة و أسواق منسقة كما يجب ، لكل حرفة مكانها الخاص، وفيها كذلك عدد كثير من الفنادق والحمامات ...⁽³⁾ .

لقد كانت هذه الأسواق همزة وصل بين أسواق أوروبا (العالم المسيحي) وأسواق إفريقيا السوداء ، و التجار بدولة بني زيان هم؛ أما من أصل إسلامي محلي أو من الذميين اليهود أو من المسيحيين و اليهود مواطني الدول الأوروبية وأنشط هؤلاء العناصر كانوا من اليهود الذين كانوا يعيشون بالمغرب الأوسط وقد تكاثر عددهم لاسيما منذ سنة 1391 م (793 - 794 هـ) عند اضطهادهم الأسبان⁽⁴⁾ و طردوهم وكانوا يشتغلون منذ العصور الوسطى بالتجارة الخارجية ، إلى جانب الحرف اليدوية ، وكان بعضهم ينشط في التجارة البرية فينتقلون مع القوافل بين مختلف المدن المشهورة بأسواقها⁽⁵⁾ ، كما كانوا ينتقلون بين المدن الأوروبية و خاصة ميورقة و برشلونة و بين مدن المغرب الأوسط لممارسة عملية التبادل التجاري ، وكانوا يقومون بدور الوساطة بين التجارة المسلمين و الأوروبيين خاصة تجار أرغون⁽⁶⁾ ، ومن أهم السلع التي كان اليهود يتاجرون بها الأسلحة ، التوابل الحرير و العبيد ، وكانوا يوزعون

(1) الادريسي ، المغرب الغربي من كتاب نزهة المشتاق ، حققه محمد حاج صادق 1983 ، ص 128 .

(2) البكري ، مصدر سابق ص 61-76 .

(3) حسن الوزان ج 2 مصدر سابق ص 37 .

(4) فوزي سعد الله يهود مرجع سابق ص 40 .

(5) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب ، القاهرة ، ص 308 .

(6) DHINA , Op cit . P 357

بضائعهم في تلمسان ، سجلماسة ، فاس ... ، على التجار المسلمين لتسويقهما ، بالأسواق الأخرى و كان اليهود أكثر التجار عملا بالذهب ، فقد ساهموا في تزويد المدن الأوروبية به كما اشتغلوا في الصرافة ، و اشتهروا بقرض المال مقابل ضمانات وفوائد كبيرة ، و شراء العبيد و بيعهم بأثمان بخسة لبيعهم فيما بعد إلى الدول الأوروبية وغيرها بأثمان أرفع ، فقد نافسوا التجار المسلمين واحتكروا التجارة⁽¹⁾. ولم تكن اختلاف هؤلاء اليهود حسنة إذ أن الفقهاء قد حرّموا التعامل بالرّبا لكن اليهود كانوا يلجئون إليه ، دعاهم إلى ذلك ، اختصاصهم وتصريف الأموال و التعامل مع المسلمين بالربح الوفير .

وكان للتجار المسيحيين أيضا دور هام في التجارة ، فكانوا يقيمون بمدن المغرب الإسلامي ، و كان جميعهم يحافظون على جنسياتهم و يتمتعون بالحرية الدينية يعيشون تحت حماية قناصلهم. ولقد عمل هؤلاء المسيحيين بجلب معهم كميات من السلع المختلفة فيبيعونها بأسواق المغرب الأوسط كوهرا ن ، هنين، و تلمسان التي كان بها مراكز القيصرية وفيه تتجمع السلع ويتم عقد الصفقات بين التجار المسلمين و المسيحيين ، أسس هذا المراكز من قبل السلطان أبي حمو موسى الأول فوق مساحة شاسعة و كان تجار الدول الأوروبية كقشتاله ، أراغون ، والبندقية و ميورقة ، يقصدون القيصرية بحثا عن الذهب ، فكانت بين الدولة العبد الوادية و هذه الدول علاقات تجارية حددها معاهدات منها :⁽²⁾

- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 1286 و المبرمة مع مملكة أراغون.

(1) بوخالفة (نور الهدى) ، دولة بني واسول ، المرجع السابق ص 226. انظر أيضا عطاء الله دهينة ، الجزائر في

التاريخ المرجع السابق ص 479-480 . انظر أيضا فوزي سعد الله المرجع السابق ص 61.

(2) عطاء الله دهينة ، المرجع السابق، ص 478.

- معاهدة تلمسان المؤرخة في سنة 1339 و المبرمة مع مملكة ميورقة.
- معاهدة بيرينيون وتلمسان المؤرخة في سنة 1362 لمدة خمس سنوات والمبرمة مع مملكة أراغون أيضا (1).

وكانت تتم العمليات التجارية عن طريق المقايضة و البيع و الدين ، ولقد ارتبطت حركة البيع و الشراء بين التجار المسلمين و المسيحيين في دولة بني عبد الواد بالمكوس (2).

ثالثا: الموارد المالية.

لقد كانت الموارد المالية لدولة بني زيان شبيهة بالموارد المالية للدولة الموحدية ، وبالتالي يمكن القول أن النظام المالي الزياني امتداد للنظام المالي الموحدية توارثه سلاطين الدولة بوراثةهم للسلطة و الحكم فمن بين الموارد التي كانت تعتمد عليها الدولة العبد الوادية ، الضرائب بجميع أنواعها و بعض الفوائد التجارية و الغنائم .

(1) لقد تم ابرام هذه المعاهدة التلمسانية يوم 25 جوان 1362م بمدينة بيرينيون Perpignan بين ملك أراغون بطرس لوسيريمون Pierrele cére monieux ، و سفيرين يمثلان أبا جمو موسى الثاني .
انظر 376-377 هـ DHINA ، Op cit .

(2) عبارة عن ضرائب غير شرعية ، تجبى على المصنوعات المحلية و الواردات الأجنبية و على كل ما يباع ويشترى ، فوضعت على الحوانيت و الأسواق ، وكانت قيمة المكس تختلف من حين لآخر فتتراوح بين 8% - 20% ، وقد حددها الفقهاء بنسبة 10% على التجار والمشركون و 5% على التجار أهل الذمة و 2,5% على التجار المسلمين وكان متول المكوس بباب المدينة مقرا له مما يسمح له الأشراف على كل صغيرة و كبيرة داخله أو خارجه، انظر جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 406-407 ، انظر أيضا سحنون بن سعيد ، المدونة الكبرى ، القاهرة ، ص 279.

1- الضرائب :

كانت الضرائب في العهد العبد الوادي تتشكل من الزكاة والعشر (المضروب على الأراضي) ، و الجزية و الضريبة الجمركية ⁽¹⁾ و المكوس ، فكانت تستفيد الضريبة الجمركية من دخول البضائع و خروجها أموالا كثيرة ، حيث حققت الدولة الزيانية من رسوم الجمارك مردودا كبيرا كان يبلغ ثلاثمائة و حتى أربعمائة ألف دينار طوال عديدة من السنوات و خاصة عندما كانت وهران تحت سلطة بني زيان ⁽²⁾ و يبدو أن نصف هذه المبالغ كانت تصرف على الأعراب و حراس الدولة و الباقي لأجور الجند و القادة و كبار موظفي الحاشية و كان الملك هو أيضا ينفق على قصره و على متطلباته ، كان يوجد بالدولة العبد الوادية إدارتين للجمارك : الأولى بوهران و الثانية بهنين ، وترأسهما إدارة مركزية للجمارك بتلمسان .

أما الزكاة أو الصدقة كانت تجمعها الدولة من الأغنياء و تضعها في بيت المال ثم تعيد توزيعها على مستحقيها ، و على ما يبدو أن سلطان الدولة العبد الوادية كان متمسكا بالإشراف و المراقبة على هذا المورد المالي ، ولقد أشار يحيى بن خلدون ، أن السلطان أبا حمو موسى الثاني أرغم بعض مشائخ القبائل المتمردة على دفع الزكاة ⁽³⁾ . و من بين الضرائب التي كانت تعتمد عليها

⁽¹⁾ هي عبارة عن العشر ، و عرفت هذه الضريبة أول مرة خلال عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ، كرد فعل على المعاملة التي كان يتلقاها التجار المسلمون في دار الحرب ، فأمر عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري بأخذ العشر من التجار غير المسلمين الذين يفيدون ببضائعهم إلى دار الإسلام و أمر بأن يأخذ من أهل الذمة نصف العشر ، و وصف المسلمين ربع العشر إذا بلغ ثمن السلعة مائتي درهم ، أنظر النظم الإسلامية المرجع السابق ص 239 انظر أيضا دراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ص 220 .

⁽²⁾ حسن الوزان ، المصدر السابق ص 23 .

⁽³⁾ دراجي ، المرجع السابق ص 220 .

الدولة الزيانية ضريبة الأرض - الخراج - و كان مقدارها ما بين العشر و نصف العشر مع خروج الأرض .

و كانت الجزية تأخذ من الذميين من المسيحيين و اليهود الذين كانوا يوجدون في ربوع الدولة العبد الوادية و كانت تستثنى هذه الضريبة على المرأة، و الصبي ، و الجنون و العبد و الراهب في ديره ، و ذي العاهات و المساكين الذين يعيشون من صدقات الناس ⁽¹⁾ و من بين الموارد المالية للدولة العبد الوادية المكوس التي كانت تفرض على عمليات البيع ، أما التي لا تباع فان أصحابها لا يدفعون مكوسها باستثناء الذهب و الفضة الذين يدفع عنهما أصحابهما فور دخولهما إلى حدود الدولة مكوسا تقدر بخمسة في المائة من قيمتها ، ولقد ساهمة هذه المكوس بدرجة كبيرة في تمويل خزانة الدولة إلى جانب الضرائب و الجزية ، فقد حددت مكوس الواردات بـ 10 % من قيمة البضائع التي يتم بيعها، أما الذهب و الفضة فكان يدفع صاحبهما 5 % ، أما الجبايات المفروضة على صادرات الدولة تعادل 5 % و تجبى عن طريق كل السلع ، كما فرضت الدولة العبد وادية مكوسا إضافية مثل مكوس الخدمات كالترجمة و قدرت بـ 0,5 % من قيمة البضائع و مكوس الإرساء أو الملاحه و هي خاصة بالمراكب التي ترسوا بموانئ الإمارة، و مكوس أخرى لم تحدد قيمتها و إنما كان يحدد قيمتها موظفو الديوان باتفاق مع التجار كمكوس الوزن و التخزين و السمسرة ⁽²⁾ و قد ذكر حسن الوزان أن مجموع " عائداتها السنوية تقدر بثلاثمائة ألف دوكا".

(1) حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ط 3 ، 1962 ، ص 230 ، أيضا

دراجي المرجع السابق ص 221.

(2) DHINA. Op cit . P 381-382.

كان القائمون على بيت المال يحتلون مرتبة عالية في البلاط الزياني و كان يشترط في من يعتلي هذا المنصب أن يكون ماهرا في الحساب و عارفا بأنواع الخراج و الجبايات و حفظ حقوق الدولة في الدخل و الخرج و النظر في استخراج الأموال و جمعها في مواقيتها و ضبطها في سجلات و توقيع الحولات مما يمكن الموظفين من الحصول على رواتبهم الشهرية ، و من أشهر الأسر التي كانت قائمة على بيت المال أسرة "بنو الملاح" ، وهم قرطبيو الأصل معروفون بالأمانة و الصدق و كانوا يحترفون سكة الدنانير ، و كذلك أسرة " أبو المكارم محمد بن سعود " و أسرة " عبد الرحمان الشامي " (1)

2- السكة و النقود:

تعد السكة مظهرا من مظاهر سلطة الخليفة أو السلطان أو من ينوب عنهما فهي كما يقول ابن خلدون " وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص مع المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات " (2) أضف إلى ذلك أنها وثيقة رسمية لا يمكن الطعن فيها بسهولة ، فهي تعد من أهم مصادر التاريخ إذ تكشف لنا عن خفايا كثيرة و حقائق تاريخية (3) .

لقد سكت النقود في كل حواضر العالم الإسلامي في العصور الوسطى شرقا و غربا ، فضربت السكة في الشام و العراق و بلاد فارس و مصر و شمال إفريقيا و الأندلس ، وكانت النقود الإسلامية تختلف حجما و شكلا و وزنا

(1) يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ج 1 ص 205-213. أنظر أيضا عبد الرحمان بن خلدون العرج ج 13 ص

217 انظر أيضا عبدلي لخضر المرجع السابق ص 67.

(2) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 462.

(3) صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب

الجزائر 1986، ص 13.

باختلاف الأقاليم و الدول المعاصرة و كانت دار السكة تعد أهم المؤسسات التي لعبت دورا هاما في حياة المجتمعات الإسلامية⁽¹⁾ . ومن بين هذه المجتمعات المجتمع الزياني الذي ورث الدنانير و الدراهم الموحدية التي ظل معمولا بها في دولة بني عبد الواد إلا أن ذلك لم يمنع الزيانيين من سك نقود تخص دولتهم مقلدين في ذلك للموحدين حيث لم يبتكروا نماذج جديدة .

ويرى صالح بن قرية : أن دول المغرب الإسلامي بعد دولة الموحدين استطاعت سك دنانير و دراهم في غاية الجودة ، و أن هذه الدولة كانت المختار الأول لسك الدنانير و الدراهم و أن كان أمر سك النقود حرا ، ليس مقيدا و لا ممنوعا ثم حصر النقود المتعامل بها فكانت : الدينار الذهبي ، و الدرهم الفضي و أجزاء الدينار ، و أجزاء الدراهم ، وهذه الأجزاء هي :

نصف الدينار $\frac{1}{2}$ ، و ربع الدينار $\frac{1}{4}$ ، و ثمن الدينار $\frac{1}{8}$.

وقد تم حصر الدنانير العبد الوادي بـ 32 دينارا ذهبيا نقشت عليها في الغالب آيات قرآنية و أحاديث نبوية و عبارة " ما أقرب فرج الله " كشعار لهم بعد مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب سنة 707 هـ تحت أسوار مدينة تلمسان للتعبير عن شكرهم لله الذي خلّصهم من شر ذلك الحصار الطويل⁽²⁾

(1) نفس المرجع ، ص 27. انظر أيضا . DHINA , op. cit P 205-206.

(2) عبدلي لخضر ، مرجع سابق ص 68.

و هاهي بعض الدنانير و أجزاءها التي تخص الدولة العبد الوادية :
- الدينار الأول يعود إلى عهد السلطان أبي حمو موسى الأول 170 هـ /
1307- 718 - 1318 م) ، يزن هذا الدينار 4.66 غ و طول قطره 32
مم، رسمت في وجهيه دائرتان : كتب عليهما : في الوجه الأول :
كتب في القطعة الدائرية ما يلي:

ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى و أمنها و داخل المربع كتب:

عن أمر عبد الله

موسى أمير

المسلمين المتوكل

على رب العالمين

أيده الله و نصره

وفي الوجه الثاني

كتب في القطعة الدائرية

و إلهكم اله واحد لا اله إلا هو الرحمان الرحيم

و داخل المربع كتب :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله على محمد وآله

لا اله إلا الله

محمد رسول الله

ما أقرب فرج الله

الدينار الثاني خاص بعهد السلطان أبي تاشفين الأول 737/718 هـ /1318/م . وزنه 4.55 غ و طول قطره 31 مم ، في وجهيه الاثنان رسم مربعان: إحداهما خطي و الآخر بنقاط . ثم مربعان خطيان . و كتابات هذا الدينار كانت:

في الوجه الأول:

كتب في القطعة الدائرية

أمير المؤمنين عبد الرحمان بن الخلفاء الراشدين

و داخل المرجع كتب :

لا اله إلا الله

محمد رسول الله

ولا غالب إلا الله

و الأمر كله لله

ولا قوة إلا بالله

في الوجه الثاني:

كتب :

ضرب بمدينة تلمسان أبقاها الله تعالى للمسلمين

وكتب داخل المربع :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد و آله

و الحمد لله رب العالمين

و الشكر لله على نعمته

و الشكر لله يوم الدين

وفي دينار آخر لنفس السلطان نجد دائرتين و مربعين فعلى الوجه الأمامي كتب في داخل الدائرة . ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى و أمنها .

وفي داخل المربع من الوجه الأمامي كتب : " عن أمر عبد الله المتوكل على الله عند الرحمن أمير المسلمين أيده الله و نصره " أما الوجه الخلفي من الدائرة كتب الآية التالية : و إلهكم إله واحد - لا إله إلا هو - الرحمن الرحيم .

وكتب في المربع:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

ما أقرب فرج الله

ودينار آخر يعود إلى السلطان أبي العباس أحمد المعروف بالعاقل 834-
866 هـ ، كتب على الوجه الأمامي من الدائرة " الله " .

أما في داخل المربع من الوجه الأمامي فنجد " عن أمر عبد الله المعظم
بالله أمير المسلمين أبي العباس أحمد " .

وعلى الوجه الخلفي نجد أن ما كتب داخل الدائرة ممسوح .

أما في داخل المربع من الوجه الخلفي كتبت الآية الكريمة ومن يعتصم
بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم " .

ودينار آخر يعود إلى السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل على الله (866
/ 873 هـ) وزن 4.48 غ و طول قطره 34 مم ، رسم في وجهه الأول و الثاني
مربعان خطيان و كتب على الدينار :

على الوجه الأمامي في المربع داخل الدائرة " المتوكل على الله أمير
المسلمين ابن مولانا أبي زيان محمد أيده الله " .

وعلى الوجه الخلفي في المربع داخل الدائرة كتبت الآية الكريمة:

ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل
شيء قدرا " .

ودينار يعود إلى السلطان أبي عبد الله محمد (873-909 هـ) و وزن

1.05 غ و طول قطره 14 مم، وقد رسم في وجهيه دائرتان و مربعان و قد
كتب ما يلي :

في الوجه الأول :

في القطعة الدائرية كتب :

ضرب بمدينة تلمسان

وكتب في المربع :

أبو عبد

الله محمد

نصره الله

في الوجه الثاني (1)

في القطعة الدائرية كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

وكتب في المربع :

لا إله إلا

الله محمد

رسول الله

L'avoix (H) : catalogue des monnaies musulmanes , Espagne et Afrique T 3 P (1)

460-465.

انظر أيضا الدراحي ، نظم الحكم مرجع سابق ص 228-235 . انظر أيضا عبد لي لخضر ، مرجع سابق ص 71-

72 و أنظر أيضا . DHINA , les états , Op , cit P 211.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والتجارية بالسودان الغربي

أولاً: الحياة الاقتصادية

1- الفلاحة

أ- الزراعة

ب- الرعي و الثروة الحيوانية

2- الصناعة

أ- الثروة المعدنية

ب- الصناعة

ثانياً: أسواق السودان الغربي

ثالثاً: العملة

أولاً: الحياة الاقتصادية بالسودان الغربي .

1- الفلاحة

أ- الزراعة :

لقد عرفت الزراعة نشاطا ملحوظا في العديد من ممالك السودان الغربي كمملكة مالي الإسلامية في القرن 14م و مملكة سنغاي 15-16 الميلاديين ، ويرجع هذا النشاط إلى :

- خصوبة التربة

- عدوثة المياه

- اهتمام أغلبية السكان بالزراعة

لقد وجدت الزراعة تشجيعا من ملوك مالي و سنغاي لما تدره عليهم من أموال طائلة ساهمت في ازدهار اقتصادهم الذي كان يعتمد بالدرجة الأولى على التجارة الخارجية، ومن المحاصيل الزراعية التي اشتهر بها السودان الغربي الأرز والذرة ، و القمح و القطن. (1)

فكان الأرز من الأغذية الرئيسية (2) المختلفة فئات الشعب ، وهو بزراع بصورة خاصة حول نهر النيجر و روافده لما يتطلبه من سقي وفير ، ويذكر الرحالة الجغرافيون خاصة العرب أن الأرز كان عند السودانين بكميات وفيرة

(1) محمد عبد الغني سعودي ، الاقتصاد الإفريقي و التجارة الدولية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1973 ، ص 19 ، 20.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 696.

وقد ذكروا أن الأرز كان ينمو عندهم بربا . من غير سقاية أو رعاية (1) أما الذرة فكانت تمثل أيضا الغذاء الرئيسي لهم ولدواهم ، وكانت أسعار الذرة مناسبة إذ بلغ قيمة السبعين مدا بمدينة تكدا ما يساوي مثقالا واحدا من الذهب .

أما القمح كان يزرع بقلة ، وكانت الكميات التي تنتج منه ضئيلة و أكثر ما يوجد منه في البلاد كان يرد من الخارج و ثم يقتصر أكله على الطبقة الثرية (2) أما بقية السكان فلا تصل مستوياتهم المعيشية إليه ، ولذا كان حظهم منه ضئيلا جدا.

وكان الشعير يزرع في المناطق الشمالية المطلة على الصحراء و في الواحات و كان يشكل مادة أساسية لغذاء السكان ، أما في بقية المناطق الأخرى فأهميته أقل.

وكان الدخن يزرع في جميع جهات السودان الغربي خاصة في مملكة سنغاي، وكان يشكل الغذاء الرئيسي لدى السكان من سواد الشعب .

أما السورجو (3) كان يزرع حول نهر النيجر و زوافده فقط و كان يأتي في الدرجة الثانية بنسبة لغذاء السكان بعد الأرز و الدخن.

وهناك نبات يعرف باسم الفرقي يجني و يستعمل غذاء رئيسيا إذ يقومون بعد جنيه باستخراج حبوبه و هي بيضاء ، ثم يغسلونها و يطحنونها و يصنعون منها الخبز و الكسكسي و العصيدة .

(1) العمري ، مسلك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجلد الثالث، ص 491.

(2) عبد القادر زبادية، المرجع السابق ص 174 ، انظر أيضا الهادي ميروك الدالي، المرجع السابق، ص 68.

(3) هو نبات حباته تشبه الحمص و لكنها أرق منها و لوها أبيض تتخلله نقاط سوداء .

وكان السودانيون يزرعون أصنافا عديدة من الخضراوات كالبصل واللفت و البطيخ و الفقوس الذي وصفه ابن بطوطة بأنه لا مثيل له (1) . كما كثر لديهم نبات القرعة حيث استعملوها في غذائهم و صنعوا منها أدوات الأكل بتقسيمهما إلى نصفين و تجويفها من الداخل و عملوا منها على هيئة صحون زينوها بالنقوش و استخدموها في أغراضهم ، فذكر ابن بطوطة " القرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان، يقطعون القرعة نصفين ، فيصنعون منها جفنتين ، و ينقشونها نقشا حسنا ، وإذا سافر أحدهم يتبعه عبده وجواريه يحملون فرشته و أوانيها التي يأكل و يشرب فيها و هي من القرع" (2) .

كما وجدت بالسودان الغربي غابات كثيفة و بها العديد من أصناف الأشجار المثمرة و غير المثمرة . وقد استفاد منها أهل السودان الغربي استفادة عظيمة والأشجار المثمرة هي أشبه بالتفاح والمشمش والخوخ و ثمرة الأجاص وفيهما أشجار تثمر شبه الفقوس (3) فإذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق ، فيطبخونه ويأكلونه و يباع بالأسواق (4) .

كما كانت توجد أشجار الفواكه مثل الجميز ، و أشجار برية تعرف باسم " تادمون" لها ثمار طيبة المذاق وبداخل الثمرة دقيق لونه أبيض يشبه الحنطة طعمه لذيد، يستخدمونه إذا جف في الحناء (5) .

(1) ابن بطوطة ص 679 .

(2) نفسه ص 680 .

(3) نفسه ص 679 .

(4) نفسه ص 679 .

(5) الدالي، المرجع السابق، ص 70 .

أما النخيل فكانت مناطقه الأساسية الواحات الشمالية تومبوكتو و"ايولاتن"، و لم يكن المحصول من تماره يفي بحاجات السكان . و لذا كانت تستورد منه كميات هامة من دول الشمال خاصة من المغرب الأوسط (منطقة توات، بسكرة ...) .

وكانت الكروم و التين توجد بكميات لا بأس بها من أشجارهما ببلاد التكرور و المناطق القريبة من نهر النيجر .

و لم تكون المحاصيل منها لتفي بحاجات السكان ، ولذا فقد كان من التين الجفف و الزبيب من مستوردات بلاد السودان الخارجية و كانت أثمارها مرتفعة . أما أشجار الحمضيات فكانت توجد بكثرة ببلاد سنغاي سواء في الواحات الشمالية أو في المناطق الوسطى و الجنوبية حول نهر النيجر .

ب- الرعي و الثروة الحيوانية :

شكل الرعي نموذجاً اقتصادياً سائراً عبر المناطق الصحراوية و بلاد الساحل . اقتصت فيه قبائل معينة أهمها قبائل الفولانيين بالإضافة إلى القبائل البربرية والعربية التي اهتمت بالرعي و تربية الحيوانات الداجنة⁽¹⁾ و المواشي التي كان تستخدمها القبائل في أعمالها فتستفيد من أصواف قسم منها في الملابس و المسكن . كما كانت تتخذ من جلود بعضها ألبسة أو فراشا⁽²⁾ ، بعد دبغها

(1) الحيوانات غير الداجنة كانت توجد بكثرة ببلاد السودان خاصة بمنطقة الحشائش (الاستبس) التي كانت تمتد فيها بلاد سنغاي فقد كانت الفيلة بها موجودة ، وكان سكان بلاد السودان يستفيدون من الفيلة في تجارتهم فائدة كبيرة لاسيما في بيع أنيابها ، وقد انفرد الحسن الوزان بالحديث عن طريقة اصطيادها ببلاد السودان الغربي .

(2) ابن بطوطة ص 681 ، الدالي ، مملكة مالي ، المرجع السابق ، ص 71 ، عبد القادر زيارية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 174 .

أو صبغها في أغلب الأحيان . ومن بين هذه الحيوانات البقر و الإبل التي استفاد منها سكان بلاد السودان في عدة أمور ، فلعومها و لبنها غذاء لهم ، و وبرها وجلودها ارتدوها ملابس لهم ، كما استخدموها في ترحالهم لحمل بضائعهم وخزانات مياه أسفارهم الطويلة عبر الصحراء .

إضافة إلى ذلك فقد كثر لديهم الماعز ذات الأصناف الممتازة و كانت تربي في مناطق الشمال أكثر من مناطق الوسط والجنوب .

وقد كانت البغال قليلة في سنغاي على أيام الاسيقيين أما الحمير فكانت موجودة بكثرة .

أما الحيوانات البرية التي كانت تعيش في الغابات و البراري و الوديان فكانت تتمثل في حيوان اللمط ، و الفيلة و حمير الوحش و الجواميس البرية ، كما وجد بالسودان الغربي حيوان الزرافة التي كانت تصطاد و يأكل لحمها .

وكانت الطيور تمثل جانبا مهما في حياة سكان بلاد السودان الغربي (مالي، سنغاي) حيث كانت عندهم أصناف الطيور الداجنة و غير الداجنة .

فالطيور الداجنة تتمثل في الدجاج و الإوز و الحمام و استخدمت لحومها في غذائهم اليومي .

أما الطيور البرية فأبرزها طير النعام ، فقد ثبت وجودها بمناطق الصحراء غير أنها كانت قليلة و كان سكان السودان الغربي يصطادونها لشحومها ولريشها الذي كان تجارة مربحة كما كانوا يستخدمون بيضه للزينة و يباع بأثمان مرتفعة ، كما كانت شحومها من مواد الأدوية .

وكانت التماسيح⁽¹⁾ توجد بكثرة في نهر النيجر و في روافده ، وكان السكان يمارسون صيدها جماعات جماعات ، فيستفيدون من لحومها ، و يبيعون جلودها في الأسواق بأثمان مرتفعة بالإضافة إلى صيد التماسيح كان سكان السودان الغربي يصطادون الأسماك النهرية بكثرة ، يجففون قسما منها و يملحونه للادخار و كان أعلى أنواع السمك و أكثره قيمة في الأسواق هو سمك العنبر⁽²⁾ .

ما يمكن استنتاجه هو أن الحيوانات الداجنة كانت تمثل المصدر الثاني لحياة السودان الغربي بعد الزراعة و هي بذلك تشكل الميدان الثاني لنشاطهم أيضا .

2- الصناعات:

أ- الثروة المعدنية :

كان لبلاد السودان الغربي ثروة معدنية لا بأس بها تتمثل في الذهب (التير) و النحاس فكان يوجد الذهب في الجهات الجنوبية من مملكة مالي منطقة و نقارة⁽³⁾ و لقد استغل ملوك السودان الغربي تلك المناجم مما درّ عليهم ربي

(1) هو حيوان خبيث يؤدي كثيرا و يبلغ طوله اثني عشر ذراعا، و طول ذنبه بقدر طول سائر جسده إلا أنه من النادر العثور عليه، له أربعة أرجل و شكله تماما شكل الوزع ، ولا يتعدى لوه ذراعا و نصفا ، و ذنبه مؤلف من سلسلة حلقات ، و جلده صلب لدرجة أنه لا يمكن أن تخترقه قذيفة قوية . انظر حسن الوزان و صف إفريقيا ص 271 ، ماومول إفريقيا ج 1 ، ص 81 .

(2) يقول حسن الوزان عن سمك العنبر : هو سمك مربع فظيع في شكله و حجمه ، و لا يرى أبدا إلا ميتا ، لأن البحر يقذف به على الشاطئ و رأسه صلب جدا كأنه من حجر و منه ما يبلغ طوله خمسة و عشرين ذراعا أو أكثر ، و هذا السمك يفرز العنبر انظر حسن الوزان ، و صف إفريقيا ص 269 .

(3) و نقارة أو وانكرة ، أو نكارا ، هو إقليم شاسع الأطراف ، عديدة السكان متاحم لإقليم زنفري من جهة الجنوب الشرقي ، في هذه البلاد ، مدينة ميسورة تحمل اسم الإقليم ... ، فلا يوجد به إلا قرى منازلها قبيحة الهيئة و شبيهة بالأكواخ ، يمارس سكان التجارة الداخلية و المبادلات التجارية مع البلدان الأخرى ذلك ما يرجع

كثيرا، حيث صارت مضربا للأمثال في الغنى وقد وصلت شهرتها إلى أوروبا على أنها أكثر مناطق إفريقيا استخراجا للذهب ، ولقد ذكر أن السلطان منسبا موسى عندما سئل عن معدن الذهب إبان زيارته لمصر ، ذكر أن هذا المعدن يتكون من نوعين :

" نوع من زمان الربيع ينبت في الصحراء له ورق شبيه بأوراق النخيل أصوله التبر، و الثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفاف مجاري النيل (نهر النيجر) ، تحضر هناك حفائر ، فيوجد فيها الذهب كالحجارة و الحصى، فيؤخذ، قال : و كلاهما هو المسمى بالتبر ثم قال : والأول أفحل في العيار وأفضل في القيمة ... و ذكر أيضا أنه يحضر في معادن مجتمعا في أسفل الحفيرة ... و أن النوع الأول من الذهب يوجد في زمن الربيع عقيب الأمطار ينبت في مواقعها ، و الثاني يوجد في جميع السنة على ضفاف مجاري النيل ... إن نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (غشت) حيث سلطان الشمس قاهر و ذلك عندما أخذ النيل في ارتفاع و الزيادة ، فإذا انحط النيل حيث ركب عليه ن الأرض فيوجد منه ما هو نبات يشبه النخيل و ليس به ، ومنه ما يوجد كالحصى فذهل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل ، (1)

أما معدن النحاس فقد أمدنا ابن بطوطة بمعلومات هامة حيث ذكر : ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض ، و يأتون به إلى البلد ، فيسبكونه في دورهم ، يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، فإذا سبكوه نحاسا أحمرأ صنعوا منه

عليهم بأرباح طائلة تفسير ما لهم من ثروات ، انظر حسن الوزان ، وصف إفريقيا ص 174، انظر أيضا مارمول ، إفريقيا ، ص 209.

(1) القلقشندي ، ج 5 ، ص 290.

قضبانا في طول شبر و نصف ، بعضها رقاق و بعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمئة قضيب بمئقال ذهب ، و تباع الرقاق بحساب ستمائة و سبعمائة بمئقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم و الحطب ، و يشترون بغلاظها العبيد و الخدم و الذرة و السمن و القمح و يحمل النحاس إلى مدينة كوبر⁽¹⁾ من بلاد الكفار و إلى زغاي ، و إلى بلاد برنو وهي على مسيرة أربعين يوما من تكدا⁽²⁾ .

و بخصوص معدن الملح فيعتبر من المعادن الهامة مع أن إنتاجهم منه لم يكن يكفي استهلاكهم ، و لذا فقد كانوا يستوردون كميات كبيرة من الشمال الإفريقي (المغرب الأوسط خاصة) ، و هذا ما جعل ثمنه مرتفعا جدا و كانت مناجم الملح في سيخه تاودني و أبو جليل و لم تكن كافية ببلاد السودان ، و عليه أدت تجارة الملح بين ممالك السودان الغربي و الشمال الإفريقي دورا هاما في العلاقات التجارية بين الإقليميين .

ب- الصناعات التقليدية :

كانت الصناعة التقليدية بالسودان الغربي عبارة عن مجموعات حرفية تخصصت فيها بعض القبائل و الفئات الاجتماعية كالحداة بالنسبة لشعب

(1) يقع إقليم كوبر غرب مدينة غاو يوجد عنها بنحو مائة فرسخ ، و كان يسكن هذا الإقليم ما يقارب من عشر

آلاف أسرة ، أنظر مارمول ج ص 206 ، حسن الوزان ، ص 170 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697 ، 698 .

الصوصو، و استخراج المعادن بالنسبة لسكان غالم و بوري و بامبوك ، وصناعة النعال و الدروع من جلد اللط و الحياكة إلى غير ذلك .⁽¹⁾

وإذ تكلمنا عن مملكة سنغاي و التي كانت لها صلات تجارية بلدان الشمال ، فكانت تولى أهمية كبيرة للصناعات التقليدية فكانت أهم المواد التي تصنع بها على أيام الاسيقيين الأقمشة التي كانت صناعتها منتشرة بكثرة في مدن بلاد سنغاي على أيام الاسيقيين و لكنها كانت في شكل حياكة باليد فمن بين المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة تومبوكتو فقد اشتهرت بدكاكين كثيرة للصناع والتجار⁽²⁾ ، فقد عدد حسن الوزان في تمبوكتو وحدها للخياطين وجود أكثر من ستة و عشرين دكانا، و في كل واحد منها كان يوجد بين خمسين ومائة متعلم ، و من بين مدن السودان الغربي التي اشتهرت بصناعة الأقمشة مدينة غاو التي كانت تصدر قسم هام منها إلى مشارف الصحراء الجنوبية .

أما صناعة الألبسة و الزرابي من الصوف و الشعر و الوبر فقد عرفت في السودان قبل ذلك ، وكانت لا تزال موجودة بكثرة في مملكة سنغاي على أيام الاسيقيين.

و كان صانعو الأقمشة في الغالب يجمعون إلى ذلك الصباغة بأنفسهم ، و لكن كان يوجد إلى جانبهم بعض الذين تخصصوا في فن الصباغة وحده، وكانت الألوان أكثرها خمرًا أو زرقاء أو سوداء ، و قليل منها صفراء

(1) صالح الصادق السباني ، مملكة كانو - برنو و علاقتها بأقطار الشمال من القرن 3 إلى 10 الهجري 1988 ، ص 181.

(2) عبد القادر زيادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 191.

وخضراء، وكان الصباغون يستعملون في تجسيمها أوراق النباتات و يضيفون إليها في الغالب الشب و الملح .

وكانت صناعة المجوهرات تعتمد على الذهب و النحاس ، و كانوا يصنعون من هذين المعدنين أساور و أعمدة للسيوف و الرماح و كنت صناعة الخناجر و السيوف و بعض الدروع و الخوذات و الرماح و الفؤوس و حدائد الخيل و المطارق و الإبر منتشرة بالسودان الغربي عامة و على عهد مملكة سنغاي أيام الاسيقيين و التي كانت تتوفر على مناجم الحديد ، إذ كانت تستخرج منه كميات وفيرة و لذا كانت تكاثرت الصناعات المعتمدة على مادته.

وكانت صناعة الفخار مزدهرة ازدهارا كبيرا و أهم و كان يصنع من الفخار : الجرار و أوان للشرب و الأكل و كانوا ينقشونها و ينمقونها بالألوان أحيانا كثيرة و كانت صناعتها تتم يدويا ، ثم يشوي الإناء بعد صنعه و تحفيفه ليزداد صلابته . (1)

ولقد اشتهرت بلاد السودان الغربي بصناعة الجلد و كان غالبا ما يصنع من الجلد المخالي ، والأكياس و السججلات و السروج و الصنادل و الأجمة ، وصناعة الأحذية كالتي كان ينتعلها الرومان في القديم و كانت الدباغة منتشرة كحرفة ، و كان يتخذ لها نباتات محلية عديدة ، وكذا قشور الرمان و الأملاح ، أما طريقتها فكانت تعتمد على الغلي و النقع.

(1) حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، المصدر السابق ، ص 171.

ومن بين المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة تومبوكتو التي اشتهر سكانها ببعض الحرف كالحدادة و الدباغة و غيرها .⁽¹⁾

ثانيا : أسواق السودان الغربي .

ارتبطت العواصم الإسلامية (القاهرة ، ورجلان ، القيروان ، تلمسان ، فاس ، مراكش ...) في تجارتها بالسودان الغربي لما كانت تتمتع به من غنى خاصة في معدن الذهب فاتصلت بها بطرق تجارية متعددة مستغلة بذلك الطرق القديمة ، وأغلب هذه الطرق ينتجه صوب السودان الغربي و أقلها يتجه صوب السودان الأوسط (بورنوكانم) و كنت الثوافل المنطلقة من العواصم المذكورة تتوخى أسواق السودان الغربي الكبيرة محملة بالبضائع و السلع المختلفة قصد مقايضتها بسلع أخرى خاصة بمعدن الذهب ، و الرقيق، و أهم هته الأسواق :

- تادمكت :

كانت تادمكت من أحسن الأسواق التي أمّها الوردجلاونيون والقيروانيون ، و يحدد البكري المسافة بين تامكت و ورجلان و غيرها بقوله : " فإذا أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما . إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى " أغرم أن يكامن " أي حصن العهود " .⁽²⁾ وكان أهم طريق يربط السودان الغربي بالشمال الإفريقي في القرن التاسع الميلادي⁽³⁾ ويصف لنا البكري مدينة تادمكت بأنها مدينة كبيرة

(1) الدالي ، مملكة مالي ، المرجع السابق، ص 94 .

(2) البكري ، المغرب ، ص 182 .

(3) جودت عبد الكريم ، المرجع السابق، ص 182 .

بين جبال وشعاب و هي أحسن بناء من مدينة غانة ، ومدينة كوكوا ، وأن اسمها تادمكة يعني هيئة مكة .⁽¹⁾

- غاؤ

وتوجد جنوب مدينة تادمكت غاؤ أو جوجو أو كوكو و هي تبعد بتسع مراحل جنوب تادمكت⁽²⁾ ، وهي مدينة كبيرة على نهر ينبع من الجبال⁽³⁾ . وكان الطريق الصاعد منها شمالا يتفرع إلى فرعين الأيمن يتجه نحو وارجلان والأيسر يتجه نحو سجلماسة، أما الطريق العرضي فالمتجه منها شرقا يصل إلى تاكدة و كانم ، و المتجه غربا يصل إلى زاغاري ومنها إلى غانة و بلاد التكرور ، إلى مدينة غانة و لأهمية موقعها كانت ممالك السودان الغربي كلها تخضع لملكها وهذا ما ذهب إليه اليعقوبي إذ ذكر أن مملكة كوكو كانت من أعظم ممالك السودان، و أجلها قدرا و أعظمها أمرا ، و كل الممالك تعطى لملكها الطاعة⁽⁴⁾ .

كان ينعم أهل غاؤ بثناء نسي ، و يشتغلون التجارة في كثير من الجهات الإفريقية و كثير من تجارهم يأتون من المناطق الداخلية بالذهب الذي يستبدلونه بالبضائع المستوردة من بلاد البربر⁽⁵⁾ .

وتشتهر مدينة غاؤ بسوقها الأسبوعي ، يباع فيه العبيد بأثمان بخسة ، لا يتجاوز ثمن العبد الشاب أو الأمة الشابة ستة عشر درهما⁽¹⁾ .

(1) البكري ، المغرب ، ص 180 .

(2) نفسه ، المغرب ، ص 183 .

(3) ابن خلدون ، العبر ، ج 1 ص 93 .

(4) اليعقوبي تاريخ ج 1 ، ص 168 .

(5) مارمول كرجال ، إفريقيا ، ج 3 ، ص 204 .

- تمبوكتو:

يسمى هذا الإقليم باسم عاصمته تمبوكتو التي بنيت من قبل الملك منسا سليمان حوالي عام 610 هـ / 1200م و لا تبعد هذه المدينة عن ضفاف نهر النيجر إلا بنحو أربعة فراسخ⁽²⁾ و تعد مدينة تمبوكتو حلقة وصل بين السودان الغربي و الصحراء الكبرى ، فهي لا تبعد عن قرية ولاته إلا بخمسة عشر يوماً ، و تبعد عن مدينة غار نحو اثنتي عشر محلة عن جهة الشرق.

لقد كانت تزخر تمبوكتو بكثير من الدكاكين للتجارة و الصناع و أهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلوها بثياب مصنوعة في أوروبا يأتي بها تجار من بلاد البربر ، فالتجارة كانت تمثل بالدرجة الأولى المصدر الرئيسي في حياة السكان، وكانت تمثل الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية في مدينة تمبوكتو ، وقد أدت دورا هاما في ازدهارها اقتصاديا و اجتماعيا و حضاريا فتوافد عليها التجار من كل حذب و صوب و خاصة من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى ، وفي بادئ الأمر كان تجار الشمال الإفريقي يتوافدون على مدينة ولاته التي كانت في تلك الفترة مركزا تجاريا مرموقا قبل ظهور تمبوكتو ، حيث توافد عليها جل تجار صنهاجة (مسوفة ، جدالة ، لتونة) كما توافد عليها تجار من فزان ، و غدامس و وارجلان و طرابلس يحملون بضائعهم إلى تمبوكتو ويقايضونها بالذهب و ناب الفيل و ريش النعام و بخور السودان ، و العبيد فقد

(1) نفسه ، ص 205.

(2) حسن الوزان ، ج 2 ص 165، الهادي المبروك البالي ، مملكة ، المرجع السابق، ص 12.

بلغ تعداد القوافل التجارية القادمة من مملكة مالي الإسلامية في القرن الثامن (751هـ / 1350م) اثني عشر ألف جمل (1).

- تغازا:

تغازا . هناك اختلاف في تسميتها فمنهم من يطلق عليها بتغازا ومنهم من تغزة وهي مدينة مؤهولة بالسكان موقعها متوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة (2) تشتهر بمعدن الملح الغالي الثمن في أسواق السودان الغربي ومناجم الملح بهذه المدينة تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملح منحفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج الملح وذكر الوزان أن هؤلاء المستخدمون ليسوا من سكان البلدة بل هم من أصل أجنبي يأتون مع القوافل و يقيمون هنا يستخرجون الملح و يحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتره منهم " (3).

وكان الملح يحمل إلى تومبوكتو التي كان يعوزها الملح كثيرا و لقد اعتمد أهل تغازا في قوتهم و مئونتهم على ما حملة لهم التجار خاصة من مدينتي تمبوكتو ودرعة اللتين تبعدان عنها بحوالي عشرين يوما و كانت تعد هذه المدينة محطة القوافل القادمة من سجلماسة (4) و توات و طرابلس و غدامس .

(1) نعم قدامس ، إفريقية ، المرجع السابق، ص 55.

(2) حسن الوزان ، ج 2 ، ص 108.

(3) نفسه ص 108.

(4) تبعد تغازا عن مدينة سجلماسة بحوالي خمسة و عشرين يوما .

جني :

تقع مدينة جني إلى الجنوب من مدينة تومبوكتو على نهر النيجر و هي معاصرة في تاريخها لمدينة تومبوكتو و ظهر أمرها في القرن الثاني عشر ، و هي مركز هام ، كانت تتجمع فيه تجارة النيجر ، و تقع مدينة جني في سهل فسيح كان حصنا دفاعيا لها ضد الهجمات الأجنبية ، و حين بدأ ازدهار تومبوكتو صارت " جني " مكانا لالتقاء التجار للتبادل التجاري بينهم ، و أصبحت القوارب تحمل إليها البضائع من تومبوكتو باستمرار فتجد فيها رواجاً ، حيث أن تجار الجنوب يأتون جني ليأخذوا ما يحتاجونه من بضائع الشمال و يبيعون لتجار العبيد كما يبادلونهم بالذهب .

أودغست :

هي واحة تقع على بعد إحدى وخمسين مرحلة جنوب مدينة سجلماسة⁽¹⁾ ، و اثني عشر مرحلة شمال غرب غانة ، و استقطبت طرق التجارة منذ القرن الثالث و الخامس الهجريين . وقد وصفها البكري بقوله: أودغست وهي مدينة كبيرة أهلها ... و "سوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه بكثرة جمعه و ضوضاء أهله و تباعهم بالتبر و ليست عندهم فضة و بها مبان حسنة و منازل رفيعة ... " ⁽²⁾ و كان يتجهز إلى أوغست بالنحاس المصنوع و بثياب مصبغة بالحمراء و الزرقة و كان يجلب منها

(1) البكري ، ص 159.

(2) نفسه ، ص 158.

العنبر المخلوق الجيد و الذهب الإبريز الخالص خيوطا و قد ذكر البكري أن ذهب أودغست أجود من ذهب أهل الأرض. (1)

لقد لعبت أدرغست دورا هاما كسوق و كمحطة هامة للقوافل القادمة من الشمال . (2)

غانة :

فقد ذكر البكري أن غانة مدينتان سهلتان أحدهما التي يسكنها المسلمون و هي مدينة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه و لها الايمة والمؤذنون والراتبون و فيها فقهاء و حملة علم و حوالها أبار عذبة منها يشربون و عليها يعتلمون الخضروات ... " (3) و يشير أيضا أن المدينة قد وصلت إلى رقي عظيم ، و يذكر أن المسلمين كانوا يقطنون أحد المدينتين المشكلتين لغانة بينما سيكن في القسم الثاني الوثنيون من أهل البلاد ، و يسمى القسم الوثني عند المسلمين بالغانة لأنه عبارة عن أكواخ موزعة بين الأحرش . أما القسم الأول كان مبنيا على طراز مدن المغرب الإسلامي . (4)

ويرجع تأسيس مدينة غانة إلى القرن الرابع الميلادي من قبل جماعة من البيض وقد عرفت ضربات قاسية من قبل المرابطين في العقد الثاني من القرن 11 م . كانت مدينة غانة هي أرض التبر الجيد المشهور ، و عرفت بهذه المنطقة مدينة كومي صالح على طريق التجارة بين شمال إفريقيا و السودان الغربي .

(1) نفسه، ص 158.

(2) نفسه، ص 159.

(3) البكري، ص 174.

(4) نفسه، ص 174، نعيم، قدام المرجع السابق، ص 31.

- ولاتنه (ايولاتن)

تأسست مدينة ايولاتن سنة 1224م و تقع شمال غانة على طريق القوافل القادمة من سجلماسة ، على مسيرة حوالي شهرين منها (1) ، وهي تبعد عن تومبوكتو غربا بـ 450 كلم ، و عن المحيط الأطلسي ، شرقا بحوالي 900 كلم ، وأغلب سكان ايولاتن من مسوفة (2) ، الذين كانوا يمتنون مهنة مرشدي القوافل التجارية في الصحراء و يقدمون لها الخدمات الضرورية ، و قد استقر بها اثنان من أسرة المقرئ هما عبد الواحد و علي وذلك في النصف الأول من القرن الثامن للهجري الرابع عشر للميلادي اللذان اتصلا سلطان مالي منسا موسى 1307-1332.

كانت مدينة ايولاتن سوقا يقصده التجار المغاربة و منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري و بداية القرن التاسع الهجري (14 و 15م) أخذت ايولاتن تفقد قوتها التجارية بعدما تحلى عنها التجار المغاربة و التوجه نحو أسواق تمبوكتو وغاو...

- توات :

يتشكل إقليم توات على ما يزيد عن الثلاثمائة و خمسين من القصور والواحات المتناثرة . لقد ازدهرت واحات توات اقتصاديا إذ كانت تستقطب

(1) بشاري لطيفة ، المرجع السابق، ص 66.

(2) كانت ولاته أول مدينة سودانية وصلها ابن بطوطة ، ويقول عنها : "... و بلدة ايولاتن شديدة الحرّ و فيها يسير نخيلات يزرعون في ظلها البطيخ و ماؤهم من أحساءها و لحم الضأن كثير بها ، و ثياب أهلها حسان مصرية و أكثر السكان بها من مسوفة و لنسائهم الجمال الفائق و من أعظم شأن من الرجال ... " أنظر ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 677.

القوافل القادمة من المغرب الأوسط (تلمسان) و المتوجهة نحو أسواق مالي و التجار الذين كانوا ينشطون ما بين سجلماسة و ايواتن. وكان التجار يتزودون في توات بما يحتاجونه من غذاء و ماء و تسويق لمنتجاتهم¹ ، و لقد تحدث ابن خلدون عن دور توات في المبادلات التجارية و أهمية موقعها في ذلك فيقول : " وطن توات ... وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار إلى مالي ، و بينه و بين تغمر مالي المسمى " غار المفازة المجهلة " لا يهتدي فيها للسبل ، ولا يمر الوارد إلا بالدليل .. من المثلثين الطواعن في ذلك القفر يستأجره التجار .. (2) ، و من بين قصور توات المشهورة قصر تُسبِتُ إذ يقول عنه حسن الوزان " إقليم مأهول في صحراء نوميديا على نحو مائتين و خمسين ميلا شرق سجلماسة و مائة ميل من الأطلس ، يضم أربعة قصور و قرى عديدة في تخوم ليبيا ، على الطريق المؤدي من فاس و تلمسان إلى مملكة أكاذ في بلاد السودان " (3) . و من قصور توات أيضا قصر تيقورارين⁽⁴⁾ وقال عنه حسن الوزان " تيقورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا ، بعيدة بنحو مائة و عشرين ميلا عن شرق تسبيت ، حيث يوجد ما يقارب من خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية و بها حدائق النخيل . و سكان هذا القصر أغنياء لأنهم اعتادوا الذهب

(1) حوتية محمد ، توات و القوافل التجارية ، مجلة طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل

التاريخ ، الجزائر 2001 ، ص 35.

(2) ابن خلدون ، ج 7 ص 118.

(3) حسن الوزان ج 2 ص 133.

(4) معناه بالبربرية المعسكرات

الذهب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان وهنا مجمع القوافل ، لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ، ثم يذهبون جميعا. (1)

وقيل أيضا عن توات و تيقورارين أنها من أعظم أقطار المعمورة بما جمعاه من الأمم و القصور أولها أقرب إلى السودان و الثاني يعد من أعظم و أضخم أقاليم المغرب فقد كان أمام المنصور الذهبي سلطان السعديين في غزوه بمملكة سنغاي طريقين للوصول إلى السودان أولها توات و تيقورارين في الجنوب الشرقي والآخر عبر الصحراء الجنوبي إلا أنه فضل الطريق الأول شعورا بأهميتها. فالقطرات عالم من عوالم الأرض و إقليم من أقاليم الدنيا لما جمعاه من الأمم وتراكم من القصور وأهل من العمران و تتخلله من العيون ذات الآبار و النخيل المرخي على أكنافه جناحا من الليل الدامس زيادة عن ذلك أهمية طرقها في التجارة بين بلاد المغرب والأقطار الإفريقية . (2)

لقد ظلت توات لفترات طويلة همزة وصل بين الشمال والجنوب ، بين المغرب الأوسط و السودان الغربي. فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلدان المغرب الإسلامي ، فكانت القوافل التجارية تتخذ طرقا مختلفة كالطريق المستعمل كثيرا من قبل تجار منطقة جريد التونسية و يمر عبر منطقتي ورقلة وتوات ليصل إلى بلاد النيجر ، أما الطريق الآخر فهو الرابط بين تلمسان سجلماسة توات ، ولقد اشتغل أهل توات كتجار وسطاء فكانوا يستقبلون

(1) نفس المصدر ، ص 133.

(2) الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز) ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، الرباط 1972م، ص

السلع القادمة من الشمال⁽¹⁾ و التجهيز بها نحو أسواق السودان الغربي ، فالقافلة التواتية كانت تضم عدة رجال من أطباء عارفين بالأعشاب المفيدة لبعض الأمراض أثناء السفر ، ومن الفقهاء المتفقيين في أمور الشرع ، و الحراس المكلفين بحراسة القافلة ومرشدين لهم معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية الوعرة ودراية بالنجوم ، وكانت القوافل التواتية تقصد أسواق السودان الغربي كتمبوكتو ، جني و غاو .

كان لأسواق توات تمطيط ، عين صالح ، تيميمون دور هام في استقبال بضائع قوافل الشمال و توزيعها على مختلف أسواق السودان الغربي مقابل شراء العبيد والذهب الخام (التبر) و ريش النعام و العاج أما عن منتجات التواتية فكان الطلب عليها شديد من قبل السودانيين ومن بينها التمور ، والحناء و الطباق التبغ، الملح و العطور و القمح و الزيت و المنسوجات.

لقد نشأت عدة مدن على الخط الرابط بين أسواق توات و أسواق تومبوكتو وهي أروان ، مبروك و إفركان و تيمساو، و أرنان ، و تاودين ، و ووالون، و تير شيومين، و أقبلي.⁽²⁾

لقد كان للتجار التواتيين دور في تمكين الأفارقة الوثنيين من اعتناق الإسلام بمعاملتهم النقية الحسنة و أمانتهم الطاهرة، فقد كان لحركة القوافل بين حواضر الصحراء و بلاد السودان أثر كبير في التواصل الروحي بين توات و العديد من

(1) فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1977 ص 15 .

(2) كرمي ماجدة ، العلاقات بين المغرب و السودان في العصر المريني ، رسالة لنيل الدبلوم العالي في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1987 - 1988 . ص 75-79

حواضر السودان الغربي كتومبوكتو، جني ، و غاو ... ، فقد اسهموا في بناء المساجد و الزوايا و التعليم في المدارس و المعاهد العليا .

ثالثا : العمل .

أشار حسن الوزان أنه ببلاد السودان الغربي كان الناس يستعملون قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة (1) ، وقد استعملوا بالإضافة إلى برادة الذهب ، النحاس أيضا ، كما كانوا يتعاملون بالمقايضة العينية على نطاق واسع ولكن التبادل لم تكن لتشمل البضائع جميعها ، و إنما كانت تشمل البضائع المرتفعة الأثمان وحدها تقريبا ، كالمالح الذي اعتبر نقودا في السودان . وتليه في ذلك الأقمشة و الخيول و العبيد (2) ، و ذكر ابن بطوطة أن مادة الملح كانت مادة أساسية في المبادلات التجارية بين دول الشمال و الجنوب ، ويشير ابن بطوطة إلى قيمته النقدية في السودان الغربي " وبالمالح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب و الفضة يقطعونه قطعاً و يتبايعون به " (3) .

وقد استعمل أهالي السودان الغربي الودع لشراء الأشياء التافهة وهو عبارة عن صدف مستورد من بلاد فارس ، وكانت تساوي أربعمائة منه مثقالا واحدا ، و تساوي الأوقية الرومانية من الذهب عندهم ستة مثقال وثلثي مثقال

(1) حسن الوزان ج 2 ، المصدر السابق ، ص 167 .

(2) عبد القادر زيادية ، دولة سنغاي ، مرجع سابق ص 201 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674 .

(1) وقد بقي التعامل بالودع قائما في مختلف مناطق السودان الغربي حتى سنة 1900 (2)

(1) حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 167.

(2) عبد القادر زيادية ، دولة سنغاي ، المرجع السابق، ص 209.

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية والتجارية بين المغرب

الأوسط والسودان الغربي

أولاً: المسالك التجارية بين الإقليمين.

ثانياً: نظام سير القوافل.

ثالثاً: المكاييد و الموازين المستعملة في المغرب

الأوسط والسودان الغربي.

رابعاً: السلع والبضائع المتبادلة بين الإقليمين.

تمهيد :

لقد كانت الروابط التجارية بين السودان الغربي وبلاد المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة تعود إلى أزمنة تاريخية قديمة* ، فقد كانت قوافل قرطاجة تقطع الصحراء لجلب الذهب و العبيد و العاج في مقابل المنسوجات و النحاس و الأدوات المصنعة . و ظل هذا التواصل قائما في العهد اليوناني و الروماني ثم البيزنطي⁽¹⁾ ، و بعد الفتح الإسلامي للمغرب تولى سكانه تأمين أسواق السودان الكبرى و عملوا على تنظيم المواصلات مع بلاد السودان و على أساس تجاري فكانت أهم الطرق التجارية في القرن الثامن تتجه باتجاه شمال - شرق و جنوب غرب منطقة من واحات مصر و من جنوب إفريقيا نحو حلقة النيجر ، و قد عرف القرن التاسع و النصف الأول من القرن العاشر تكثيف المبادلات التجارية بين المنطقتين و ستوضع الأسس الدائمة لها و المتمثلة في مقايضة الملح بالذهب⁽²⁾ و لقد ظهرت هذه الطريقة على ما يبدو مع الفاطميين الذين سيستغلون بانتظام علاقتهم التجارية للحصول على الذهب الضروري لسياستهم عن طريق الطريقة الرابط بين المغرب و الأوسط و السودان الغربي عن طريق سجلماسة تفاديا للطريق الرابط بين ورجلان - توات - السودان الذي كان بيد الاباضين .

* انظر الملحق رقم -10-11-12-13-14-15.

(1) Djehan desanges, remarques critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le mande phenico- punique in actes du deuxième congrès inter national d'étude des cultures de la méditerranée occidentale II SNED, Alger , 1978 PP.52.57.

(2) محمد الشريف ، ابن بطوطة و أزمة التجارة الصحراوية في القرن الرابع عشر ، منشورات مدرسة فهذا العليا

لترجمة طنجة 1993 ، ص 128 .

ولقد ظل هذا الاتصال غير منتظم مدة طويلة ، إلى القرن العاشر الميلادي ، حيث حدث تطور في هذا المجال لسببين هامين:

يتمثل الأول في قطع الرحلات التي كانت تتم عبر محور شمال شرق - جنوب غرب ، بين واحات مصر و جنوب تونس وبين مصب نهر النيل (النيجر) (1) لما كان التجار يعانون من قسوة الظروف المناخية ، وهجمات الأعراب على قوافلهم، أما الأمر الثاني فيتمثل في تأسيس دولة المرابطين التي كان لها الفضل في إقامة علاقات جديدة بين منطقة غرب بلاد المغرب و الصحراء ، الأمر الذي أدى المغاربة إلى التعرف على بلاد السودان سنة 480هـ/987م. لقد نتج عن تغيير طرق الرحلات التجارية ، وقيام دولة المرابطين ، ظهور تبادل تجاري منتظم بين المناطق الغربية لبلاد المغرب الإسلامي و بين السودان الغربي، وقد أصبح المغرب الأوسط أهم منطقة لها علاقات تجارية بممالك السودان الغربي خاصة في عهد دولة مالي الإسلامية و سنغاي في عهد الاسبقين . و مما ساعد على نمو الحركة التجارية بالمغرب الأوسط ، وما حدث في تلك الأثناء من تأسيس المدن ، مثل تاهرت و تنس و سوق إبراهيم و سوق حمزة و وهران و جراوة و سجلماسة (2) التي كانت محطة هامة للتجار المغاربة ومنها يسرون إلى غانة

(1) Lombard (M) , L'islam dans sa première grandeur 1971 P 223.

(2) سجلماسة مدينة قديمة ، ترجع بعض الروايات بناءها إلى أحد الضباط الرومان ، الذي قدم من موريتانيا واستولى على نوميديا بأكملها وزحف بجنوده حتى وصل إلى المكان الذي يعتبر مدخل نهر زيز إلى هذا الإقليم ، وبنى مدينة " ماسة " ، ثم سماها " سجلماسة " التي تعني في اللغة اللاتينية " حاتم النصر " ، تقع مدينة سجلماسة في سهل بجانب نهر زيز ، ولها أسوار عالية وجميلة سارالت آثارها قائمة . كانت هذه المدينة زناتية قبل أن يستولي عليها يوسف بن تاشفين و كانت غنية . انظر مارمول ، إفريقيا ص 153 ، 154، انظر أيضا حسن الوزان ص

فيقطعون المسافة في ثلاثة أشهر ذهابا و شهر ونصف إيابا ، وهذا يدل على أن عامة بني واسول كانت محطة لتجمع القوافل ⁽¹⁾ التي كانت تتجه نحو بلاد السودان بالملح و غيره من السلع ثم تعود بالذهب و غير ذلك .

أولا : المسالك النجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي .

لقد لعبت تلمسان دورا بارزا في الحركة التجارية نحو بلاد السودان لاسيما في العهد الموحد ⁽²⁾ بحكم موقعها الجغرافي و سبب وجود طرق مختصرة بينها و بين بلاد السودان ، و عندما سقطت الدولة الموحدية خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين (13،14م) حلت المبادرات الخاصة محل المبادرات الرسمية في حماية التجارة التي بقيت نشطة عبر الصحراء رغم المشاكل المتعددة التي كانت تواجهها ⁽³⁾ .

وفي عهد دولة بني زيان كانت التجارة تتم عن طريق القوافل ، و يذكر عبد الرحمان بن خلدون أن القوافل التي كانت تمر على أيامه (أواخر القرن الرابع عشر الميلادي بالهقار كان عدد جمالها يبلغ اثني عشر ألف جمل في أحيان كثيرة ، و كانت القوافل التجارية إلى السودان الغربي تخترق الصحراء من جميع

وقال ابن سعيد عن سحلماسة و خيرها ما يلي " و هي كثيرة العمارة كثيرة البساتين ، رائعة البقاع ، ذات منازل رفيعة و عمارات متصلة ، على نهر كثير الماء يأتي من جهة المشرق من الصحراء ، يزيد في الصيف كزيادة النيل ، و يزرع على مائه كما يزرع ماء النيل و الزرع عليه كثير الإصابة ، أنظر الفلقشدي مصدر سابق ص 163-164 .

(1) حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام ، المرجع السابق ، ص

(2) عبد الحميد حاجيات ، المحلة العربية للثقافة عدد 5 سبتمبر 1983 الالسكو ، تونس ،

(3) Pérès , les relations entre le ta filet et le soudan , mélanges emile felix gautier

tours 1937.

جوانبها ، أما اتجاهها فشمال إلى جنوب وبالعكس ، وأهم المسالك التي كانت تربط بلاد المغرب الأوسط و السودان الغربي عديدة غير أن المشهور منها هي :

- 1- من سجلماسة ، ينطلق إلى والاته ومنها إلى تومبوكتو وجني و غاو
- 2- من تلمسان يمر هذا الطريق بغرداية و توات⁽¹⁾ و ينتهي إلى تومبوكتو .
- 3- من تقرت و ورقلة ، ينطلق طريق آخر إلى غاو مباشرة وهذا الطريق يتصل شمالا ببضائع المواني الجزائرية الهامة في الشمال ، مثل جزائر بن مزغنة و بجاية وغيرهما .
- 4- من واحة الجريد في جنوب تونس ، ينطلق طريق غالبا ما تمر قوافله بورقلة و سوف و غدامس .
- 5- من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ، ينطلق طريق يمر بغدامس و يمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو و غاو .
- 6- وينطلق من مصر طريق بواحة سيوة و بزويلة و تادمكة و ينتهي إلى غاو تومبوكتو .

وكانت هناك مسالك أخرى هامة تربط توات بجنوب الصحراء و بلاد السودان الغربي، فكانت تربط توات انطلاقا من تيدكلت بأهم المراكز التجارية على نهر النيجر ، وأهم المسالك التي بقيت مستعملة من طرف القوافل إلى نهاية القرن

(1) لقد كانت تشكل توات من عدة واحات تمتد على هيئة شريط تتوزع فيه القصور و البقع المزروعة على مسافات تقل أو تقصر حسب كثافة الواحات و إمكانات الري ، ويمكن قطع المسافة بين قصر وآخر في أقل من يوم وفي أقصى الحالات في ثلاثة أيام، فكانت واحات توات تشكل في الواقع مراحل تتوفر فيها كل أسباب العيش للقوافل التجارية .

التاسع عشر مسلكان : مسلک يربط أقبلي بتمبوكتو (حوالي 1400 كلم) وكان هذا المسلک يتوفر على المصادر المائية والكلأ للدواب و المؤن للرحالة خلال مراحل الرحلة .

أما المسلک الثاني فيربط مجموعتي قصور إن صالح و أقبلي بالمراكز التجارية في الضفة الشرقية لنهر النيجر كمرکزي كانو و كوكا ، ويمر هذا المسلک بمرتفعات تاسيلي عبر أدغاغ و كانت هناك مسالك أخرى تربط توات بمراكز الشمال ومنها: (1)

- مسلک أن صالح - غدامس : يقع في اتجاه الشمال الشرقي بالنسبة لتوات ، وتكمن أهمية غدامس في انفتاحها على تجارة البحر الأبيض المتوسط عبر طرابلس و قابس و تونس . وطرابلس كانت أهم نهاية في هذا المسلک حيث كانت على اتصال دائم بغدامس التي تقتني منها البضائع السودانية التي تتصرف فيها بعد ذلك في مالطا و المدن الإيطالية.

- مسلک توات وسط المغرب الأوسط و شرقه: ترتبط توات بوسط المغرب الأوسط و شرقه بعدة مسالك تقع شرق العرق الكبير الغربي . ومن أهم هذه المسالك المسلک الذي يربط توات بغرداية جنوب التل الصحراوي . حيث تعد المنبعة أهم نقطة فيه .

- مسلک توات - جنوب المغرب الأوسط

(1) محمد أعفیف ، المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب و إفريقيا الغربية ، منشورات عكاظ

وهذا المسلك يرتبط بين جنوب وهران و يمر بفجيج فتفيلالت و يعد هذا المسلك أهم مسلك يصل توات بالشمال . فإذا كانت المسالك الأخرى عبارة عن نقط مائة. متباعدة فان هذا المسلك تشكله في الواقع واحات متصلة من زاوية الرقان (آخر واحة في جنوب توات) إلى قصر ايغلي عند ملتقى وادي زوزفانة وقيير⁽¹⁾.

أما الطرق التجارية بين تلمسان الزيانية و بلاد السودان فكانت تنطلق من تلمسان فتتجه غربا نحو فاس و من هناك تأخذ طريقها إلى سجلماسة نحو بلاد السودان فتقطع رحلتها على ثلاث مراحل كبرى هي :

المرحلة الأولى تنتهي عند سجلماسة أو توات أو عين صالح و يربط بين كل محطة من هذه المحطات و بين تلمسان طريق و أهم هذه الطرق طريق تلمسان - سجلماسة الذي ينقسم بدوره إلى فرعين .

الأول يصل بين تلمسان و مدينة وجدة ليصل إلى منطقة تازة عبر تاويزيرت و جرسيف إلى فاس ، ثم يقطع بعض المدن في الجنوب و منها تادلا، و أغمات وريكة و درعة ثم سجلماسة .

أما الفرع الثاني فكان يربط تلمسان بوجدة ثم بجبل تامريت و ينتهي إلى سجلماسة و يلتقي الفرعان في سجلماسة و تبلغ المسافة بينها و بين عاصمة الدولة الزيانية حوالي عشر مراحل⁽²⁾ طريق تلمسان توات:

ينقسم هذا الطريق إلى ثلاثة فروع:

(1) نفس المرجع ، ص 58 ، 59

(2) لطيفة بن عميرة ، الرحلة التجارية بين تلمسان و ممالك بلاد السودان الغربي ، حولية المؤرخ ، العدد 5 جوان

1- فرع يشق ، عين الصفراء تيوت واد الناموس و ينتهي في شبه خط مستقيم عند سبخة كورارة .

2- فرع ثاني يتجه إلى سدو و يعبر قصر بوسمغون إلى تميمون .

3- فرع ثالث يمر عبر قصر الأبيض سيدي الشيخ إلى تميمون .⁽¹⁾

أما المرحلة الثانية فكانت تتمثل في الطرق التي تربط سجلماسة وتوات و إن صالح نحو بلاد السودان الغربي ، فمن سجلماسة إلى تغازا مدينة مناجم الملح ثم إلى ايولاتن بداية بلاد السودان .

أما المرحلة الثالثة و تمتد الطرقات في داخل بلاد السودان الغربي من ايولاتن تسير القوافل إلى زاغارا ثم بلد أرسو من مملكة مالي .⁽²⁾

ثانيا : نظام سير القوافل .

كان انطلاق القافلة محدد بالزمان و المكان ، فكان تجار يحددون طريق سفرهم لمدة شهرين فيختارون المسلك الذي تتخلله بعض المراعي ، و تنتشر على طول الآبار و كان المسافرون يعتمدون على الجمل لسد حاجياتهم من الغذاء فيأكلون لحمه و يشربون لبنه. و كان المسافرون يكترون دليلا يسمى التكشيف ، يقود القافلة لا تضيع و يعرف أماكن الآبار و المسالك الآمنة و كان أغلب المرشدين من قبيلة مسوفة ، و كان الدليل يؤجر بأثمان مرتفعة فقد أجر ابن

(1) محمد أعفيف ، المرجع السابق ، ص 58.

(2) لطيفة بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 84.

بطوطة دليلا من تغازي إلى ايواتن بمائة مثقال من الذهب ، كما كان ملوك تومبوكتو يدفعون 7300 مثقال من الذهب لحماية رسلهم إلى سجلماسة .⁽¹⁾

كانت القافلة تضم مجموعة من التجار يخضعون لنظام خاص كان على رأسها رئيس ، ويبدو أن القوافل كانت تسير في الشمال في فصول الربيع والصيف و الخريف وأما في الجنوب (الصحراء) فيذكر الادريسي أن " هذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف " ⁽²⁾ ، وكان المسافرون فيها يوقرون جمالهم في السحر الأخير و يمشون إلى أن يشتد الحر فيحطون أحماهم ويقيدون جمالهم ثم يخيمون على أنفسهم ضللا تقيهم الحر . وتواصل القافلة مسيرتها بعد العصر وتسير جزءا كبيرا من الليل ثم تتوقف لتأخذ قسطا من الراحة و تستأنف رحلتها عند آخر الليل حتى ترتفع درجة الحرارة ، فتتوقف مرة أخرى ، وكان يتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة و أربعة كيلومترات في الساعة الواحدة، كانت تقطع القافلة ما بين خمسة وثلاثين وأربعين كيلومترا بمعدل عشر ساعات سيرا في اليوم.⁽³⁾

ولقد كان يتعرض التجار أثناء رحلاتهم لعدة أخطار :

- ندرة الماء : كان المسافر في الصحراء يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات المتقاربة و كان حسن الوزان قد ذكر أن بعض الدروب التجارية لم تكن تتوفر على منابع الماء كالخط الرابط بين ايواتن و تومبوكتو فلا يوجد

(1) جردت عبد الكريم يوسف المرجع السابق ، ص 212.

انظر أيضا لطيفة بن عميرة ، مرجع سابق ص 86.

(2) جردت ، عبد الكريم ، مرجع سابق ص 213.

(3) بشاري لطيفة ، التجارة الخارجية لعمارة بني زيان ، المرجع السابق ، ص 97 ، انظر أيضا لطيفة بن عميرة ،

المرجع السابق ، ص 88.

بطوطة دليلا من تغازى إلى ايواتن بمائة مثقال من الذهب ، كما كان ملوك تومبوكتو يدفعون 7300 مثقال من الذهب لحماية رسلهم إلى سجلماسة .⁽¹⁾

كانت القافلة تضم مجموعة من التجار يخضعون لنظام خاص كان على رأسها رئيس ، ويبدو أن القوافل كانت تسير في الشمال في فصول الربيع والصيف و الخريف وأما في الجنوب (الصحراء) فيذكر الادريسي أن " هذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف " ⁽²⁾ ، وكان المسافرون فيها يوقرون جمالهم في السحر الأخير و يمشون إلى أن يشتد الحر فيحطون أحمالهم ويقيدون جمالهم ثم يخيمون على أنفسهم ضلالا تقيهم الحر . وتواصل القافلة مسيرتها بعد العصر وتسير جزءا كبيرا من الليل ثم تتوقف لتأخذ قسطا من الراحة و تستأنف رحلتها عند آخر الليل حتى ترتفع درجة الحرارة ، فتتوقف مرة أخرى ، وكان يتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة و أربعة كيلومترات في الساعة الواحدة، كانت تقطع القافلة ما بين خمسة وثلاثين وأربعين كيلومترا بمعدل عشر ساعات سيرا في اليوم.⁽³⁾

ولقد كان يتعرض التجار أثناء رحلاتهم لعدة أخطار :

- ندرة الماء : كان المسافر في الصحراء يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات المتقاربة و كان حسن الوزن قد ذكر أن بعض الدروب التجارية لم تكن تتوفر على منابع الماء كالمخاط الرابط بين ايواتن و تومبوكتو فلا يوجد

(1) جودت عبد الكريم يوسف المرجع السابق ، ص 212.

أنظر أيضا لطيفة بن عميرة ، مرجع سابق ص 86.

(2) جودت عبد الكريم ، مرجع سابق ص 213.

(3) بشارى لطيفة ، التجارة الخارجية لامارة بني زيان ، المرجع السابق ، ص 97 . ، أنظر أيضا لطيفة بن عميرة ،

المرجع السابق ، ص 88.

إلا بعد مائة أو مائتي ميل وكذلك الطريق الرابط بين سجلماسة وتومبوكتو ، وكان المسافرون يلجئون إلى شراء الماء .

- قطاع الطرق: كان التجار يتعرضون لمضايقات قطاع الطرق الذين كانوا ينشطون في المناطق الشمالية خاصة في فصل الشتاء فمثلا في الطريق الرابط بين تلمسان و فاس كان يكثر فيه قطاع الطرق أغلبهم من الأعراب ، وكان ملوك بني عبد الواد يدفعون أموالا و يقدمون هدايا كثيرة للقبائل العربية و غير العربية المنتشرة حول طرق القوافل المتجهة نحو الغرب و إلى الجنوب لحراسة الطرق ومهما كانت الجهود التي تبذلها الدولة القائمة لتوفير الأمن و الضرب على أيدي قطاع الطرق إلا أن هذا الأمر صعب التحقيق لطول المسافات و طبيعة المجتمع القبلي ، فلا يخلو الأمر من وجود بعض أفراد القبيلة يعشقون الغزو و النهب والسلب .

ولقد كان المسافرون يعتمدون على أنفسهم في حماية قوافلهم بعدة وسائل منها حمل السلاح و الاستعانة ببعض الحراس المسلحين، إلى جانب ذلك كانوا يدفعون أموالا لشيوخ القبائل التي تعيش في المناطق التي يمرون بها.

ولقد قامت الدولة الزيانية ببناء أبراج المراقبة في النقاط الاستراتيجية من الطرق الشمالية . وكان قد وفر ملوك مالي أيضا الأمن طوال القرن الرابع عشر الميلادي وهذا بشهادة ابن بطوطة عند رحلته نحو بلاد السودان الذي قال : "فلا يخاف المسافر فيها و لا المقيم سارقا أو غاصبا" (1) .

(1) لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص 89.

ثالثا: المكاييل و الموازين و المقاييس المستعملة في المغرب الأوسط و السودان الغربي .

لقد كانت المكاييل و المقاييس و الموازين المستعملة في المغرب الأوسط و السودان الغربي لا تختلف عن تلك التي كانت موجودة في بقية أنحاء البلاد الإسلامية أو هي مأخوذة عنها و رغم شح المصادر في إعطاء تفصيلات كافية عنها.

• المقاييس و الموازين و المكاييل المستعملة بالسودان الغربي:

المقاييس و الموازين و المكاييل المستعملة بالسودان الغربي كانت على النحو التالي:

أ- المقاييس : كانت المقاييس التي تعارف عليها الناس في مملكة سنغاي بالسودان الغربي و تعاملوا على أساسها (1) :

1- الشبر : و يساوي الامتداد ما بين الخنصر و الإبهام و يساوي تقريبا 23 سنتيمتر (2).

≡

(1) عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي ، المرجع السابق ، ص 198. أنظر أيضا مبروك مقدم ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ج 1 دار الغرب وهران 2002 ص 215، أنظر أيضا الشيخ الأمين عوض الله ، تجارة القوافل بين المغرب و السودان الغربي و آثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم معهد البحوث و الدراسات العربية ، بغداد ، ص 92-93.

(2) حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ص 19.

2- الذراع : وهو الامتداد ما بين عقدة المرفق و نهاية الوسطى و يساوي حوالي 50 سم تقريبا .

3- الميل : هو يستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة و قد قدر بـ 1920 مترا بالتقريب .

4- الفرسخ: كانت الفرسخ تقاس به المسافات الطويلة و كان يساوي ثلاثة أميال ، أي $3 \times 1920 = 5760$ مترا .

ب- الموازين : أهم الموازين المتعارف عليها هي :

1- المثقال : و كان يعادل وزن 72 من حبات القمح المتوسطة الحجم .

2- الدرهم : وهو يساوي 7 أعشار الدينار و هو يساوي 40 درهما

3- الأوقية : وهي تساوي حوالي 27,5 غ تقريبا .⁽¹⁾

ج- المكايل : كانت المكايل ببلاد السودان عامة و بلاد سنغاي خاصة كالآتي:

1- المد : و كان يساوي سعة أربعة ألواح بمجمع اليدين و قدر بـ 0,75 سل بالتقريب .

2- الصاع: وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي ما يعادل ثلاثة لترات تقريبا.

3- القنطار : لقد قدر حسب دائرة المعارف الإسلامية بـ 100 رطل .⁽²⁾

(1) زبادية عبد القادر سنغاي ، المرجع السابق ، ص 199 .

(2) دائرة المعارف الإسلامية ، ج2 ، 1927 ، ص 1081 . انظر أيضا زبادية ، ص 199 .

4- المودي : و هو يساوي ما يحمله الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد .⁽¹⁾

• المكابيل و الموازين و المقاييس المستعملة في المغرب الأوسط:

أ - الموازين : تختلف الموازين التي استخدمها سكان المغرب من منطقة إلى أخرى و هي تعتمد في بعض الأحيان على العرف وقد شاع منها :

1- المثقال : يعد أقدم وحدة للوزن عند العرب ، ويقدر المثقال الشرعي بوزن 72 حبة من الشعير المتوسط الحجم .⁽²⁾

2- الدرهم : كان وزن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والأوقية منه 40 درهما ، وهو على ذلك 7 أعشار الدينار .

3- الأوقية : وهي تزن 7 مثاقيل أي حوالي 29,75 غراما أي 4,25 غرام (وزن المثقال الواحد $\times 7 = 29,75$) .

4- القيراط: أصله قراط ، ويقدر بنصف دانق ، قيمته نصف عشر الدينار .

5- الحبة : كانت الحبة تمثل $\frac{1}{60}$ من وحدة الوزن المستعملة أي عشر دانق وهي وزن حبة القمح أو الشعير متوسط الحجم⁽³⁾ ، وتختلف

(1) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 93 .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد السادس ، ص 293 .

(3) العبر ، ج 7 ، ص 322 . انظر أيضا DHINA , le royaume Abdelouadide à les poque

d'Abou - hammou moussa 1 er et d'Abou - tacheffin 1 er Alger 1985 P 171.

الحنة حسب وحدة الوزن المستعملة ، فهناك وزن حبة الفضة ، و حبة وزن الذهب ، و حبة المثقال و حبة وزن الدرهم.

ب- المكايل : كانت المكايل المستعملة في أسواق المغرب الأوسط هي :

1- الصاع : يستعمل لكيل الحبوب و يساوي الصاع الشرعي أربعة أمداد

، و يختلف حجم الصاع المستعمل في الكيل التجاري من مكان إلى آخر ، ولقد أشار العقيلي أن صاعا كان يستعمل قديما قفي تلمسان (يعرف بالتاشفين) عوض بصاع أكبر كان يستعمل في زمانه يعرف بوهرا⁽¹⁾.

2- المد : يختلف المد المستعمل في الكيل التجاري من مكان لآخر ، وهو عند بنو زيان ستون برشالة .

3- البرشالة : كانت تستعمل في كيل الحبوب ، و كانت ترن ثلاثة عشرة رطلا .

4- الرطل : يوزن و يكال ، و يقدر باثني عشرة أوقية و قدر أيام البكري في القرن الخامس للهجري (الحادي عشر ميلادي) باثنتين و عشرين أوقية ، و في القرن العاشر للهجري قدره حسن الوزان بحوالي 340 غراما .

5- القنطار : وهو معيار وزن الذهب أو الفضة و هو يختلف وزنه من مكان لآخر.

(1) العقيلي التلمساني ، كتاب تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ، تحقيق علي شنوفي ،

جـ- المقاييس : كانت المساحات في المغرب الأوسط تقاس بالوحدات التالية :

- 1- العرصة: وطول ضلعها خمسة وعشرون ذراعا .
- 2- المرجع: وطول ضلعها خمسون ذراعا .
- 3- الصنح: و يقدر بمائة مرجع ، و يقدر تقريبا أحد عشر هكتارا .

رابعاً: السليح والبضائع المتبادلة بين الإقليمين .

لقد ارتبطت الرحلات التجارية بين عالمين تجاريين هي : العالم العربي الإسلامي والسودان الغربي ، وقد كان للمغرب الأوسط دور هام في هذه الرحلات التجارية؛ فقد أدرك حكام الدولة العبد الوادية أهمية التبادل التجاري منذ وقت مبكر⁽¹⁾ لاعتقادهم أن ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب، فقد حاول الأمير يغمراسن (633-681هـ/1235-1283م) الاستيلاء على مدينة سجلماسة محطة القوافل و بوابة السودان الغربي وقد استولى عليها سنة 662هـ-1224م لفترة قصيرة.

ولقد ارتبط سلاطين بني زيان بعلاقات ودية مع سلاطين كانم و برنو و سنغاي ومالي ، و تبادلوا معهم الهدايا و الرسائل وكانت العلاقات متصلة عبر الطرق الصحراوية كما ذكرنا من قبل فقد راسلوا ملوك مالي ، كما ارتبط هلال القطلاني، حاجب أبي تاشفين الأول، بالصدقة مع منسا موسى سلطان مالي 707-712هـ / 1307 - 1321 م ، 735هـ- 1337 م عندما التقى به في موسم الحج.

(1) سيد أحمد العراقي ، تجارة القوافل بين الشمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث و الدراسات العربية بغداد 1984 ، ص 147-148 .

القطلاني، حاجب أبي تاشفين الأول، بالصدقة مع منسا موسى سلطان مالي 707-712 هـ / 1307 - 1321 م ، 735هـ - 1337 م عندما التقى به في موسم الحج.

ولقد تجسدت هذه العلاقات التجارية بين الإقليميين (السودان الغربي و المغرب الأوسط) في تأسيس الاخوة المقرئ الخمسة لشركة تجارية و تعاملوا مباشرة مع سلاطين مالي، كانت هذه الشركة تضطلع بمعد الاتجار .

فقد قام الاخوة المقرئ بتنظيم المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط و ممالك بلاد السودان الغربي، فقد مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار و تأمين التجار ، واتخذوا طبلًا للرحيل ، و راية ترفع عند المسير ⁽¹⁾ . لقد اشتغل الاخوة المقرئ الخمسة بأهم مدن السودان الغربي التجارية ، فكان أبو بكر و محمد بتلمسان في مرسى هنين يستلمان السلع المستوردة من بلاد الأندلس و أوربا ⁽²⁾ . و عبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، و عبد الواحد و علي وهما شقيقاهم الصغيران " بايوالاتن " ⁽³⁾ " فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط ⁽⁴⁾ و الديار و تزوجوا النساء ، و استولدوا الإماماء ... " ⁽⁵⁾ و كان الشقيقان الصغيران يقومان بوضع الاتصال بين الأسواق السودانية و المغربية و يبلغان الأخبار عن أسعار السلع ، وقد ذكر لنا رولك المقرئ وقال " وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، و يبعث إليه الصحراوي بالجلد و العاج و الجوز و التبر ،

(1) المقرئ (أحمد بن محمد) ، نفخ الطيب ، المجلد الخامس ، ص 205.

(2) عبدلي لخضر ، المرجع السابق ، ص 108.

(3) DHINA , Les états , Op.cit P 368.

(4) الحوائط : جمع حائط وهو مزرعة النخيل .

(5) المقرئ ، نفخ الطيب ، المصدر السابق ، ص 205.

و السجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران و الرجحان، و يكتابها بأحوال التجار و أخبار البلدان ، حتى اتسعت أموالمهم ... " (1)

إلى جانب أسرة المقري، اشتهرت عائلات تلمسانية أخرى بالتجارة مع بلاد السودان ، مثل عائلة العقباني و عائلة المرازقة، و كانت لها علاقات طيبة مع سلاطين الدولة العبد الوادية و سلاطين الممالك السودانية الذين شجعوها على ممارسة التجارة في بلادهم ، و قد التقى ابن بطوطة أثناء رحلته ، بعدد من التجار التلمسانيين و كانوا يقيمون بمالي ذكر منهم محمد ابن الفقيه الجزولي و صهره الفقيه المقري عبد الواحد ، و شمس الدين بن الفقويش (2) ، و الشيخ اللبان التلمساني ، الذي كان مقربا من منسى سليمان (1341 ، 1360م).

وقد استمرت الحركة التجارية نشطة بين بلاد المغرب الأوسط و بين بلاد السودان رغم الأزمة التي عرفتها في القرن الرابع عشر و المتمثلة في تحقيق سلاطين مالي الوحدة السياسية للسودان الغربي الذين سيعملون على الانفلات من قبضة الاحتكار المغاربي . (3)

ولقد لعب العرب المقيمون بالمغرب الأوسط من ذوي عبيد الله، من عرب المعقل ، و بن عامر يمارسون التجارة مع بلاد السودان فكان ذو عبيد الله يقومون برحلة ، في شتاء كل سنة، من بلادهم الواقعة جنوب تلمسان ، فيأخذون محور تلمسان توات و السودان الغربي ، و لقد ازدهرت الحركة التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد مملكة سنغاي التي أصبح ملوكها يهيئون

(1) نفس المصدر، ص 205.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 681.

(3) بشارى طليفة ، المرجع السابق ، ص 145.

الظروف الملائمة لاستقبال التجار و يستدعونهم لحفلاتهم و يستقبلونهم في بلاطهم و ما ذلك إلا للأهمية الاقتصادية و الحضارية التي كانت تنتج عن مجيء التجار بأعداد كبيرة إلى مملكة سنغاي خاصة في عهد الاسقيا الحاج محمد الأول (1493 - 1528م). (1)

كانت السلع تعبر الطرق التجارية (الصحراوية) في اتجاهين ، من الشمال (المغرب الأوسط) إلى الجنوب (السودان الغربي) ، و من أهم صادرات المغرب الأوسط مواد فلاحية زراعية منها أو حيوانية ، و منسوجات و بعض الصناعات الحرفية.

1- المواد الحرفية:

- القمح: لقد جعلت الظروف الطبيعية من تضاريس و مناخ للمغرب الأوسط أن يتوفر على إنتاج وفير من الحبوب (القمح) على عكس السودان الغربي الذي كان يفتقد إلى هذه الظروف ، فلم يكن القمح غداء منتشرًا بين الفئات الاجتماعية كلها بل كان يستهلكه الأثرياء من سلاطين و ملوك و تجار و غرباء (2) لأن ثمنه مرتفع و قد بيع في القرن الرابع عشر بمدينة تاكدة بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمئقال ذهب و مدهم ثلث المد ببلاد المغرب (3).

كما كانت تصدر المغرب الأوسط نحو السودان الغربي التين المجفف الذي يكثر استهلاكه في بلاد السودان إلى جانب الزبيب و عين البقرة ، و قد أشار صاحب

(1) عبد القادر زبادية ، مملكة ، المرجع السابق ، ص 213.

(2) لطيفة بن عميرة ، الرحلة التجارية بين تلمسان و ممالك بلاد السودان الغربي ، حولية المؤرخ العدد الخامس ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين ، جوان 2005 ، ص 89.

(3) ابن بطوطة ، الرحلة ، المصدر السابق ، ص 696 ، أنظر أيضا عبد القادر زبادية ، المملكة ، المرجع السابق ، ص 204.

الفتاش أنه في سنة 1594 كان يباع في سوق تومبوكتو كل عشر تمرات من تمر بسكرة بخمس ودعات (1).

2- المواد الصناعية :

كانت الأقمشة يصنع قسم منها ببلاد سنغاي ، أما القسم الآخر فكان يجلب من بلاد المغرب ومن أوروبا عبر مراسي المغرب ، حيث إن التجار الإيطاليين كانوا يردون خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر على بلاد الشمال الإفريقي فيبيعون بضائع عدة على رأسها الأقمشة ، و كان قسم هام منها يصدر إلى السودان الغربي (2).

وكانت الأقمشة التي تصدر إلى السودان الغربي على نوعين منها التي تصنع في تلمسان ، كالمسوجات الصوفية و يحاك منها البرنس و الزربية و الكساء ، ونسيج القطن حتى أصبح معظم لباس سكان السودان الغربي أيام الاسيقيين من الأقمشة القطنية .

وقد اقتصت الطبقة الحاكمة في تلك الفترة بنوع من القماش كان يصنع في تلمسان و كانت لحمته من الحرير الطبيعي و سداه من القطن و كان يستعمله التجار و القضاة و الأغنياء عمائم و كفنوا به موتاهم (3).

و كانت أسعار الأقمشة في القرن السادس عشر لسنغاي :

(1) كعت ، المصدر السابق ، ص 219. انظر أيضا عبد القادر زبادية مملكة سنغاي ، المرجع السابق ، ص 204.

(2) زبادية ، المرجع السابق ، ص 205 ، انظر أيضا لطيفة بن عمرة ، المرجع السابق ، ص 91. انظر أيضا جورج مارسسي ، تلمسان ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر القل ، البلدة الجزائر جوان 2004 ، ص 100.

(3) BARGES : Mémoires sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan sous le règne des Banizeyan (extrait de la revue d'orient de " Algérie et des colonies B. S juin 1853 Paris 1853 , P4 ، انظر أيضا زبادية ، المرجع السابق ، ص 204.

- قطعة من ذراع و ستة أشبار (ملونة أو بيضاء) تساوي مثقالا واحدا من الذهب.

- القطعة من أقمشة فارس أو المشرق ، قياسها ثمانية أشبار كان سعرها مثقالا واحدا كذلك (1) . وكانت ترد على أسواق السودان الغربي بضائع مصنعة أخرى من أسواق المغرب الإسلامي أو من أوروبا عبر الموانئ المغربية كالأسلحة (2) المختلفة للدفاع و لتسليح القوات المحلية كالدروع والخوذ و الخناجر والسهام و التروس و أقواس الشباب و البنادق ، والسروج و الأجمة ، والمهاميز و أدوات حديدية أخرى كالقدور والأمواس و السكاكين و الإبر و الأواني المتزلية ، و أدوات الزينة الجلدية والنحاسية ، و النحاس الأصفر ، و النحاس العادي سواء على شكل سبائك و صفائح و قوالب و أسلاك نحاس و الكحل و الكبريت و معظم هذه الأدوات كانت تأتي من أوروبا وخاصة الجمهوريات الإيطالية (3).

وكانت تشكل العطور نسبة هامة من المواد التي تصدر إلى بلاد السودان الغربي، حيث يقبل عليها السكان فيشترونها بأثمان مرتفعة ، و يجني التجار منها أرباحا

(1) زبادة، مملكة، المرجع السابق ، ص 205.

(2) كانت أسعار الأسلحة مرتفعة في القرن العاشر للهجري (السادس عشر للميلادي) كان السيف الذي يساوي في أوروبا ثلث دوكا (ثلاثة فرنكات ذهبا) ، كان ثمنه هناك (في بلاد السودان) أربع دوكات أو على الأقل ثلاثا أي 43 فرنكا ذهبا أو يزيد كما أن أسعار السيوف لم تكن تتجاوز في مدن المغرب ثلث الاوقية الواحدة كانت تتراوح في بلاد السودان بين ثلاث و أربع أوقيات من الذهب أنظر Coudray , relation commerciale de Tlemcen avec le et le Soudan , dans bulletin de société de géographie d'Alger 2^{eme} année 1887. P 425. ض 204 ، 205.

(3) زبادة ، المرجع السابق ، ص 221 ، انظر أيضا مبروك مقدم ، المرجع السابق ، ص 209.

كبيرة ، وكان يستعملها في الغالب السلاطين و القضاة والوجهاء و الأثرياء الذين كانوا يعطرون أجسامهم و ثيابهم ، إذ عزموا على الخروج إلى أماكن العامة، وكانت تشتريها العامة أيضا خاصة النساء وكانت ترد هذه المنتجات إلى السودان الغربي من أوروبا عن طريق المغرب الإسلامي خاصة تلمسان التي كانت تصنع بدورها أنواعا جيدة تستخرج من نبات الخزامى الذي يكثر بها .

و كان التجار يأتون بالعقاقير من مختلف أنحاء بلاد المغرب و المشرق الإسلاميين وأوروبا ومن تلمسان كانت تأخذ طريقها إلى بلاد السودان .

3- المعادن :

أ- معدن النحاس :

كان النحاس قليلا ببلاد السودان الغربي إذ كان يستخرج فقط من مدينة تاكدة⁽¹⁾ و لقد لعب التجار المغاربة دورا كبيرا في توفير هذه المادة وتزويد بعض الحرفيين الذين يشتغلون بتصنيع النحاس⁽²⁾ في سنغاي كانت مادة النحاس تمر عبر واحات توات لتصل إلى أسواق السودان الغربي .

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697.

(2) أشار ابن بطوطة أنه كان يصنع من النحاس الأحمر قضباناً في طول شبر و نصف بعضها رفاق و بعضها غلاظ فتراعى الغلاظ منها بحساب أربعمئة فضيب بمئقال الذهب و تراعى الرفاق بحساب ستمائة و سبعمئة بمئقال . أنظر

ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697.

ب- الذهب :

لعل أهم السلع المجلوبة هي مادة الذهب التي كانت تتوفر بغاوا وأودوغست وغانة وونقارة ... كانت تجلب هذه المادة على أشكال مختلفة : تبرا ، وسبائك وقطعا نقدية (1) .

ولقد وصف الإدريسي قصر أحد ملوك السودان الغربي المسمى صالح ابن عبد الله من أحفاد الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، و الذي بني بالتحديد سنة 510 هـ و بعد وصفه للقصر يقول عن الذهب " أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله تعالى حلقة تامة من غير أن تسك في نار ، أو تطرق بآلة ، و قد نقر فيها ثقب وهي مربوط لفرس الملك ، وهي من الأشياء المغربية التي ليست عند غيره ، ولا صحت لأحد إلا له ، و هو يفخر بها على سائر ملوك السودان . (2)

كما يصف البكري مجلس ملك غانة و كيفية تحليله بالذهب إذ يقول : وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق ، و الذراعين و يجعل على رأسه الطراير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة . . و يقول أيضا أن : وراء الملك عشرة من الغلمان يحملون السيوف المحلاة بالذهب " (3)

لقد جازف التجار - وسط الصحراء المترامية الأطراف بما فيها من دروب و طرق صعبة و حرارة قاسية وانعدام المياه - وراحوا يبحثون عن مواطن الذهب من أجل اقتناء أكبر كمية ممكنة منه والذي كان نادرا في المغرب و أوروبا وبيعه

(1) Coudray . Op Cit . P 429 .

(2) الإدريسي ، وصف إفريقيا الشمالية ، ص 07 .

(3) البكري ، المغرب ، ص 175 .

بأسواق الشمال خاصة المغرب الأوسط تلمسان ، وهران ، هنين ... ، وكان التجار الأوربيون من فلورنسا و جينوة، و البندقية ، و ميورقة ، و برشلونة يأتون بمختلف السلع و البضائع لبيعها و اقتناء الذهب .

وما يستنتج أن ذهب السودان الغربي يغذي من حاجة عالم البحر الأبيض المتوسط من الذهب بما يقدر بالنصف وكان يصدر قسم كبير منه إما تبراً أو مصنوعاً في شكل خيوط دقيقة ، وكان ينقل على ظهر الجمال وقوافل البربر عبر الصحراء ، إلى بلاد المغرب (1).

ج- الملح:

كان الملح يأتي في الدرجة الثانية بعد الذهب فكانت هذه المادة أساسية في المبادلات التجارية المغاربية السودانية ، وقد أشار ابن بطوطة إلى قيمته النقدية في السودان الغربي ، " وبالمح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب و الفضة يقطعونه قطعاً و يتبايعون به " (2)

ويقول حسن الوزان عنه " يستخرج من المناجم بحفر سراديب كما يفعل بالرخام ومنه الرمادي والأبيض والأحمر ويكثر جداً في بلاد البربر ولا وجود له في بلاد السودان خصوصاً في إثيوبيا السفلى ... ويجمد الملح في الصيف في بعض البحيرات الصغيرة و الغدران ببلاد البربر " (3)

(1) لومبار موريس ، الإسلام في مجلد الأول القرن 8-11 م ترجمة ، إسماعيل العربي ، م ، و ، ك ، ط 1 ، الجزائر

1979.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674.

(3) حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج 2 ، ص 280.

كانت مادة الملح تباع بأثمان مرتفعة السودان الغربي ووقعت مقايضتها بالذهب ، وقد أشار ابن بطوطة أن السودانيين كانوا يتزودون ، بعد عودتهم من تجارتهم بالشمال من ممالح تغازة لبيعها ببلادهم ، فكانت تغازة أكبر منطقة منتجة للملح المصدر إلى بلاد السودان ، " وكان يتعامل فيها بالقناطر من التبر " (1) ، ولقد تراوح سعره ببلاد السودان بين الارتفاع و الانخفاض فقد كان حمل من الملح في القرن العاشر الميلادي الذي بلغ " في دواخل بلد السودان و أقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار " (2) وقد أشار ابن بطوطة إلى ثمنه في القرن الرابع عشر " حيث يباع الحمل منه بايوالدين عشرة مثاقيل إلى ثمانية و مدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين ، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا " (3) .

د- العبيد :

كان التجار المغاربة يجلبون العبيد نحو المدن الشمالية (المغرب الإسلامي) من أكبر أسواق النخاسة التي كانت تنتشر بالسودان الغربي ومن أشهر هذه الأسواق سوق مدينة غار التي كان بها سوق من أكبر أسواق النخاسة، ولقد كانت حواضر المغرب الإسلامي ، تلمسان تونس ، طرابلس ، فاس ... بحاجة إلى العبيد المحلويين من السودان ، فكان العبيد يستخدمون في ميادين مختلفة مثل الصناعة ، و استخراج المناجم كالملح ، والنحاس و الزراعة التي كانت تحتاج إلى الأيدي العاملة ، وكان العبيد يستعملون في نقل بضائع التجار و حراسة القوافل ، ويعملون في القصور وفي الجيش و في حراسة الملوك .

(1) ابن بطوطة ، ص 674 .

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض ، المصدر السابق ، ص 98 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 674 .

أما عن ثمن شرائهم فإنه يختلف حسب الأزمان، وحسب الأعمار فالشباب القوي أغلى من الضعيف وكانت أسعار العبيد تختلف من سوق لأخرى ، فيذكر ابن بطوطة أنه اشترى بتكدة خادما بخمسة و عشرين مثقالا من الذهب (1)

كما بيعت طباحة بمائة قطعة ذهبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، و بيعت أربعة إماء في عهد الأمير أبي فارس الحفصي (776 - 838 هـ / 1393 - 1434 م) بأربعين دينار (2) وبيعت بنت شابة في الخامسة عشرة من عمرها ، في بداية القرن السادس عشر الميلادي بأسواق غاو بجوالي ست أوقيات من الذهب ، وكان الشبان يباعون بنفس الأسعار تقريبا (3) . ولقد بلغ سعر العبد بالدولة الزيانية عشرين دينارا والأثنى خمسة وعشرين دينارا .

فكانت تختلف أسعار العبيد حسب تقلبات قانون العرض و الطلب ، وقد أشار ابن بطوطة إلى غلاء الثمن المعلومات من الخدم وذلك لندرتهن في الأسواق ، ولم يكن الاسترقاق مرتبطا باللون الأسود ، حيث شاهد ابن بطوطة عند أحد الأمراء السودانيين بمدينة توجد شرق تمبوكتو " جارية له دمشقية عربية .

لقد كان معظم العبيد الذين يباعون في الأسواق السودانية يجلبون من مناطق الغابات الجنوبية الوثنية إلا أن أعدادا كبيرة من بينهم أيضا كانت من ممتلكات السكان العادية.

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 697 ، انظر أيضا بشارى لطيفة ، المرجع السابق ن ص 274 ، 275.

(2) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص 275.

(3) نفسه و الصفحة عينها .

ومن بين البضائع التي كانت ترد إلى أسواق الشمال خاصة أسواق بني عبد الواد كانت:

1- ريش النعام:

كان لريش النعام ، رواج كبير في الأسواق ، حيث أنه كانت تحشى به الأرائك والمخاد في البيوتات و القاعات ، كما تتخذ منه مراوح للتهوية أو للزينة، كان تجار المغرب الأوسط يجلبون منه كميات كبيرة من أسواق السودان.

بيض النعام:

كان بيض النعام يتخذ من محه أحد العناصر الهامة في تركيب الأدوية فكانت أثمانه في الأسواق مرتفعة ... (1).

2- العاج :

يعد العاج من البضائع التي وجدت رواجاً كبيراً في أسواق بني عبد الواد التي كان التجار يجلبون إليها أجود الأنواع بكميات كبيرة و كانت تجلب هذه المادة من مناطق الغابات الجنوبية للسودان الغربي حيث يعيش الفيل ووحيد القرن.

(1) زبادية ، المرجع السابق ، ص 220.

وكانت مادة العاج تستعمل في ميادين كثيرة مثل الترصيع⁽¹⁾ ، وفي حشوات المناير ويدخل في صناعة الأثاث الفخم، وكان يقبل على شرائه الأوروبيون لاستعماله في صناعة تحف المعابد و التماثيل ، والعصبي .

(1) بشاري لطيفة ، المرجع السابق ، ص 284 ، انظر أيضا نعيم فهمي زكي ، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب ، القاهرة . ص

السخاينة

من بين النتائج التي اهتمت إليها من خلال قيامي بهذه الدراسة هي :

1- عرف سلاطين دولة بني عبد الواد بنصرتهم للعلم وتأييدهم

للعلماء، فظهر فيهم المؤرخ و الشاعر و الأديب و المتصرف .

2- عمل سلاطين دولة بني عبد الواد على إنشاء المؤسسات التعليمية

من مساجد و مدارس ابتدائية و كتاتيب و معاهد عليا و جلب أبرز

العلماء والأدباء شهرة .

3- عرف القرن الخامس عشر الميلادي تدفق أمواج المهاجرين على

سواحل المغرب الإسلامي ينشدون في حواضره الحماية و الطمأنينة و كان

أفراد المهاجرين يختلفون ثقافة و جاها فمنهم الفقير وفيهم الغني ومنهم

الكتّاب وأصحاب القلم وأصحاب الصنائع ، لقد ساهم هؤلاء المهاجرين

بقسط وافر في دفع الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب الأوسط خاصة

بجال العلوم الدينية ، ومن بين الأسر الأندلسية التي أنجبت عددا من

العلماء أسرة العقباني التي برز فيها العالم العلامة الكبير سعيد العقباني ،

وقاسم بن سعيد العقباني .

- 4- لقد عرف المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ظهور عقيدة المرابط و انتشار الزوايا و افتتاح عهد التصوف الذي شمل جميع الطبقات مجتمعة.
- 5- اهتم ملوك بني زيان بمختلف العلوم سواء كانت علوم نقلية من أدب ونحو وشعر، وعلوم دينية من علم الحديث والفقہ والتصوف وغيرها وعلوم عقلية واهتموا بها اهتماما كبيرا وتعمقوا في دراستها وكانت تشمل الرياضيات بفروعها من حساب وجبر وفلك وهندسة إضافة إلى الطب والكيمياء وعلم الفلاحة والموسيقى وغيرهما .
- 6- اهتم ملوك بني زيان بمختلف العلوم سواء كانت علوم نقلية من أدب ونحو وشعر ، وعلوم دينية من علم الحديث و الفقہ والتصوف وغيرهما وعلوم عقلية واهتموا بها اهتماما كبيرا وتعمقوا في دراستها وكانت تشمل الرياضيات بفروعها من حساب وجبر وفلك وهندسة إضافة إلى الطب والكيمياء وعلم الفلاحة والموسيقى وغيرهما من العلوم.
- 7- كان للزوايا دور هام في تصحيح عقيدة المجتمع السوداني ومن بين هذه الزوايا و الطرق الصوفية: الطريقة القادرية التي انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن الخامس عشر ويعد الشيخ البكائي أحمد أول من أوصلها

إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي ، وكانت هذه الطريقة من بين الطرق الصوفية انتشارا بالسودان الغربي إلى جانب هذه الطريقة انتشرت الطريقة الشاذلية بالسودان الغربي و لعبت دورا هاما في نشر العلم والمعرفة.

8- إلى جانب الطرق الصوفية كان للزوايا دور مماثل وقد وصلت هذه الزوايا إلى السودان غربي عن طريق علماء توات الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم وكثرة بنائهم للزوايا متعددة الخدمات ، فكانت عبارة عن منارات للعبادة و العلم ومراكز لإقامة الطلبة ونزول المسافرين وإيواء الفقراء وأبناء السبيل.

9- لقد كان لعلماء وفقهاء المغرب الأوسط دور هام في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي من خلال بناء المؤسسات الثقافية و الدينية من مساجد ومدارس ومعاهد عليا ومن بين هؤلاء العلماء و الفقهاء علماء توات الفقيه الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كان ذلك الأثر الفكري و الديني في السودان الغربي على عهد الأسيقيين واتضح ذلك من خلال إنشاء الزوايا التي كانت تهتم بالإرشاد و الوعظ ومن أسئلة الأسيقي محمد الحاج الكبير سلطان مملكة

سنغاي والتي كانت تعكس الحالة الاجتماعية و الاقتصادية الدينية التي آل إليها المجتمع السوداني في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر .

10- كان للفن المعماري وجود في أغلب مدن السودان الغربي خاصة بتومبوكتو وجني وغانو، فكانت هندسة منازلها وقصورها ومساجدها وأسواقها تشبه إلى حد كبير هندسة المدن المغربية .

11- لقد اعتنت الدولة الزيانية بالفلاحة و الصناعة و التجارة الداخلية والخارجية الأمر الذي جعلها تحتل مكانة اقتصادية هامة في المنطقة إذ أصبحت همزة وصل بين أسواق أوروبا (الجنوب الأوروبي) وممالك السودان الغربي .

12- ومن بين المنسوجات التي اشتهر بها المغرب الأوسط المنسوجات الصوفية بتلمسان و الحريرية بشرشال والمنسوجات القطنية بمين .

13- اشتهر المغرب الأوسط بأسواقه العديدة كأسواق مدينة تلمسان، وسوق وهران، مستغانم وتنس وأسواق جزائر بني مزغنة، وسوق حمزة، والتي كانت همزة وصل بين أسواق أوروبا وأسواق إفريقيا السوداء .

14- لقد ارتبط المغرب الأوسط بالسودان الغربي عن طريق التجارة التي

عرفت بالتجارة الصامتة، وقد لعبت القوافل التجارية دورا هاما في جلب

بضائع غربية ونادرة بأسواق المغرب الأوسط ومن بينها الذهب و العاج

والعبيد ، ولقد لعبت الشركات التي أقامتها العائلات التلمسانية كشركة

الأخوة المقرري و شركة عائلة المزارقة والعقباني دورا هاما في ازدهار

الحركة التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي .

15- لقد نشأت عبر المسالك والطرق الرابطة بين السودان الغربي

والمغرب أوسط خاصة بين الخط الرابط بين توات وتومبوكتو - مدن

وهي أوران ، مبروك و أفراكان و تيمسا ، و أرنان ، وتاودين ، و والون

وتيرشيومين وأقبلي.

رہنما اور ریسرچ

1- المصادر

- أبو ضيف (مصطفى أحمد عمر)، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982.
- أحمد بابا التمبوكتي : نيل الابتهاج بتطريز الدياج ، تحقيق علي عمر المجلد الأول و الثاني ، ط 1 مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، 2004.
- أحمد بابا التمبوكتي نيل الابتهاج بتطريز الدياج ، على هامش دياج ابن فرحون دار الكتب العلمية بيروت 1891.
- الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية و الصحراوية جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق نشره هنري بريس مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية 1957.
- الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق محمد الحاج صادق 1983.
- ابن الخطيب لسان الدين الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ج 2، ج 3 تحقيق محمد عبد الله عنان ط 1 ، القاهرة،
- ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق محمود فرج المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1977.

➤ ابن بطوطة محمد بن عبد الله ، رحلة بن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار تقديم محمد سويدي الجزائر 1989.

➤ ابن حوقل (النصيب أبي القاسم) : صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1979.

➤ ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ج 2 ، تحقيق الفراد بال .

➤ ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى) : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، الجزء الأول تحقيق عبد الحميد حاجيات.

➤ ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ج 6، ج 7، دار العلم بيروت لبنان .

➤ ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبناني ، بيروت 1967 .

➤ ابن رشد ، فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال تعريف أبو عمران الشيخ و جلول البدوي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

➤ ابن سحنون (محمد) كتاب آداب المعلمين ، تحقيق محمد عبد المولى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981.

- ابن مرزوق (محمد التلمساني) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر
ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيفيرا ،
تقديم محمود بوعياذ الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 .
- ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان
المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986 .
- ابن منظور ، لسان العرب مجلد 6 ج 11 .
- الالوري (آدم عبد الله) ، موجز تاريخ نيجيريا ، منشورات مكتبة
الحياة بيروت 1965 .
- البرتلي (محمد بن أبي بكر الصديق) فتح الشكور في معرفة أعيان
علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و محمد حجي دار الغرب
الإسلامي بيروت 1981 .
- البكري (ابن عبيد الله بن عبد العزيز) المغرب في ذكر بلاد إفريقية
والمغرب المعروف بالمسالك و الممالك ، تحقيق دي سلان 1965 .
- بلعراف (أحمد التكني) ، إزالة الريب و الشك و التفريط في
ذكر المؤلفين من أهل التكرور و الصحراء أهل شنقيط .
- التنسي (محمد بن عبد الله) : نظم الدر و العقيان في بيان بني زيان
حققه وعلق عليه محمود بوعياذ ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر
1985 .
- جورج مارسلي ، تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني دار النشر التل ،
البليدة ، الجزائر جوان 2004 .

- الحميري (محمد ابن عبد المنعم) ، الروض المعطار في أخبار الأقطار
تحقيق إحسان عباس ط 1 ، 1975.
- الزركشي (أبو عبد الله) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،
ط 2 ، تونس 1966.
- السعدي (عبد الرحمان) ، تاريخ السودان، تحقيق هوداس ، 1964
- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت 1315 هـ /
1897م) 28_ الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى 9 أجزاء الدار
البيضاء 1956م.
- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ بن خلدون دار الكتب العلمية ط 1
بيروت لبنان، 1992.
- العبدري (محمد البنسي) ، الرحلة المغربية ، تحقيق أحمد ابن جدو
مطبعة البعث قسنطينة .
- العقباني (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم ابن سعيد) تحقيق علي
الشنوفي .
- العقباني التلمساني ، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ
الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي .
- علي ابن زرع الفاسي، الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية
دار المنصور للطباعة الرباط 1972.
- علي بن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في
أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة الرباط
1972.

- العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد ط 1 ، 1988.
- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد) عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز) مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا تحقيق ، عبد الكريم كريم الرباط 1972 م .
- فودي (محمد بلو ابن عثمان) ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق بهيجة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس الرباط 1996.
- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت 1960.
- الفلقشندي (أحمد بن علي ت 821هـ / 1418 م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج 5 القاهرة 1963 م .
- القيرواني (ابن أبي دينار) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس تحقيق محمد سمّام ، تونس 1967.
- مارمول كرنجال : إفريقيا الجزء الأول و الثاني و الثالث ترجمة محمد حاجي و آخرون مكتبة المعارف الرباط 1984.
- مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة دار الرشاد الحديثة ، ط 1 ،
- مجهول ، الاستبصار تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد 1986.

- محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش و أكابر الناس وذكر وقائع التكرور ، تحقيق هوداس ، باريس 1981.
- المراكشي (محي الدين أبو محمد عبد الواحد المعجم في تلخيص أخبار المغرب القاهرة ط1، 1914.
- المغيلي (محمد ابن عبد الكريم المغيلي) ، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي تحقيق عبد القادر زبادية .
- المغيلي (محمد ابن عبد الكريم المغيلي) ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح تحقيق رابح بونار .
- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر توفي 380 هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 ، 2003.
- المقرئ (أبو العباس) ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس المطبعة الملكية الرباط 1964.
- المقرئ (أحمد ابن محمد) ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه إحسان عباس ، المجلد الخامس دار صادر بيروت 1968.
- ميغا (أبو بكر إسماعيل) ، الحركة العلمية و الثقافية الإسلامية في السودان الغربية من 400 إلى 1100 هـ في عهد المماليك الإسلامية غانة ومالي .
- الوزان (الحسن ابن محمد) ، وصف إفريقيا، الجزء الأول والثاني ، بيروت 1983.

➤ الونشريسي (أحمد بن يحيى) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي
علماء إفريقية و الأندلسي و المغرب إعداد محمد حجي و آخرون الجزء
الثاني ، دار الغرب بيروت لبنان ، 1981.

➤ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح
توفي 284 هـ) ، البلدان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 ، 2002.

٥١

2. المراجع —

المراجع العربية.

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981.
- أحمد شكري : الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230/1430. أبو ظبي 1999.
- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم — حسن ، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة مصر 1957.
- إسماعيل (العربي) الصحراء الكبرى و شواطئها، الجزائر 1983 .
- إسماعيل العربي المدن المغربية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984
- إسماعيل (العربي)، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، الجزائر 1983.
- ابن قربة (صالح) ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى الشركة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
- بن قربة (صالح) ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، الجزائر 1986.
- بن منصور(عبد الوهاب)، أعلام المغرب العربي، الجزء الخامس 1410هـ — 1990.
- بوحوش (عمار) ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962.
- دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت ، 1997.

- بورويبة رشيد الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ترجمة 20—
 شبوح إبراهيم الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . الجزائر 1979.
- الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية الديوان
 الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993.
- بوعزيز (يحيى) تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع القرن السادس عشر
 إلى مطلع القرن العشرين، هومة للطباعة و النشر الجزائر 1996.
- بوعزيز (يحيى)، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة دار الغرب
 الإسلامي بيروت ط 1، 1995.
- بوعبياد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن
 التاسع للهجري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982.
- تشريب سبيترو فيتش ، حكومة العالم الخفية تر/ مؤمون سعيد
 البليدة الجزائر عمار هلال ، الهادي مبروك الدالي ، الإسلام و اللغة
 العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا ، 1914/1850 ،
 1996.
- توات (طاهر) ، ابن خميس شعره و نثره ، ديوان المطبوعات الجامعية
 1991.
- جلاب حسن ، محمد سليمان الجزولي مقارنة تحليلية لكتاب الصوفية
 مراکش تينمل للطباعة و النشر مراکش المغرب .
- جوليان (شارل اندريه) ، تاريخ إفريقيا ترجمة طلعت عوض أباضة
 القاهرة دار النهضة المصرية 1968.

- الجوهري (يسري عبد الرزاق) ، جغرافية الشعوب الإسلامية الإسكندرية 1981.
- الجيلالي (عبد الرحمان) ، تاريخ الجزائر العام الجزء الأول و الثاني ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.
- حاجيات (عبد الحميد) ، أبو حمو موسى الزباني حياته وآثاره ط2، 1982
- حاجيات (عبد الحميد) و آخرون الجزائر في التاريخ ، م.و.ك ، الجزائر 1984.
- حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ط3، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1962.
- حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام و العربية فيما يلي الصحراء الكبرى ط3 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1983.
- حسن أحمد محمود ، الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر القاهرة مصر 2001.
- حسن أحمد محمود الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي القاهرة .
- حسن محمد (عبد الله) ، وقفات مهمة في التاريخ الإفريقي ، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ط1 ، جدة ، السعودية 1982.
- حلمي (علي عبد القادر) ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 الجزائر 1972.

— الحنفي (عبد المنعم) ، معجم مصطلحات الصوفية ط1 دار المسيرة
بيروت لبنان 1980.

— الدالي (الهادي المبروك) : مملكة مالي الإسلامية ط2 ، ليبيا 1999.

— الدالي (الهادي مبروك) : التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء
الصحراء ، ط1 ، بنغازي ، ليبيا 2002.

— الدالي (الهادي مبروك) ، العلاقات ، بين مملكة مالي الإسلامية وأهم
المراكز بالشمال الإفريقي من القرن 7 - 9 هـ / 13-15م. مركز
الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء ط1 ، 1991.

— دي بور ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة محمد عبد الهادي
أبو ريذة ط 5 ، دار النهضة العربية بيروت ، 1988.

— دياب (أحمد إبراهيم) ، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث دار المريخ
الرياض السعودية 1981.

— سعد الله (فوزي) ، يهود الجزائر شركة دار الأمة للطباعة
والترجمة ، الجزائر 1996.

— سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي الجزء الرابع ،
الإسكندرية 1995.

— سعودي (محمد عبد الغني) ، الاقتصاد الإفريقي والتجارة الدولية
مكتبة الأنجلو المصرية 1973.

— سوالمية (محمد عبد الرحمان) ، تمبوكتو جوهرة تغمرها الرمال بيروت
مطبعة المتوسط 1986.

— شلي (أحمد)، تاريخ التربية الإسلامية ، دار الكشاف ،
بيروت 1954.

— طرخان (إبراهيم علي) ، إمبراطورية البرنو الإسلامية القاهرة 1975.

— الطمار (محمد ابن عمرو)، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة
وحضارة الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.

— طمار (عمرو محمد) تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع الجزائر.

— طمار (عمرو محمد)، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج الشركة
الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1983.

— الظريف (محمد) ، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية
1800، 1801- 1956 ، جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب .

— عبد القادر (زبادية) مملكة سنغاي في عهد الأسفيين 1493/1591.
الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر .

— الغنيمي (عبد الفتاح مقلد) ، موسوعة المغرب العربي مج3 ، مكتبة
مدبولي القاهرة مصر ص 170.

— فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرن الثامن عشر و التاسع
عشر الميلادي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977.

— فهمي (نعيم زكي) ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق و
الغرب ، القاهرة .

— قداح (نعيم) ، حضارة الإسلام و حضارة أوروبا في إفريقيا الغربية
دمشق سوريا 1965.

- قداح (نعيم)، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام كوناكري 1960
- ك. بانيكار (مادهو) تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا المعروف بالثنية و الإسلام ترجمة أحمد فؤاد بلبع ط2، لندن، 1998.
- لومبار (موريس)، الإسلام في مجده الأول القرن 8، 11 م ترجمة إسماعيل الغربي م. و. ك ط1 الجزائر 1979.
- لومبارد (موريس)، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى تر/ عبد الرحمن حميدة دار الفكر دمشق سورية 1998.
- مؤنس (حسين) تاريخ المغرب و حضارته ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1992.
- الماخي (عبد الرحمن عمر)، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر.
- مخلوف (الشيخ محمد بن محمد)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب بيروت لبنان.
- مقدم (مبروك)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحية بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرون 8-9-10هـ/15-16-17م، دار الغرب للنشر والتوزيع ج 1، 2002.
- مقدم (مبروك)، أجوبة الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد ابن أبي بكر أسقيا الكبير ج2، دار الغرب وهران 2002
- موسى (محمد منير)، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية القاهرة 1983

- الميلي (مبارك بن محمد)، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث الجزء الثاني تقديم و تصحيح محمد الميلي المؤسسة الوطنية للكتاب 1979.
- النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة... و الرباط"، تونس 1987.
- نويهض (عادل) معجم أعلام الجزائر ط2، مؤسسة نويهض بيروت 1983 .
- هلال (عمار)، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافية العربية في غرب إفريقيا الجزائر 1988.

الرسائل الجامعية:

❖ أحمد حمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثره 870 - 1465م / 909هـ - 1503م جامعة وهران 2000/1999م .

❖ بشارى لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13- 16م) ، رسالة ماجستير ، 1986- 1987 .

❖ بن الديق (عيسى) ، التجارة في عصر دولة المرابطين ، 480- 540 هـ / 1056- 1145م. كلية الآداب قسم التاريخ جامعة القاهرة 1990 .

❖ بن داود (نصر الدين) ، أسرة المرازقة و دورها الثقافي بتلمسان من القرن السابع إلى العاشر 13 ، 16 م رسالة ماجستير وهران 2004 .

❖ بن عمر (حسن) ، أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي السلمالي حياته، وآثاره ، رسالة ماجستير تلمسان 2003/2004 .

❖ بوشامة عاشور ، علاقات الدولة الحفصية مع المغرب والأندلس 626 - 981 هـ / 1228 - 1573م ، جامعة القاهرة ، مصر 1991م

❖ بوشقيف (محمد) ، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، رسالة ماجستير جامعة وهران 2004 .

❖ بوطارن (مبارك)، العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ جامعة لإسكندرية، 1991.

❖ التازي (عبد الهادي)، العلاقات الفكرية بين العالم العربي الإسلامي وغرب إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، رسالة الجامعية لنيل شهادة الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب 1993.

❖ خوالد (فرحات الشريف)، أبو عبد الله بن خميس التلمساني 650-708 هـ حياته وآدابه عمان الأردن، 1993.

❖ كريمي (ماجدة)، العلاقات بين المغرب والسودان في العصر المريني، رسالة لنيل دبلوم العالي في التاريخ، جامعة محمد الخامس الرباط، 1987-1988.

❖ السباني (صالح الصادق)، مملكة كانم - برنو وعلاقتها بأقطار الشمال الإفريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ن الرباط 1988-1989.

❖ شكرأوي (خالد)، الدين و السلطة في إفريقيا الغربية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس 1990/1991.

❖ عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9 و 10 هـ 10/15 م. رسالة ماجستير الجزائر، 2000/2001.

❖ عبدلي (الحضر) مملكة بني زيان، رسالة ماجستير تونس، 1987.

❖ عبدلي (لخضر) ، الحياة الثقافية للمغرب الأوسط في عهد بني
زيان ،. 1554/1236، دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط 633 / 962 جامعة
تلمسان 2005/2004.

❖ — عمر سلميان بوعصبانة ، معالم الحضارة الإسلامية بوجلان
626-296 هـ 909-1229م رسالة ماجستير المعهد الوطني العالي لأصول
الدين الجزائر 1991 / 1992.

❖ — لعرج (عبد العزيز) ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ،
دراسة أثرية معمارية وفنية ، ج1، جامعة الجزائر 1999م
❖ — مكوي محمد الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد
الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول ، 633-1236 ،
رسالة ماجستير جامعة تلمسان 2000-2001.

❖ — نقادي (سيدي محمد) ،التصميم العمراني لمدينة تلمسان
ودلالاته الاجتماعية ، رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان
1991.

المجلات والدراسات :

- مجلة المجمع العربي بدمشق ، ج 2 المجلد 40، أبريل 1965.
- مجلة الأصالة عدد خاص عن تاريخ تلمسان و حضارتها عدد رقم 26 مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية السنة الرابعة رجب شعبان 1315 هـ ، جويلية أوت 1975 الجزائر .
- مجلة العلوم الإنسانية العدد 20 ديسمبر 2003 جامعة منتوري قسطينة، الجزائر 2003 .
- مجلة الحضارة الإسلامية عدد خاص بملتقى دولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي وهران 1993 .
- الفضاء المغاربي : مجلة دورية محكمة ، يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي حتى القرن 5هـ — جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان جوان 2002.
- مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ جامعة الجزائر العدد العاشر 1997.
- مجلة التاريخ (يوم دراسي في قضية الصحراء الغربية ، المركز الوطني للدراسات التاريخية 1976.

- مجلة المغرب الإفريقي ، معهد الدراسات الإفريقية الرباط عدد 4 ،
المغرب 2003.
- مجلة الأصالة عدد 53 صفر / محرم 1398هـ — جانفي الجزائر 1978.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات
العربية ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع
عشر ، بغداد ، العراق ، 1984.
- مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 1 ، الجزائر 1423 هـ / 2002 م .
- المجلة العربية للثقافة عدد 5 ، الإسكوا ، تونس ، سبتمبر 1983.
- طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم
الإنسان والتاريخ الجزائر 200.
- فرج محمود فرج : الدور الحضاري للإقليم التواني في إفريقيا السوداء
ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية في القارة الأفريقية .
- محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ، المجلد
الأول، ورجلان منشورات وزارة الشؤون الدينية قسنطينة 1984 .
- معجم مشاهير المغاربة تنسيق أبو عمران الشيخ ، تقرير ناصر الدين
سعيدوني ، إعداد فرقة البحث العلمي ، جامعة الجزائر 1995 .
- مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، العدد
السابع ، 1993 .
- موسوعة المغرب العربي ، المجلد الثالث ، مكتبة مدبولي ميدان طلعت
حرب القاهرة .
- مجلة حولية المؤرخ ، العدد 5 جوان 2005 مجلة دورية يصدرها
اتحاد المؤرخين الجزائريين ، دار الكرامة للطباعة والنشر ، الجزائر 2005

مجلة حولية المؤرخ ، عدد 6 جويلية 2005 ، مجلة دورية يصدرها اتحاد
المؤرخين الجزائريين ، دار الكرامة للطباعة والنشر ، الجزائر 2005
— مجلة طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل
التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ، 2001

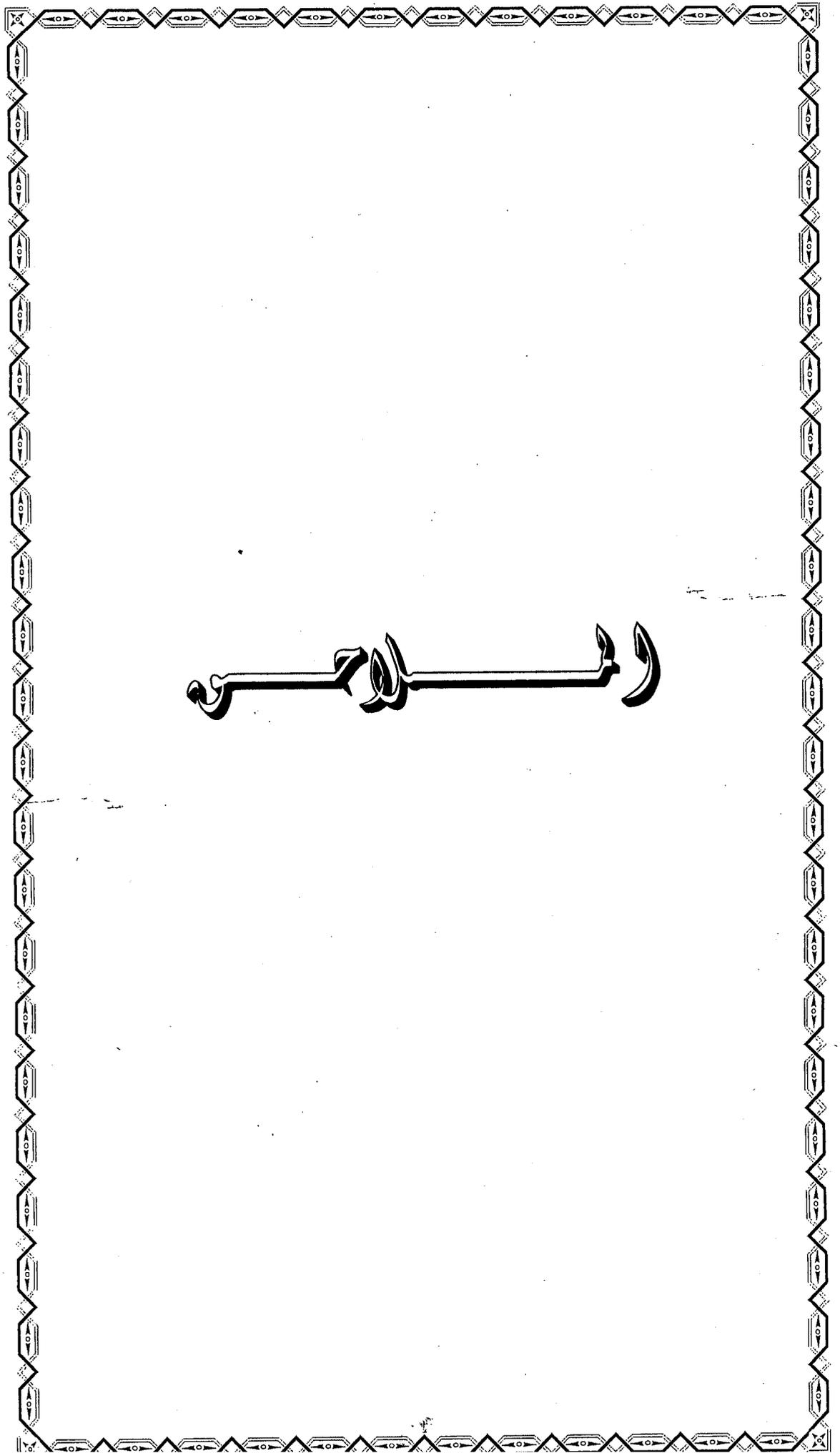
المراجع الأجنبية :

- * **Auguste**(cour), l'établissement des dynasties des shérifs au Maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger 1509-1830, Paris 1904
- * Rouire (l) ; le sud ouest Oranais et le Touat ; in revue de la société géographique d'Oran 1892 .
- * Barges, Tlemcen , Ancienne capitale du royaume de ce nom 1859.
- * **Chantal de la veronne** , Ouargla cite saharienne des origines au début du xx siècle ,librairie orientale Paule (G) ,Paris 1983.
- * **Devors** (p) le Touat étude géographique et médicale , archives de l'institut pasteur T xxx ,n°34 septembre, décembre ,Alger1974.

- * **Djehan desanges** , remarque critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le monde Phenico- punique un actes de deuxième congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidentale II SNED , Alger 1978.
- * **L'Avoix (h)** , catalogue musulmane , Espagne et Afrique.
- * **Lombard (m)** L'Islam dans sa première grandeur
- * **Pérès** , les relations entres le Tafilelt et le soudans mélanges emile felix Gautier tours 1937.
- * **Sari (d)** , la dimension civilisationnelle de la route des caravanes ,in revue des caravanes , c.n.r.p.a.h. Alger 2001.
- * **Williemes (dedier)** , recherches sur quelques grandes mosques du Mzab et du sahel centrale , Paris1990/1991.
- * **Zakari (dramani Issifou)**, l'Afrique noire dans les relation internationales au 15siece analyse de la crise entre le Maroc et Sonrhai , édition Karthala , Paris .
- * **Barges**, Histoire de Beni Zeiyan roi de Tlemcen , Paris , 1852.

- * **Coudray** , relation commerciale de Tlemcen avec le soudan , in bulletin de société de géographie d'Alger 2^{ème} 1887 .
- * **Cuoq (joseph)** ; histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin du 15 siècle librairie orientaliste Paul Geuthne, Paris 1984.
- * **DHINA (Atallah)** , les états de l'occident musulman au XIII , XIV , et XV siècles , O.P.V Alger 1984.
- * **Marçais (G)** , conférence sur Tlemcen ville d'art et d'histoire , le 1504/1936 à Tlemcen au 2eme congre de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord .
- * **Marçais (G)** remarques sur les Medersas Funeraires en berberie , le Caire imprimerie de l 'institut Français d'archéologie 1937 .
- * **Marçais(g) , et william** , les monuments arabes de Tlemcen , vol 1 paris 1903 .
- * **DHINA (A)** , le royaume Abdelmouahidid à l'époque d'abou – hammou moussa 1^{er} et d'abou Tachfine 1^{er} Alger 1985.

* **Laroui** (abdallâh), l'histoire du maghréb, librairie
François Maspero ,1976, 1et 2.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شجرة ملوك ماري

سوندياتا (ماري جاظة)

أبو بكر

(بنت)

وايي

خليفة

ولي

منسا موسى

منسا سليمان

سكوري

أبو بكر

منسا سليمان

ماري جاظة

قيسا

منسا سليمان

صندكي الوزير

منسا موسى

محمد بن قو

70-69

الملك الأبرص

الملحق رقم 2 -

شجرة ملك أسرة استغينا

أبو بكر

أسقة الحاج محمد الأول

1528-1493

أخرون

عمار

محمد بن كن

1537-1531

موسى

1531-1528

إسماعيل

1539-1537

إسحاق

1550-1539

داود

1582-1550

محمد

1586-1582

محمد بنان

1588-1586

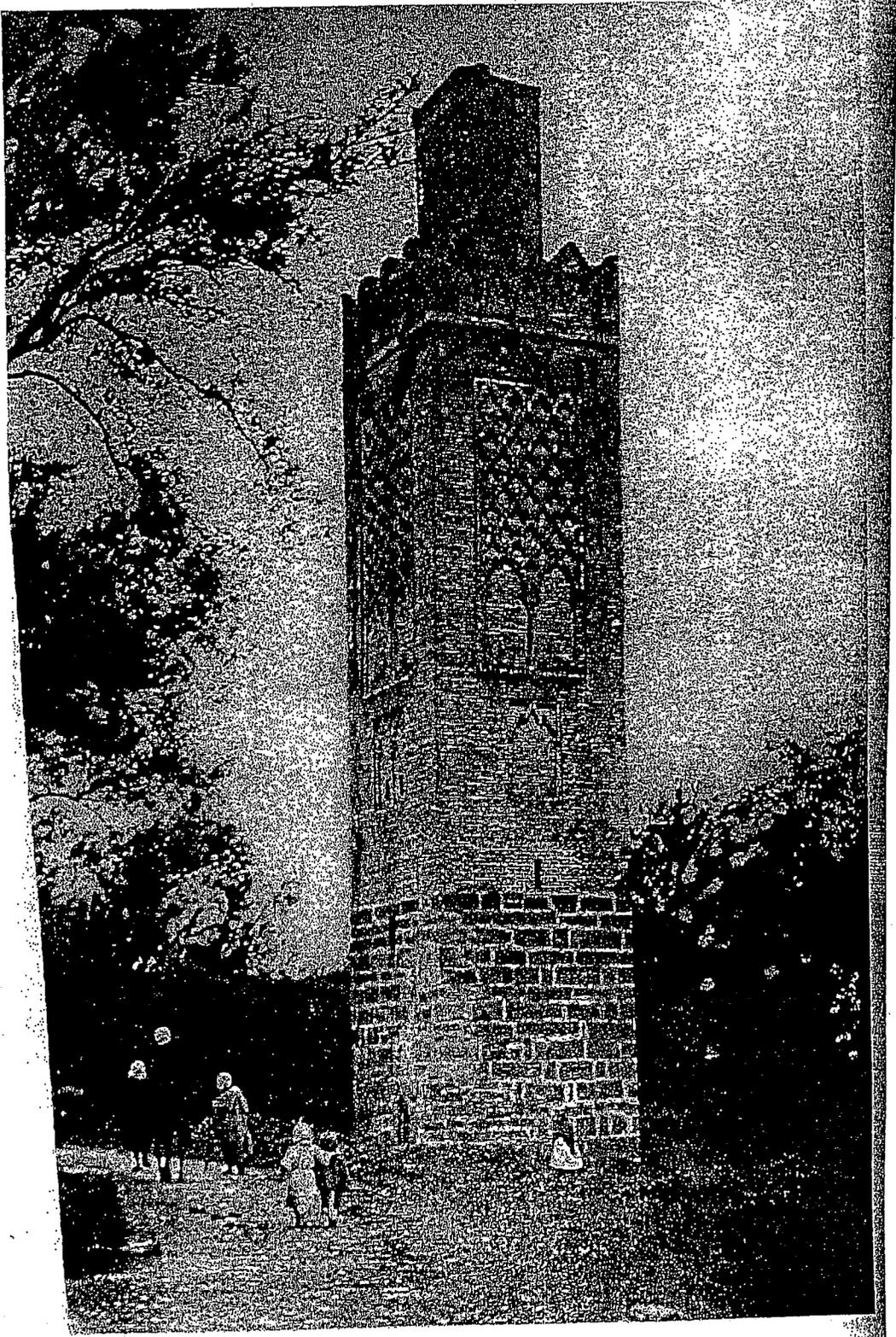
إسحاق

1591-1588

محمد غياو

1592-1591

ملحق رقم 3



مئذنة مسجد أجادير

ملحق رقم - 4 -



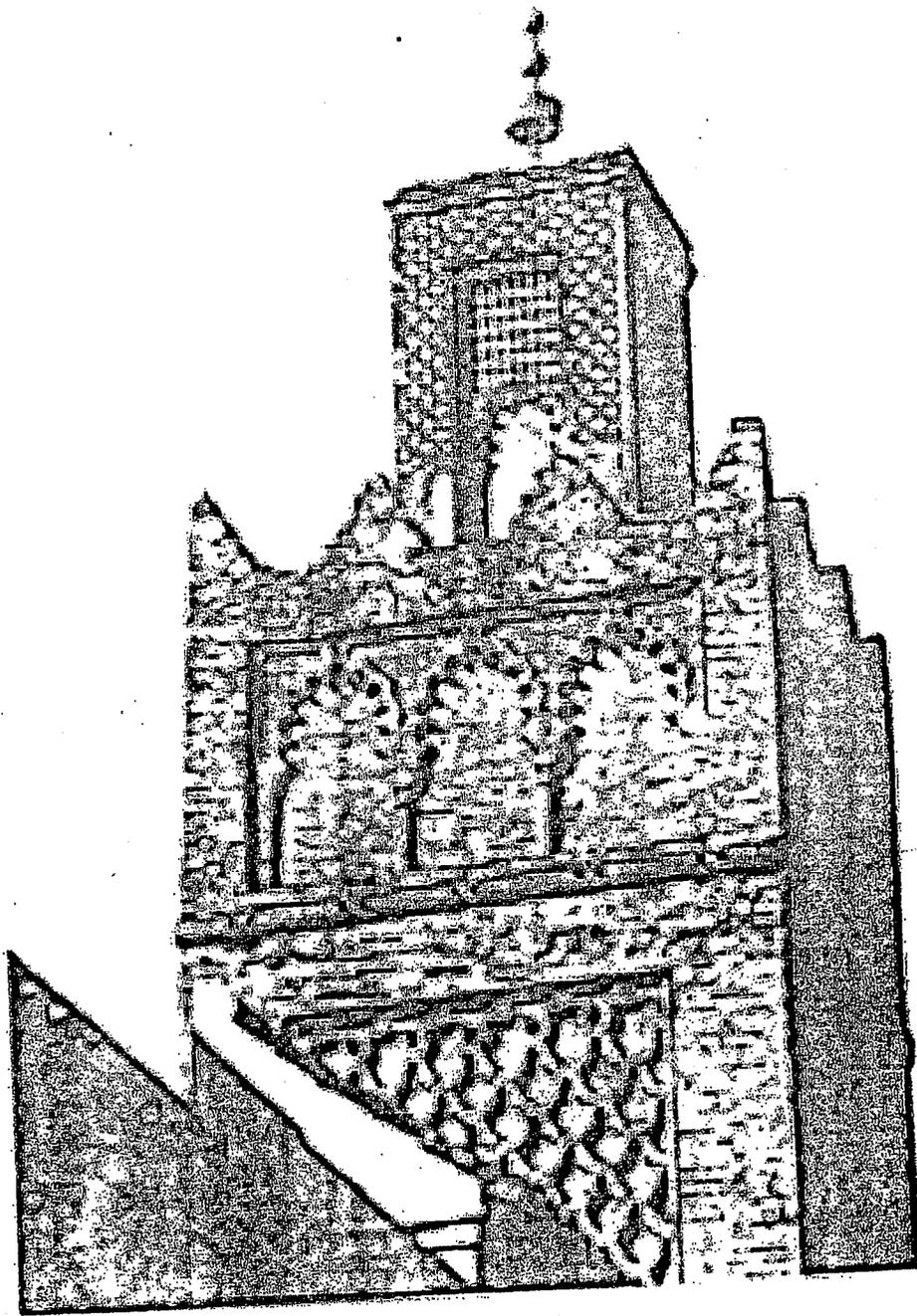
مسجد سيدي أبي الحسن التنسي

ملحق رقم - 5 -



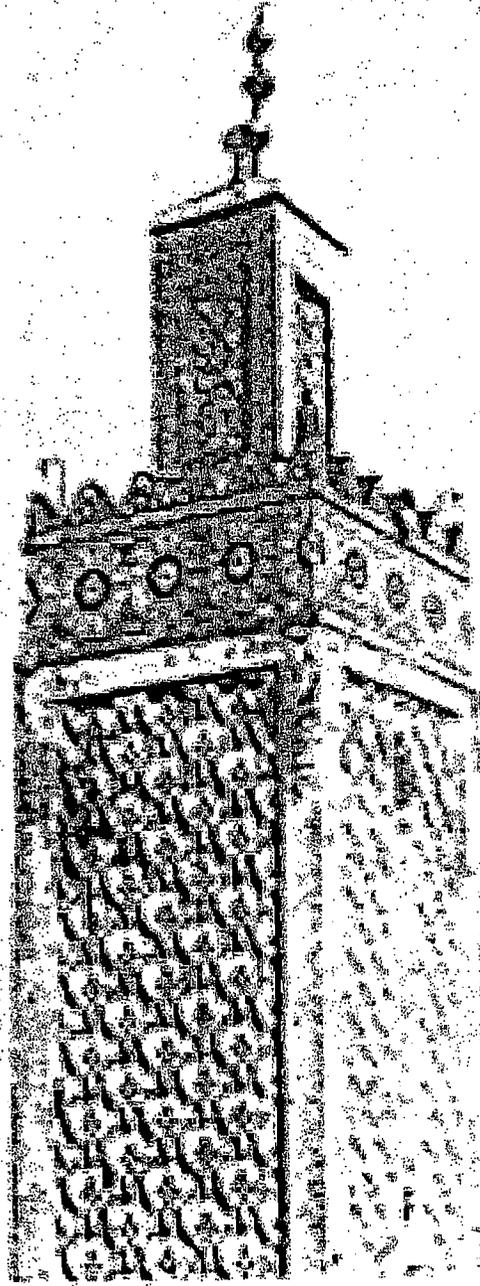
محراب مسجد سيدي أبي الحسن التتسي

ملحق رقم - 6 -



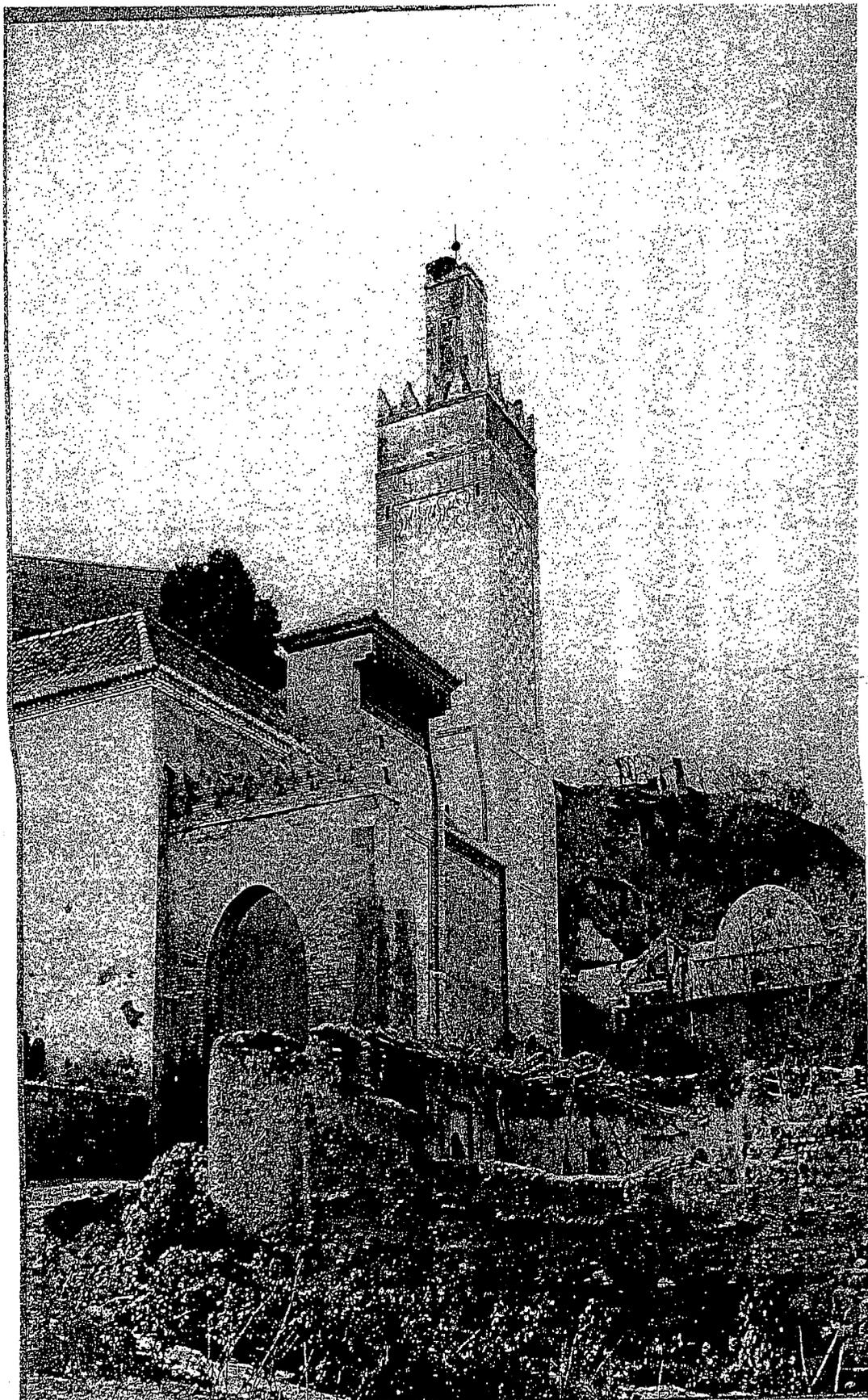
مئذنة مسجد سيدي أبي الحسن التنسي

ملحق رقم - 7 -



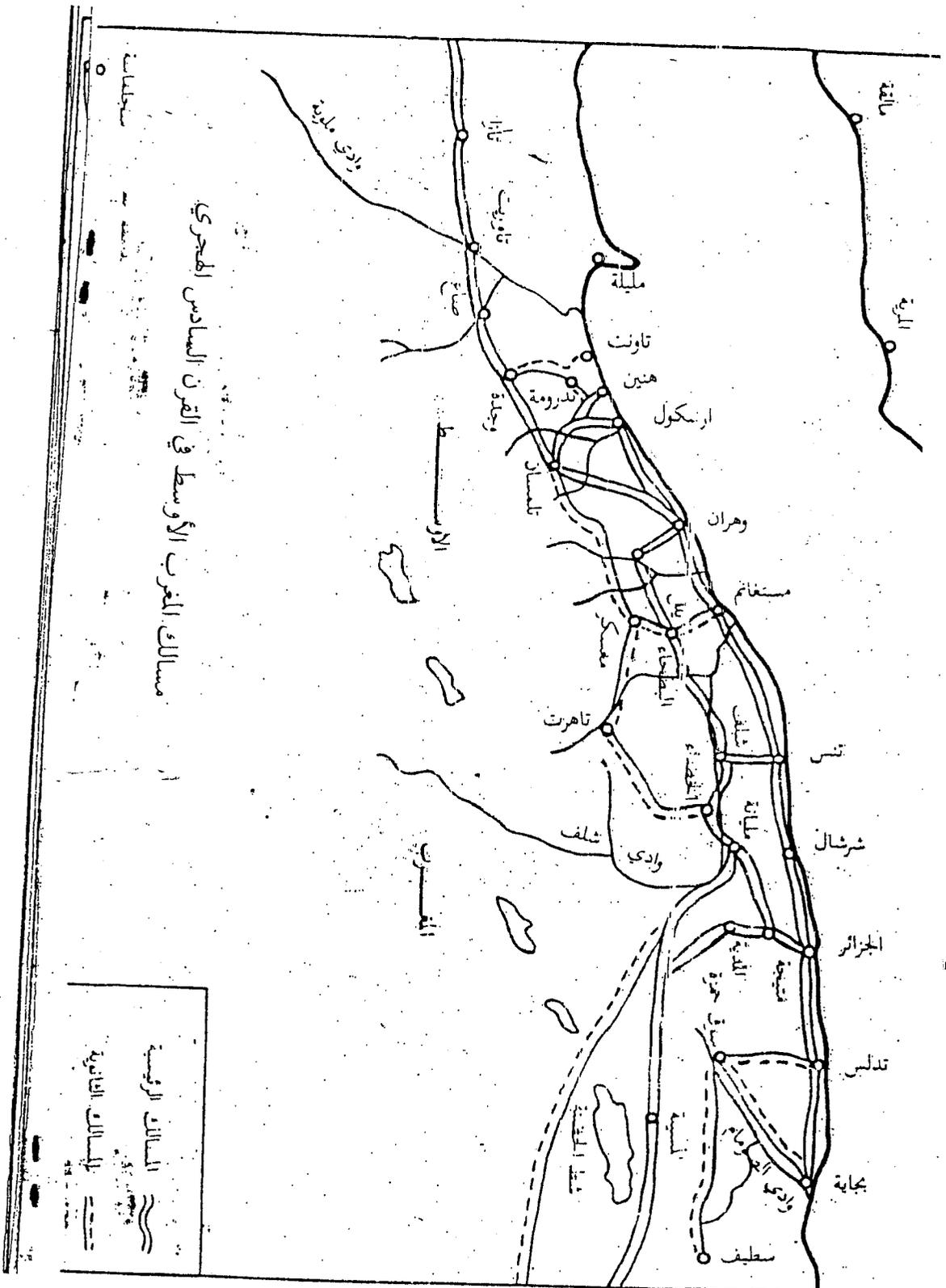
مئذنة مسجد سيدي أبي مدين

ملحق رقم - 8 -



مسجد سيدي الحلوي

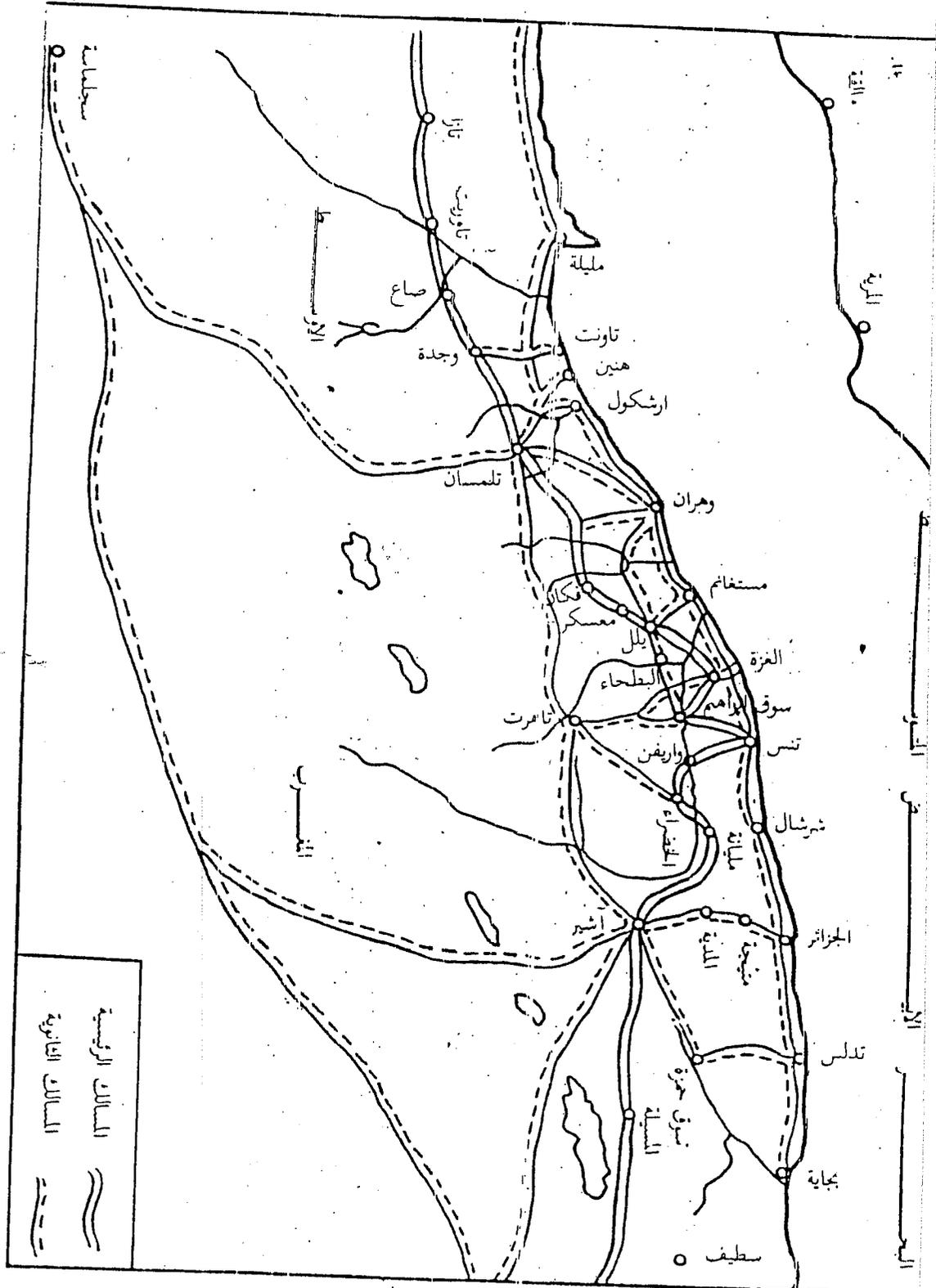
ملحق رقم - 9 -



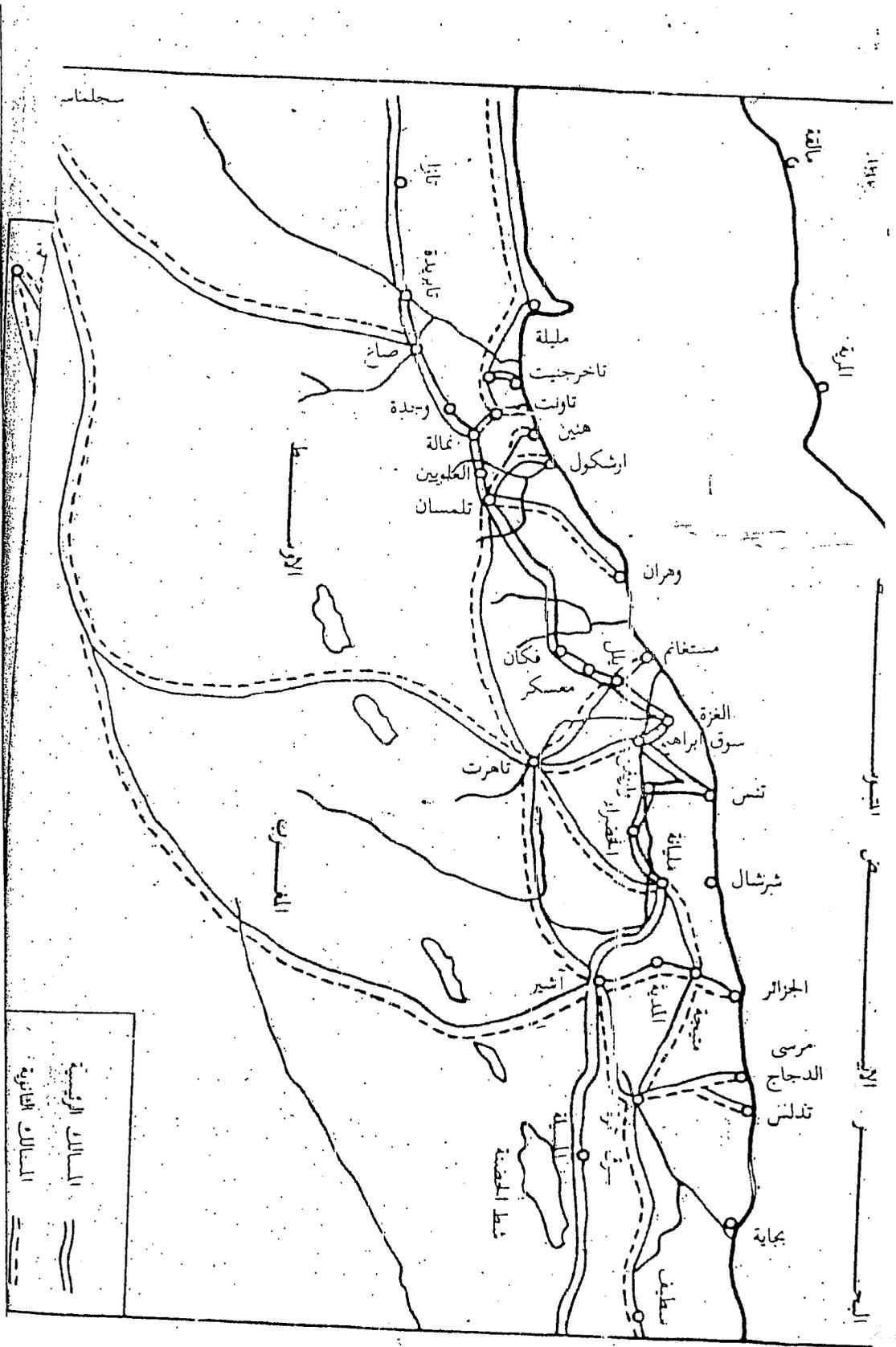
مسالك المغرب الأوسط في القرن العاشر الهجري

ملحق رقم 10

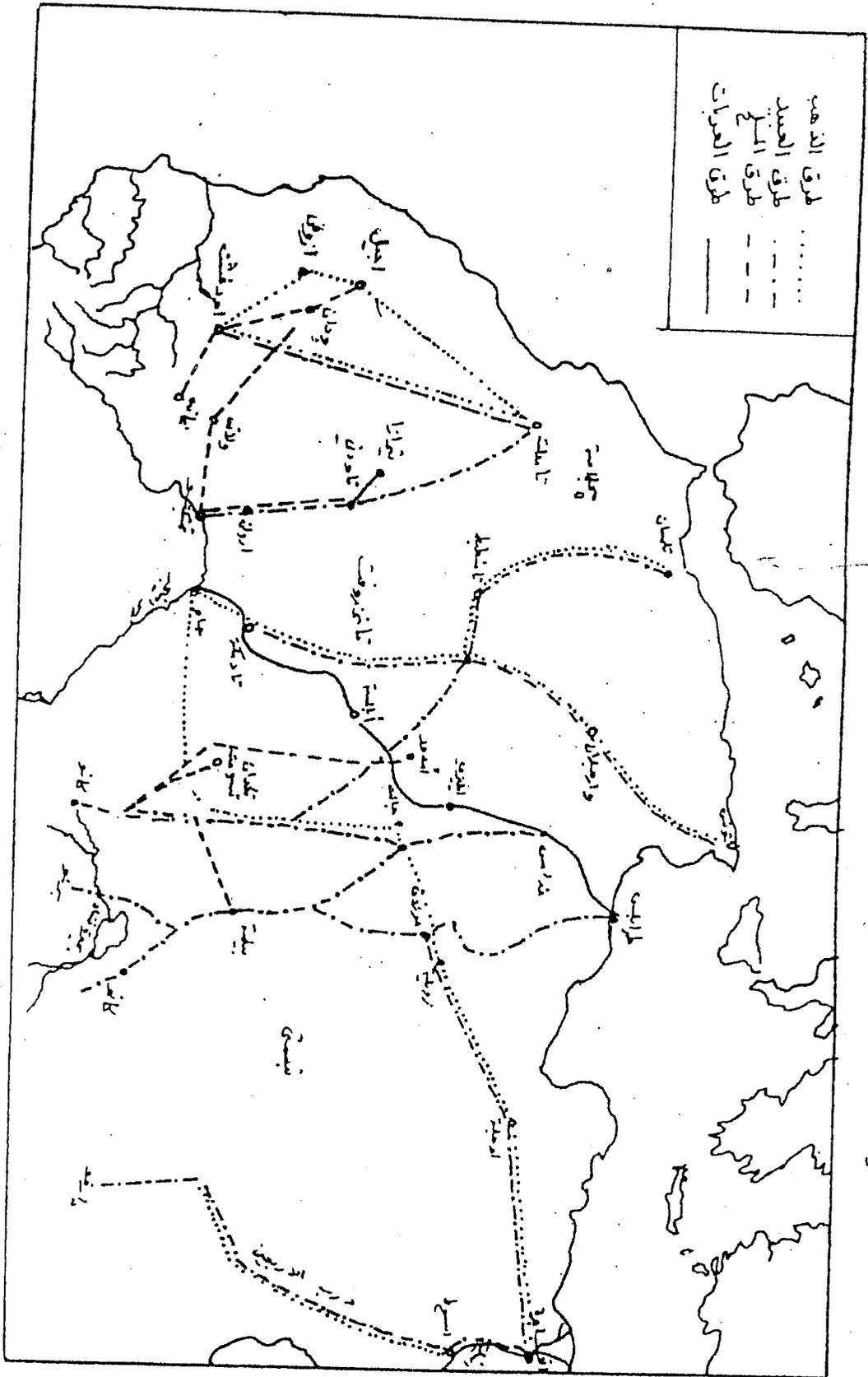
المسالك الرئيسية
 بالمسالك الثانوية



مسالك المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري
 110
 ملحقة رقم 11



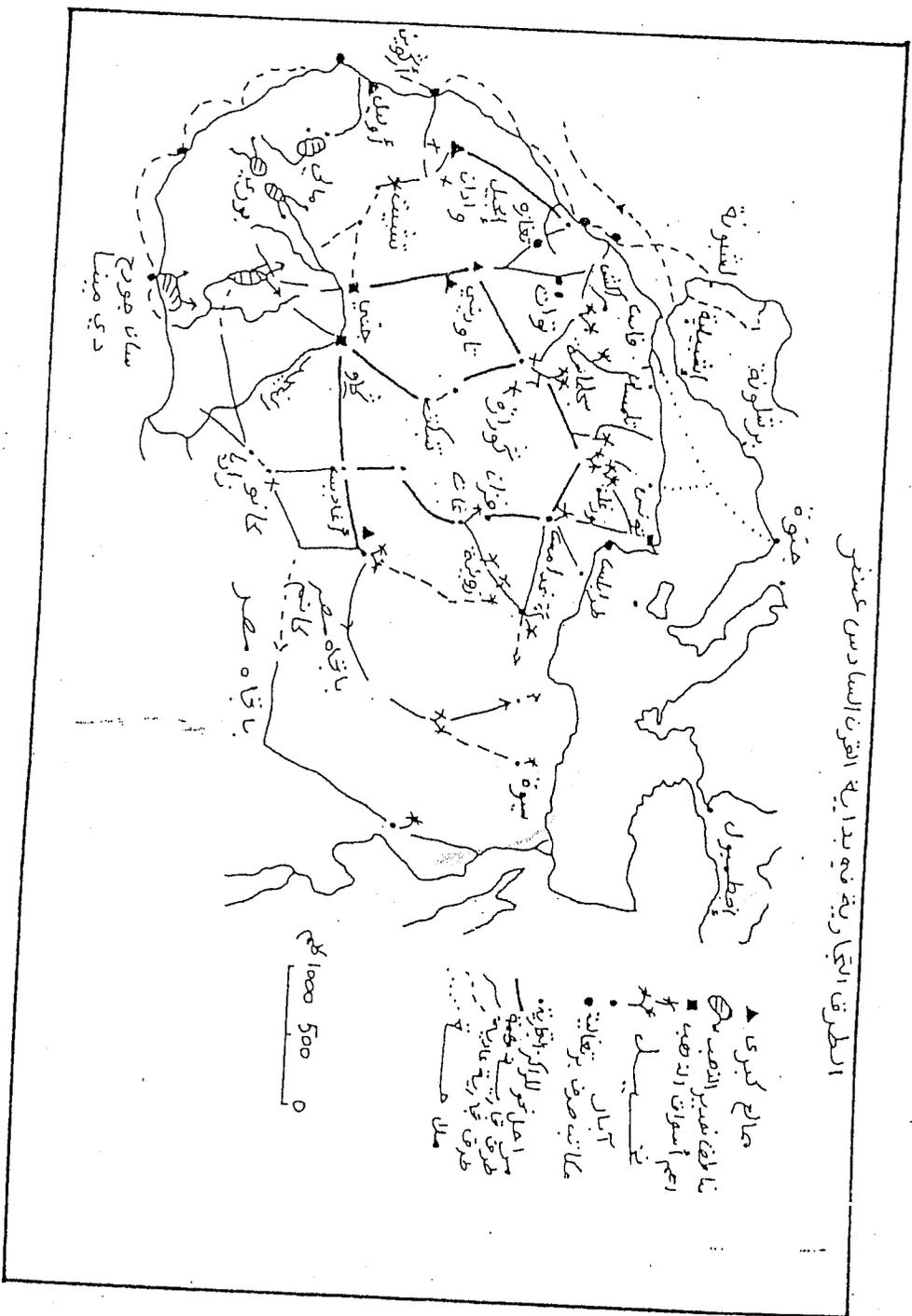
المسالك التجارية في القرن التاسع الهجري ملحوق رقم 12

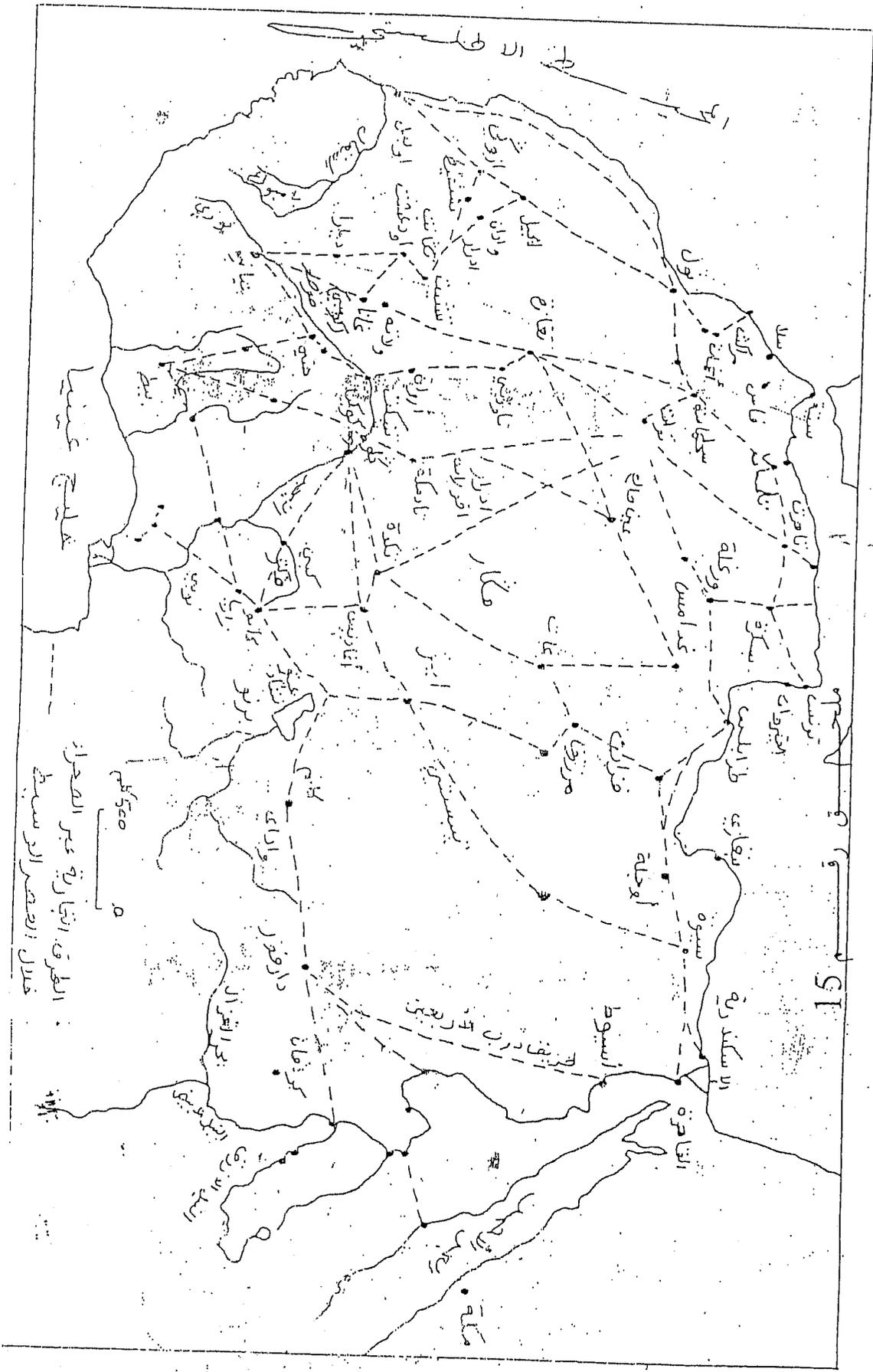


طرق الذهب
 طرق البضائع
 طرق الحج
 طرق العمارة

ملحقة رقم 13

Zakari Dramani Issifou, "l'Afrique noire dans les relations internationales du XVIIe siècle, analyse de la crise entre le Maroc et le sonnhai", éditions KARTHALA, Paris, 1982, P.91





الفنار

41'

41'

فهرس الأمان والمرفأ والنزل

آبلة ، ص 166.

الأبيض سيدي الشيخ ، ص 314.

أءوغست ، ص 40، 299، 300، 327.

أرغون، ص 272، 273، 274.

أرنان ، ص 304.

أروان ، ص 304.

الأزهر ، ص 151، 161.

الإسكندرية ، ص 150.

أشبيلة، ص 62، 240.

أغادس ، ص 190.

أغادير ، ص 13، 67.

أغمات ، ص 313.

إغيل ايزان، ص 32.

أفركان ، ص 304.

إفريقيا ، ص 38.

أقادير ، ص 13.

أقبلي ، ص 312.

- أقدز، ص 197، 302.
- أقلي ، ص 304.
- أكور ن ص 37.
- الأندلس ، ص 28، 29، 46، 62، 64، 68، 74، 76، 87، 129، 133، 135، 140، 149،
277.
- أهير ، ص 216، 249.
- أورار ، ص 238، 259، 260.
- أوروبا، ص 17، 46، 272.
- إولاتن ، ولاتة، ص 190، 200، 223، 256، 288، 301، 314، 315، 316، 322، 330.
- اثيوبيا ، ص 329.
- ارشكول ، ص 18، 267.
- إفريقيا ، ص 149، 19، 29.
- ايسلي ، ص 23، 28.
- ايغلي ، ص 313.
- بامبوك ، ص 37، 293.
- بامكو، ص 43.
- بجاية، ص 19، 20، 92، 94، 95، 102، 107، 112، 118، 120، 149، 151، 153، 160،
161، 178، 193، 311.
- برشك، ص 27، 71، 82، 108، 267، 261.
- برشلونة ، ص 328.

- برشلونة، ص 272.
- برقة، ص 40.
- برنو، ص 41، 292، 295، 311.
- بسكرة، ص 95، 288.
- البطحاء، ص 18، 32.
- بطوية، ص 31.
- بغداد، ص 80.
- بلاد السودان، ص 17، 56، 239، 247، 257.
- بلملم، ص 42.
- بوسمغون، ص 314.
- تاجرا، ص 13.
- تاجرارت، ص 13.
- تادلا، ص 13، 313.
- تادمكت، 295، 311.
- تازا، ص 31، 313.
- تاسيلي، ص 312.
- تامزدكت، ص 21.
- تامسنا، ص
- تاهريت، ص 313.

تاودين ، ص 304.

تاوريت، ص 313.

تجارات ، ص 13.

تدلس ، 19، 30.

تديكلت ، ص 311.

تركيا، ص 103.

تسالة ، ص 267.

تسييت ، ص 302.

تعزة ، ص 200.

تعيزن ، ص 28.

تغازا ، ص 51، 52، 298، 314، 315، 329.

تقرت ، ص 240، 311.

تقيلالت ، ص 313.

تكرة ، ص 248، 286، 292، 324، 330.

تكرور ، ص 56، 231.

تلمسان، ص 13، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 29، 30، 32،

33، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 71، 72، 74، 81، 84، 85، 86، 88، 92،

93، 95، 97، 99، 101، 106، 109، 113، 117، 121، 122، 124، 129، 133، 134،

135، 136، 138، 141، 143، 146، 150، 154، 155، 161، 166، 167، 172، 176،

178، 179، 180، 181، 193، 237، 245، 256، 267، 270، 273، 274، 279، 280،

281، 283، 295، 302، 303، 310، 313، 322، 323، 325، 330.

تبيكت ،تومبوكتو ، ص 45، 46، 47، 48، 52، 54، 55، 190، 191، 195، 196،
197، 215، 216، 271، 219، 221، 223، 226، 253، 256، 297، 299، 303، 305،
311، 315، 331.

تمبو ، ص 257.

تمنيط ، ص 241، 242، 243، 224.

تنرغة ، ص 259.

تنس ، ص 309.

تهرت، ص 151، 309.

توات ، ص 14، 124، 126، 165، 196، 222، 238، 239، 241، 242، 243، 247،
256، 262، 285، 298، 301، 303، 304، 308، 311، 313، 323.

تونس ، ص 19، 29، 62، 69، 94، 96، 102، 103، 110، 151، 153، 170، 175، 183،
309، 311، 312، 330.

تيمسا ، ص 304.

تيميمون ، ص 238، 304، 314.

تينملل ، ص 71.

تيوت، ص 314.

جانت ، ص 240.

جبل راشد، ص 15.

جراوة ، ص 309.

جرسيف ، ص 313.

الجرید، ص 311.

الجزائر ، ص 14، 19، 27، 30، 60، 65، 74، 86، 87، 95، 102، 107، 269، 272،
311.

جني ، ص 46، 47، 51، 54، 190، 198، 200، 226، 217، 228، 253، 299.

جوجو ، ص 296.

جينوة ، ص 328.

الحجاز، ص 103، 218، 230.

الخرطوم ، ص 258.

دارفور ، ص 258.

درعة، ص 298.

دنري ، ص 200.

رغازي ، ص 296.

رغيس ، ص 20.

الرقان ، ص 313.

زا، ص 17.

الزاب ، ص 110.

زغاي ، ص 292، 314.

زوزقانة ، ص 313.

زويلة ، ص 311.

الزيتونة، ص 66، 69.

زيز ، ص 309.

سبتة، ص 32، 32، 93، 175.

سبدو ، ص 314.

سجلماسة ، ص 14، 29، 30، 40، 273، 296، 298، 301، 303، 308، 309، 313،
315، 322.

سعيدة ، ص 14.

سلا ، ص 98.

سينغال ، ص 37، 257.

سينغايي ، ص 47، 48، 49، 51، 52، 53، 189، 191، 195، 199، 212، 219، 230،
234، 237، 285، 293، 294، 318، 321، 325.

السودان الغربي : أ، ب ، ج ، د ، ص 17 ، 30 ، 35 ، 50 ، 53 ، 125 ، 187 ،
188 ، 189 ، 190 ، 206 ، 210 ، 211 ، 214 ، 219 ، 275 ، 230 ، 237 ، 244 ، 245 ،
246 ، 249 ، 251 ، 245 ، 255 ، 262 ،

سوق إبراهيم ، ص 309.

سوق حمزة ، ص 309.

سيوة ، ص 311.

الشام ، ص 246، 277.

شرشال ، ص 108، 268.

شلف ، ص 27، 267.

شومين ، ص 304.

- الصفصيف ، ص 27.
- طليطلة، ص 63.
- طرابلس ، ص 40، 193، 297، 298، 330.
- طنجة، ص 23.
- طور ، ص 48، 226.
- العراق ، ص 277.
- العلوين، ص 169.
- غانة ، ص 35، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 43، 188، 191، 253، 296، 299، 300،
301، 309، 327، 328.
- غاو ، ص 45، 46، 47، 53، 190، 199، 200، 201، 219، 228، 253، 293، 296،
303، 309، 311.
- غدامس ، ص 40، 297، 298، 311، 312.
- غرداية ، ص 311، 312.
- غرناطة ، ص 21، 29، 60، 62، 96، 130، 133، 179، 180، 182، 240.
- غينيا ص 35، 37، 44، 257.
- فارس ، ص 277، 305.
- فارس ، ص 326.
- فازار ، ص 13.
- فاس ، ص 23، 32، 65، 66، 96، 121، 149، 153، 154، 155، 193، 256، 260، 261،
295، 313، 330،

- فزان ، ص 297، 311.
- فسطالة، ص 24.
- فقيق ، أو فجيح ، ص 14، 15، 313.
- فلورنسا ، ص 328.
- فوتاجالون ن ص 257.
- قاليمي ، ص 37.
- القاهرة ، ص 45، 46، 96، 150، 151، 161، 182، 188، 230، 295.
- قابس ، ص 312.
- قرطاجة ، ص 308.
- قرطبة، ص 68.
- القرويي، ص 66، 69، 193، 260.
- القيروان، ص 27، 65، 66، 168، 256، 295.
- قسنطينة ، ص 14، 20، 95.
- قشتالة ، ص 27، 149، 273.
- قفصة، ص 13.
- قورارة ، تيكورارين ، ص 30، 241، 268، 302، 303، 314.
- كابرا، ص 218، 225.
- كاغو 125 ، 245 ، 250
- كالزاد، ص 179.

- كانم ، ص 296 ، 321
- كانو ، ص 125 ، 249 ، 250 ، 312 ، 317 ، 321 ، 323 ، 324 ، 326 ، 327 ، 330
- كرينا ، ص 42 ، 43
- كشن ، ص 249
- كنكا ، ص 257
- كوكا ، ص 312
- كوكو ، ص 42 ، 214
- كوكوا ، ص 296
- كوكيا ، ص 48
- كومبي صالح إن صالح 37 ، 38 ، 253 ، 309 ، 312 ، 313
- ليبا ، ص 197
- ماسة ، ص 309
- مالقة ، ص 133 ، 144
- مالي ، ص 27 ، 37 ، 38 ، 42 ، 44 ، 46 ، 47 ، 51 ، 52 ، 188 ، 193 ، 208 ، 214 ، 215 ، 221 ،
230 ، 237 ، 285 ، 298 ، 309 ، 322
- مانسة ، ص 221
- مبروك ، ص 304
- متيعة ، ص 267
- مجريط ، ص 166
- المدية ، ص 28 ، 30 ، 74

مراكش ، ص 18، 21، 23، 30، 31، 52، 65، 69، 98، 175، 295.
المرسى الكبير، ص 18.
مرسية، ص 130.
مرماجنة ، ص 20.
مستغانم، ص 18، 74، 267، 268، 269، 271.مازونة، ص 18، 65، 86، 267.
مسرد ، ص 257.
مشدالة ، ص 159.
المشرق العربي ، ص 46، 65.
مصر ، ص 103، 151، 160، 198، 298، 218، 224، 230، 246، 309.
مطغرة، ص 104.
المغرب ، ص 246.
المغرب الأدنى، ص 223.
المغرب الأقصى، ص 14، 28، 30، 49، 52، 60، 65، 67، 69، 71، 93، 115، 223، 298.
المغرب الأوسط، أ ، ب ، ج، د، ص 15، 16، 17، 19، 25، 28، 29، 33، 49، 59، 60، 62، 64، 65، 66، 73، 77، 81، 84، 87، 94، 96، 103، 104، 117، 149، 154 ، 223، 238، 240، 249، 253، 254، 255، 303، 308، 317، 322، 324 .
مقرازة، ص 37.
مقرة، ص 110.
مكانة ، ص 28.

- مكة ، ص 188 ، 296.
- مكناس ، 30.
- ملكوية ، ص 27.
- ملل ، ص 41.
- ملوية ، ص 17.
- مليانة ، ص 14، 18، 19، 28، 30، 108.
- المنصورة، ص 5، 27.
- موريتانيا ، ص 257، 310.
- ميمّا ، ص 43.
- ميورقة ، ص 272، 328.
- ندرومة ، ص 18، 25، 29، 74، 267، 268.
- نزان ، ص 197، 198.
- نهر النيجر ، ص 41، 53، 55، 285، 286، 288، 291، 299.
- نوميديا ، ص 302.
- نياني ، ص 46.
- نيسايور ، ص 78.
- النيل ، ص 309.
- الهقار ، ص 310.
- هنين ، ص 25، 166، 267، 268، 270، 273، 275، 328.

الهوسة، ص 227
واد الناموس ، ص 314.
وادي الساورة ، ص 239.
وادي مينة ، ص 14.
والون ، ص 304.
وتير، ص 304.
وجدة، ص 23، 313.
ورقلة ، ورجلان، ص 14، 240، 295، 296، 308، 311.
وقبير ، ص 313.
ونقارة ، ص 37، 290، 327.
ونكرا ، ص 228.
وهران، ص 18، 25، 27، 30، 62، 65، 74، 78، 81، 82، 86، 267، 271، 273، 275.
309، 320، 328.
يسر ، 27، 102.

فهرس الأعمام والقبائل

- أبركان (الحسن) ص 100.
- الآبلي (إبراهيم) ص ، 93 ، 97 ، 106 ، 110 ، 116 ، 153143149 ، 166 ،
175 ، 171 ، 170 ، 169 ، 167168
- أبو إسحاق (إبراهيم الحفصي) ص 96.
- أبو إسحاق إبراهيم ص 133.
- أبو البركات (الغماري) ص 245.
- أبو البركات الشريف ص 142 ، 143.
- أبو الحسن (المسجد) ص 70 ، 71.
- أبو الحسن (علي ابن عثمان) ص 85.
- أبو الحسن (علي السعيد) ص 19 ، 20 ، 21 ، 22.
- أبو الحسن ابن أبي نصر ص 95.
- أبو الحسن التلمساني (الخزاعي) ص 136.
- أبو الحسن المريني ص 27 ، 72 ، 86 ، 94 ، 134 ، 109 ، 175
- أبو الحسن بن سهل ص 133.
- أبو الربيع (سليمان) ص 103 ، 104.
- أبو العباس (العاقل) ص 282.
- أبو العباس المريني ص 31 ، 32 ، 33.
- أبو العباس النقاوسي ص 103.

- أبو العشائر ص 31.
- أبو القاسم الخشاب ص 99.
- أبو القاسم السبتي ص 115.
- أبو الكداد العمري ص 242.
- أبو المطرف ص 133.
- أبو بكر ابن عبد الحق المريبي ص 22.
- أبو بكر بن دحمان ص 133.
- أبو تاشفين (عبد الرحمان الأول) ص 83.
- أبو تاشفين الأول ص 280، 321.
- أبو ثابت ص 28، 84.
- أبو حفص عمر ص 18.
- أبو حمو ابن سعيد ص 94.
- أبو حمو موسى الأول ص 108، 278.
- أبو حمو موسى الثاني ص 3، 7، 30، 31، 32، 33، 61، 71، 82، 84، 117.
- 157، 150، 154 ص 172.
- أبو رفاع ص 160.
- أبو زكرياء ابن عصفور ص 93.
- أبو زكرياء الحفصي ص 19، 80.
- أبو زيان محمد الثاني ص 88، 89.
- أبو سالم المريبي ص 149.
- أبو سعيد عثمان ص 24، 69، 84، 106، 141.

- أبو سعيد يعقوب المريبي ص 24.
- أبو عبد الله ابن سليمان ص 18.
- أبو عبد الله الحفصي ص 153.
- أبو عبد الله الزياتي ص 21.
- أبو عبد الله الشريف ص 94، 108، 115، 115، 175.
- أبو عبد الله المتوكل ص 282.
- أبو عنان المريبي ص ، 148، 143، 153.
- أبو عنان المريبي ص 168.
- أبو عنان ص 28، 29، 117.
- أبو عنان فارس ص 86، ص 137.
- أبو غاضو التوري (مسجد) ص 198.
- أبو فارس الحفصي ص 20، 330.
- أبو فارس عبد العزيز ص 95.
- أبو مالك عبد الواحد ص 20.
- أبو محمد عبد الوهاب المالكي ص 92.
- أبو مدين الغوث ص 3، 72، 115.
- أبو مدين شعيب (المدرسة) ص 85.
- أبو يحيى يغمراسن ص 93، 166.
- أبو يعقوب الزياتي ص 158.
- أبو يعقوب يوسف الريغي ص 160.
- أبو يعقوب يوسف المريبي ص 25، 27، 84، 93، 106.

- أبو بكر بن محرز ص 133.
- أحمد أبو الحسن ص 170.
- أحمد المنصور ص ، 220 ص 52.
- أحمد بابا (أبو عبد الله) ص 207.
- أحمد بابا التمبوكتي ص 4 ، 5 ، 122 ، 206 ، 208 ، 212 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ،
222 ، 224 ، 231 ، 232 ، 233.
- أحمد بن طوير الجنة ص 259.
- أحمد زرق ص 217.
- إدريس (ابن عبد الله) ص 67.
- الإدريسي ص 1 ، 36 ، 42 ، 315 ، 328.
- أر سطو ص 170.
- أزغار ص 23.
- أزناق (عمر ابن علي) ص 18.
- الأساقي ص 188 ، 189.
- إسحاق (داود) ص 51.
- أسداغوا (مسجد) ص 198.
- أسقيا اسحاق ص 226.
- الأسقيون ص ب ، 220 ، 254 ، 288 ، 293 ، 294 ، 325.
- الأسيوطي ص 224.
- الأساعرة (فرقة) ص 91.
- الأشعري (أبو موسى) ص 250.

الأصبهاني (شمس الدين) ص 92، 95، 105، 110.

الأفارقة ص 39، 86.

آقيت أحمد ص 224، 231.

آقيت (ابو بكر بن أحمد) ص 232.

آقيت أحمد ابن عمر ص 207.

آقيت أحمد ص 222.

آقيت عمر ص 223.

آقيت محمد ص 211، 216، 221، 231.

آقيت محمود ص 226.

ألفريد بال ص 3.

الإمام مالك (المذهب) ص 83.

أندغ (محمد بن الفقيه) ص 193.

أندغ (المختار) ص 208.

أندغ أبو عبد الله ص 220.

الأندلسيون ص 61، 62، 65.

الأنصاري (أبو عبد الله بن قطرال) ص 148.

الأنصاري محمد علي الحفار ص 99.

الأوروبيون ص 187.

الأوسي (أبو جعفر) ص 84.

أولاد بن عمر ص 243.

أولاد بيمان ص 259.

- أولاد تاشد بيت ص 259.
- أولاد سلام ص 243.
- أولاد سلامة ص 150.
- أولاد يحيى ص 243.
- ابن الخطيب (المؤلف) ص 111.
- ابن أبي يفلوس (عبد الرحمان) ص 30، 61.
- ابن الأثير ص 104.
- ابن الأحمر ص 32.
- ابن البناء (أبو العباس) ص 167. ص 175.
- ابن البناء ص 98، 115.
- ابن الجياب ص 110.
- ابن الحاجب ص.
- ابن الحاجب ص 97، 109، 119، 178، 200، 206، 220.
- ابن الخطيب (لسان الدين) ص 141.
- ابن السكاك ص 170.
- ابن العباس الإمام ص 163.
- ابن العباس الصغير ص 163.
- ابن اللجام (أبو عبد الله) ص 93.
- ابن النجار أبو عبد الله ص 160.
- ابن النجار ص 110. ابن بركة محمد ص 242.
- ابن النجار عبد الله ص 180.

- ابن بري ص 104.
- ابن بطوطة ص 2، 199، 201، 316، 329، 330، 331 ص 214.
- ابن تاشفين (علي ابن يوسف) ص 68.
- ابن جرار ص 28.
- ابن جني ص 78.
- ابن حجر ص 99.
- ابن حوقل ص 7، 36.
- ابن خلدون (عبد الرحمان) ص 2، 40، 43، 111، 116، 141، 168، 170، 149،
150، 151، 153.
- ابن خلدون (يحيى) ص 3، 4، 116، 141، 153، 275.
- ابن خميس ص 26، 61، 129، 132، 135، 138، 141، 142، 143، 144، 148
- ابن رشد 99، 170
- ابن زاغو أحمد ص 101، 160
- ابن زكري ص 101، 124، 163
- ابن زمرك ص 111، 117، 170
- ابن زيان (زيدان) ص 16.
- ابن سراج ص 207.
- ابن سعيد البكري ص 249:
- ابن سيده ص 78.
- ابن سينا ص 135.
- ابن سعد ص 4، 5.

- ابن عاصم ص 204.
- ابن عبد السلام ص 113.
- ابن عبد النور ص 170.
- ابن عدلان (شمس الدين) ص 95، 110.
- ابن عرفة ص 89، 115، 171.
- ابن عطوا ص 24.
- ابن علي ناصر الدين ص 94.
- ابن غازي (أحمد) ص 104.
- ابن غبلوب أبو الحسن ص 166.
- ابن فرحون ص 5، 109.
- ابن قنفذ ص 3، 114.
- ابن محمد مبارك ص 238.
- ابن مرزوق (أبو عبد الله) ص 92، 93، 106.
- ابن مرزوق الجد ص 94، 108، 115.
- ابن مرزوق الحفيد ص 98، 116.
- ابن مرزوق الكفيف ص 93، 106.
- ابن مریم ص 4، 116، 141.
- ابن هارون (أبو الحسن) ص 104.
- ابن هارون (عبد الله) ص 110.
- ابن هدية (أبو عبد الله) ص 95.
- ابن هدية (منصور) ص 110.

- ابن هدية القرشي ص 170.
- ابن هلال (أبو عبد الله) ص 175.
- ابن يحيى الشريف ص 101، 102.
- ابن يدير ص 101.
- ابن يرمر (محمد ابن عبد الله) ص 214.
- ابنا الإمام (مدرسة) ص 82.
- ابنا الإمام (مسجد) ص 71.
- الادريس ص 271.
- إسماعيل ابن مخلوف ص 18.
- الانصمي ص 246، 247.
- بؤس 54.
- بابا حيدة ص 242.
- بابا كور ص 208.
- الباروني (أبو البركات) ص 94، 107.
- الباروني ابو عبد الله ص 170.
- باغا يوغو ص 199.
- بالاما ص 52.
- الباهلي ص 110.
- البحريري ص 218.
- البخاري ص 220.
- البرادعي ص 204.

- البرانس ص 12.
- البربر ص 151، 240، 297، 329.
- البرجي (أبو القاسم) ص 151.
- البرزلي ص 103، 120.
- برغيس (أبو يحيى) ص 20.
- البرنسي ص 163، 165.
- البزناسي أبو زيد ص 93، 95.
- البساطي ص 103.
- بغبع ص 206.
- البغدادى محمود ص 216.
- البغدالي عبد الله ص 182.
- البكاي (أحمد) ص 246، 255.
- البكري ص 1، 36، 38، 42، 295.
- البلبالي (مخلوف) ص 248.
- البلبالي عبد الله ص 217.
- بلرلوم ص 48.
- البلفيقي (القاضي) ص 137.
- البلفيقي (محمد ابراهيم) ص 147.
- البلقيني (سراج الدين) ص 99.
- البلوي (أبو البقاء) ص 135.
- البلوي (أبو الحسن) ص 148.

البلوي أبو جعفر ص 182..

البليبي ص 103.

بن دقيق العيد ص 144.

بن السكاك ص 117.

بن باديس (أبو الحسن علي) ص 114.

بن تركش ص 217.

بن حمدون (أبو عبد الله) ص 148.

بن داود الأندلسي ص 163.

بني زيان ص ب ، 3، 4، 17، 28، 29، 60، 66، 71، 86، 141، 237، 266، 310.

بن سبع (عبد الرحمان) ص 245.

بن عصام (أبو زكرياء) ص 148.

بن عميرة (أحمد بن عبد الله) ص 133.

بن قلاوون ص 150.

بن مرزوق الحفيد (أبو الفضل محمد) ص 162، 180.

بن مرزوق الخطيب ص 72، 96، 97، 98.

بن مشيش (عبد السلام) ص 64، 258.

المحجوبي (عمر) ص 258.

بن هدية (القرشي) ص 134، 192.

بنبارا ص 41.

بنو العزفي ص 141.

بنو تنطق ص 40.

- بنو توجين ص 25.
- بنو حفص 60.
- بنو زمال ص 40.
- بنو عامر ص 33.
- بنو عبد الواد ص 60، 137، 316، 332.
- بنو غانية ص 14.
- بنو مرين ص 3، 60.
- بنو ملاح (أسرة) ص 277.
- بنو ناسجة ص 40.
- بني راشد ص 16.
- بني طاع الله ص 16، 28.
- بني كمي ص 16.
- بني مزغنة ص 269، 270، 272.
- بني مطهر ص 16.
- بني واسول ص 310.
- بني يلومي ص 16.
- البيهقي ص 79.
- بور (مسجد) ص 198.
- بورويس ص 217.
- بوعياذ (محمود) ص 4.
- البياز أبو بكر ص 179 .

- البياني أبو عبد الله ص 179.
- بيبرس الظاهر ص 44.
- البيروني ص 36.
- البيري ص 178.
- الناتائي ص 219.
- التاجوري عبد الرحمان ص 211، 218.
- التادختي (محمد) ص 122.
- التادلي (سيدي يحيى) ص 210، 216، 219.
- التازختي محمد ص 246، 248.
- التازي إبراهيم ص 78، 113، 121. ص 163
- التازي الحاج محمد ص 215.
- تاعلي ص 218.
- تافراجين ص 29.
- التبريزي ص 167.
- التجيني (أبو عثمان) ص 148.
- تدوكسن ص 28.
- ترف أحمد القاضي ص 228.
- التشتي (عثمان) ص 195.
- التكرور (قوم) ص 6، 45، 56، 190، 201، 220، 230، 231، 234، 245، 246، 288، 296.
- التلالسي أبو عبد الله ص 172.

- التمبوكتي (محمود بن محمد) ص 196.
- التميمي (أبو عبد الله) ص 170، 129.
- التميمي (عبد النور) ص 110..
- التنسي (أبو اسحاق) ص 144.
- التنسي (أبو اسحاق ابراهيم) ص 92، 93، 105، 124.
- التنسي (أبو الحسن) ص 69، 93، 106.
- التنسي (عبد الجليل) ص 4، 28، 101. ص 245 ص 163، 162.
- التنكي (أحمد بن محمد) ص 194.
- التنلافي (عبد الكريم) ص 249.
- التنواجيوي ص 258.
- التواتي (محمد بن علي) ص 196.
- التواتي بلقاسم ص 193.
- التواتيون ص 257، 304.
- التوزي (عبد الله) ص 110.
- التيروني ص 160.
- الثعالي (أبو زيد) ص 99، 113.
- الثعالي (زاوية) ص 77.
- الثعالي (عبد الرحمان) ص 100، 103، 122.
- الثغري (إبراهيم) ص 117.
- الثغري القيسي ص 170.
- الجاذري ص 177.

- الجازولي (أبو زيد) ص 110.
- الجازولي (أبو عبد الله) ص 148.
- الجازولي (سليمان) ص 260، 261.
- الجبرتي (عبد الوهاب) ص 110.
- جثم ص 23.
- الجدالي (أبي الحسن) ص 95.
- الجدامي أبو عبد الله ص 181.
- الجدامي (محمد بن علي بن الفخار) ص 147.
- الجدامي محمد ابن عفان ص 98.
- الجلاب أبو عبد الله ص 119، 122.
- الجنحاني ص 56.
- جنور ص 54.
- الجنيدي (أبو القاسم) ص 258.
- جودر باشا ص 52.
- الحاج عبد الرحيم ص 251.
- الحاج محمد البكري ص 218.
- حاجيات (عبد الحميد) ص 3، 8، 9.
- الحبّاك ص 176، 177.
- الحسن بن عصفور ص 133.
- الحسناوي ص 160.
- الحصني علم الدين ص 181.

- الحضرمي (أبو عبد الله) ص 148.
- الحضرمي (أبو محمد عبد المهيمن) ص 148.
- الحضرمي (عبد المهيمن) ص 153.
- الحضرمي (محمد) ص 178.
- الحضري (عثمان أبي بكر) ص 197.
- الخطاب بركات ص 224.
- الحفصيون ص 29، 63.
- حلصو (مسجد) ص 197.
- الخطيب ابن مرزوق السبط ص 163.
- خلوف المغيلي اليهودي ص 167.
- داود أسقيا ص 189، 194، 198، 199، 208.
- داود ابن الخطاب ص 60.
- الداودي (محمد الاغظف) ص 260.
- الدباج ص 133.
- الدراري (أنور) ص 100.
- الدكالي أبو العباس ص 214.
- الدكالي أبو عبد الله ص 94.
- الدكالي أبو عثمان سعيد ص 215.
- دكو (مسجد) ص 198.
- الرازي (فخر الدين) ص 151.
- الراشدي (أبركان) ص 121.

- الرتيمي عيسى ص 180.
- الرصاع ص 245.
- الرفاء (أبي علي الحسن) ص 130.
- رياح ص 23.
- زا ص 48.
- الزاجتي ص 105.
- الزاهد أبي صالح ص 133.
- زبادية ص 7.
- زتاة ص 15، 17.
- زرقون (محمود) ص 228.
- الزعي ص 103.
- الزغرائي ص 217.
- الزقاق ص 105.
- الزليطي ص 224.
- الزخشري ص 99.
- الزموري ص 223.
- الزنج ص 240.
- الزواوي (إبراهيم)، ص 112 .
- الزواوي (أبو منصور) ص 153.
- الزواوي (بلقاسم) ص 163.
- الزواوي (محمد السعيد) ص 118.

- الزواوي (منصور) ص 177.
- الزواوي (نصر) ص 100، 113.
- الزواوي (أبو القاسم) ص 114.
- الزيانيون ص 3، 60، 61، 77، 129، 278.
- الزيدوري الحجاج ص 180.
- الساحلي (أبو إسحاق) ص 194.
- سان سباستيان ص 52.
- سحنون (أبي سعيد) ص 204.
- السخاوي (عبد المعطي) ص 224.
- السراقسطي أبو عبد الله ص 182.
- السراكولي ص 41.
- السرير ص 41.
- السطي ص 110 . 170.
- السعدي (عبد الرحمان) ص 48، 190، 194.
- سعيد بابا (الإمام) ص 194.
- السعيدي ص 205.
- سكاف ص 217.
- سكورة ص 44.
- السلاجقة ص 80.
- السلوي ص 48.
- السنباطي (ابن الشريف) ص 248، 249.

- ستاعون (العمادي السوداني) ص 194.
- السندسي محمد ص 176.
- سندياتا كايطا ص 43، 45.
- السنوسي (الزاوين) ص 77.
- السنوسي (محمد ابن يوسف) ص 4، 113، 124، 126، 180، 177، 247.
- سنيار ص 48.
- السودانيون ص 221، 230، 237، 252، 331.
- السوسي (أبي زكرياء) ص 119.
- السوقي (عبد الكريم) ص 232.
- السونكي ص 35، 44.
- سيويه ص 119.
- سيد الحلوي (المسجد) ص 113.
- سيد الحلوي (مدرسة) ص 86.
- سيد الهواري (زاوية) ص 78.
- سيدي الهواري (ابو عبد الله) ص 120.
- سيدي عبد الرحيم ص 215.
- سيدي يحيى (المسجد) ص 191، 192، 195.
- سيدي يحيى (الوالي) ص 195.
- السيوطي (جلال الدين) ص 122، 141، 160، 123، 161، 207، 208، 222،
- ص 224، 246، 247.
- الشاذلي أبو الحسن علي ص 65.

- الشاطبي (الإمام) ص 117.
- الشاطبي أبو إسحاق ص 179.
- الشريف (الغرناطي) ص 141.
- الشطبي ص 170..
- الشلوبيني ص 133.
- الشمي تقي الدين ص 182.
- الشوذي (أبو عبد الله) ص 73، 74، 86.
- صالح بن عمر ص 193.
- صنهاجة ص 17، 40، 298.
- الصوصو ص 41، 42، 292.
- طراندك سيس (مسجد) ص 198.
- طرندك (المسجد) ص 198.
- طو (مسجد) ص 198.
- الطوارق ص 52، 238، 302.
- الظاهر بيبرس ص 44.
- العاقب (بن محمود) ص 194.
- العاقب الانصمي ص 122.
- العاقب القاضي ص 192، 195، 196.
- العاقب محمد ص 224.
- عبد الرحمان أبو زيد (ابن الإمام) ص 71، 82، 94، 108، 109.
- عبد العزيز المريني ص 33.

- عبد القادر الجيلاني ص 255.
- عبد الله ابن ملويات ص 18.
- عبد الله المتوكل ص 281.
- عبد الله بن ياسين ص 40.
- عبد المؤمن ابن علي ص 3، 12، 13، 18.
- العبدري (أبو الفضل يحيى) ص 148.
- العبدري (صاحب الرحلة) ص 92، 114، 139، 141.
- العبدري ص 148.
- العبدوسي (أبي عمران) ص 115.
- عثمان ابن يغمراسن ص 25.
- العربي ص 104، 111.
- العزفي (أبو القاسم) ص 143.
- العساوي أبو عثمان ص 160.
- العصنوني أبو عبد الله ص 244.
- العفيف التلمساني ص 129.
- العقباني (أبو عثمان سعيد) ص 109.
- العقباني (أبو عثمان) ص 94.
- العقباني (قاسم ابن سعيد) ص 64، 97، 180.
- العقباني أبو القاسم سعيد ص 160.
- العقباني سالم ص 118.
- العقباني سعيد ص 64، 94، 97، 99، 107.

- العقباني محمد ص 119.
- عقبة بن نافع ص 134، 240
- العلوي أحمد الشريف ص 169.
- علي ابن أبي طالب (ك) ص 67.
- علي ابن عيسى ص 120.
- عمر بن الخطاب (ض) ص 250.
- العمرى ص 230.
- عياض (القاضي) ص 204، 206.
- عياض أبي الفضل ص 89، 97.
- عيسى (أبو موسى) ص 71، 82، 108، 109.
- العافقي (أبو بكر خطاب) ص 141.
- العافقي (أبو بكر) ص 129.
- العافقي (محمد بن عبد الله) ص 129.
- الغانيون ص 38.
- الغبريني ص 95.
- الغدامسي (عبد الله الكومي) ص 194.
- الغزالي أبي حامد ص 65، 91، 102.
- الغساني (أبو محمد) ص 129.
- الغلاوي ص 258.
- الغماري (أبو يعقوب) ص 133.
- الغماري (الزاوية) ص 77.

الغماري (صدر الدين) ص 96.

غون (مسجد) ص 198.

الفاسي (محمد ابن أحمد) ص 204.

الفاطميون ص 308.

الفجيجي (إبراهيم) ص 247.

الفرديس الثغلي ص 119.

فرنك (مسجد) ص 198.

الفشتالي ص 119.

الفقويش (شمس الدين) ص 322.

الفلاي (محمد) ص 214.

فوديا محمد فوديكي ص 199.

الفولانيون ص 48.

الفيحيجي (عبد الجبار) ص 122 . 246.

الفيروز بادي ص 99.

الفيلاي (محمد) ص 199.

القباب ص 115.

القرباني أبو الحسن ص 179.

القسطري أبو عبد الله ص 180.

القصار ص 99.

قلاوون ص 45.

القلشاني (عمر) ص 100.

- القلشاني أبو العباس ص 181.
- القلصادي ص 62، 100، 101، 113، 161، 179، 180، 181، 182.
- القلعي ص 114.
- القلقشندي ص 1، 248، 223.
- القيحاطي (محمد) ص 99.
- القيرواني (أبي زيد) ص 204.
- القيروانيون ص 295.
- القيسي (أبو زكرياء) ص 149.
- القيسي (عبد الله) ص 112.
- قيمغ ص 35.
- الكابري (محمود) ص 210.
- الكابري محمد ص 216، 219، 221، 223.
- كافزغاوة ص 40.
- كري (محمد بن محمد) ص 194.
- الكريمي شمس الدين ص 182.
- كعت (محمود) ص 6، 48، 53، 192، 219، 220، 23.
- كنكا موسى ص 45.
- لازدي أحمد ابن البناء ص 211.
- اللخمي ص 99.
- اللقاني (شمس الدين) ص 248.
- اللقاني ناصر ص 218.

- متونة ص 40، 56، 238.
- اللمطي عبد العزيز ص 224.
- مارمول ص 5.
- المازري (أبو القاسم) ص 99.
- المازوني ص 101.
- الماكودي ص 99.
- المالقي عبد الله ص 93.
- المانديغ ص 43، 201،
- مانسا ص 44، 45، 50، 51.
- مانو ص 16.
- مبروك الدالي ص 54.
- المجاسي ص 170.
- المجاصي (محمد) ص 110.
- المحلي جلال الدين ص 182.
- محمد (أسقيا) ص 189، 192، 196، 197، 208، 219، 226، 234، 324 ص 227
- محمد أسقيا (المسجد) ص 197.
- محمد ابن النجار ص 163.
- محمد ابن تومرت ص 3، 12، 18.
- محمد البكري ص 218.
- محمد الفزازي (المسجد) ص 197.
- محمد الفزاني (الليبي) ص 197.

- محمد بان ص 52.
- محمد بغبغ ص ص 218، 219.
- محمد بن قو ص 45.
- محمد بنب كنان ص 228.
- محمد زنقا بن يعقوب ص 250.
- محمد كعت ص 220.
- محمود ابن عثمان ص 25.
- المختار النحوي ص 222.
- المخزومي (أبي المطرف) ص 130.
- المديني محمد ابن علي ص 170.
- المرابطون ص 1، 39، 41، 309.
- المرازقة ص 322.
- مرك ص 54.
- المرينيون ص 22، 27، 60، 65.
- المسلمون ص 300.
- مسوفة ص 40، 314.
- المسيحيون ص 272.
- المشذالي (أبو عمران موسى) ص 83، 107، 159.
- المشذالي (أبو القاسم) ص 118، 129.
- المشذالي (أبو موسى عمران) ص 94، 110.
- المشذالي (ناصر الدين) ص 105، 107.

- المشذالي أبو الفضل ص 161.
- المشذالي أبو عبد الله ص 159.
- المشذالي أبو علي ناصر ص 159.
- المشذالي أبو موسى عمران ص 159، 170.
- المشذالي المنصور ص 178.
- المشذالي محمد ابن محمد ص 159.
- المشوش (أحمد ص 107.
- المشوش أبو العباس ص 94.
- المصامدة ص 1، 12.
- المصمودي (إبراهيم) ص 71، 85، 98، 99، 117، 170.
- المصمودي (عبد السميع) ص 119.
- المعاقل ص 238.
- معلوم ادريس ص 198.
- مغراوة ص 14، 25.
- المغيلي (محمد المسجد) ص 197.
- المغيلي ص 122، 124، 125، 126، 189، 207، 208، 210، 211، 220، 225، 235،
- 238، 241، 243، 244، 245، 246، 249، 250، 251، 257، 262.
- المقدسي ابراهيم ص 223.
- المقري (أبو عبد الله) ص 61، 95، 108، 110، 151.
- المقري (الاخوة) ص 322.
- المقري (الجد) ص 120.

- المقري (صاحب نفح الطيب) ص 143.
- المقري الكبير ص 135، 175، 179
- المقريزي ص 78، 230
- المكلاقي ص 108.
- المكناسي ابن الصباغ ص 168.
- المكودي (أبو عبد الله) ص 136.
- الملائي ص 224.
- الملاي أبو عبد الله ص 181.
- المنجلاقي (أبي الحسن) ص 103، 112.
- مند آكوما ص 51.
- المنذري ص 104.
- منسا سليمان ص 45، 47، 297
- منسا موسى ص 188، 193، 194، 208، 214، 217، 226، 230، 301.
- المنستيري أحمد ص 181.
- منوفي ص 110.
- المنيارى (أبو يحيى) ص 251.
- الموحدون ص 12، 13، 14، 16، 65.
- مود بكر تروي ص 228.
- مود موسى ص 228.
- مور كنكي ص 225.
- مورد ما غاكو نكوي ص 199.

- المورسكيون ص 62.
- موسى ابن علي الكردي ص 20.
- ميغا ص 8.
- الميموني ص 224.
- نار كنت ص 45.
- الناصر ابن أبي الحسن ص 28.
- النجار أبو عبد الله ص 175.
- النصري (أبو عبد الله) ص 144.
- نغيغ (الامام) ص 195.
- نمطا ص 40.
- النويري (أبو البركات) ص 249.
- النويري زين الدين ص 181، 182.
- النويري ص 99.
- الهنثاتي ص 18.
- هنري بيرس ص 1.
- الهوسا ص 262.
- وتريكة ص 40.
- الورتيدي (عبد الجبار) ص 119.
- الورجلانيون ص 295.
- الوزان ص 2، 5، 28، 43، 81، 315.
- الوغليسي ص 118، 120.

الولوف ص 41.

ونزمار ص 33.

الونشريسي (أبو العباس) ص 105.

الونشريسي (عبد الواحد) ص 105.

الونشريسي أبو بكر ص 160.

الونشريسي أحمد ابن يحيى ص 118.

الونشريسي ص 204.

الونغيلي (الضير) ص 115.

الونكري (محمد بن محمود) ص 196.

الونكري محمد ص 226، 227.

الياسيتيني ص 105.

اليحصي (أبو عبد الله) ص 109.

اليزيدي (سليمان) ص 180.

يعقوب ابن عبد الحق ص 23، 24، 81.

يعقوب عبد الحق المريني ص 167.

اليعقوبي ص 36، 296.

يغمراسن أبو عنان ص 22.

يغمراسن ابن زيان ص 15، 19، 23، 60، 70، 92، 93، 94، 106، 130، 321.

ين زاغو أحمد ص 180.

ين وانسول ص 215.

يهود توات ص 243، 244.

- الونشريسي (عبد الواحد) ص 105.
- الونشريسي أبو بكر ص 160.
- الونشريسي أحمد ابن يحيى ص 118.
- الونشريسي ص 204.
- الونغيلي (الضرير) ص 115.
- الونكري (محمد بن محمود) ص 196.
- الونكري محمد ص 226، 227.
- الياسيتيني ص 105.
- اليحصي (أبو عبد الله) ص 109.
- اليزيدي (سليمان) ص 180.
- يعقوب ابن عبد الحق ص 23، 24، 81.
- يعقوب عبد الحق المريني ص 167.
- اليعقوبي ص 296.
- اليعقوبي ص 36.
- يغمراسن أبو عنان ص 22.
- يغمراسن ابن زيان ص 15، 19، 23، 60، 70، 92، 93، 94، 106، 130، 321.
- ين زاغو أحمد ص 180.
- ين وانسول ص 215.
- يهود توات ص 243، 244.
- اليهود ص 124، 245، 272.
- يوسف ابن تاشفين ص 94.

يوسف ابن عبد المؤمن ص 13.

يوسف ابن علي ص 31.

يوسف ابن يعقوب ابن عبد الحق ص 24، 278.

55-54 3 تمبوكتو
57-56 4- التكرور
الباب الثاني : الحياة الثقافية و العلمية بالمغرب الأوسط في	
184-59 عهد دولة بني زيان
الفصل الأول	
89-59 المؤسسات الثقافية و العلمية
65-59 تمهيد
75-66 1- المساجد
67 * مسجد أغادير
69-68 * المسجد الجامع
70-69 * مسجد أبي حسن
71 * مسجد ابني الإمام
72-71 * مسجد سيدي إبراهيم المصمودي
73-72 * مسجد سيدي أبي مدين شعيب
75-73 * مسجد سيدي الحلوي
76-75 2- الكتابات
78-76 3- الروايات
86-78 4- المدارس
80-78 * المدرسة ومصطلحا ووظيفة
79 * وظيفة المدرسة
89-80 * المدارس الزيانية
81-82 مدرسة ابني الإمام
84-83 المدرسة التاشفينية
85-84 المدرسة يعقوبية
86-85 مدرسة أبي مدين شعيب
86 مدرسة سيدي الحلوي
87-86 مدارس وهران و الجزائر و مازونة
89-87 5- المكتبات

الفصل الثاني

- 127-91 علوم الفقه و التصوف
91 تمهيد
127-91 علوم الفقه و التصوف

الفصل الثالث

- 184-129 العلوم اللسانية و العلوم العقلية
165-129 أولا : العلوم اللسانية
184-165 ثانيا : العلوم العقلية

الباب الثالث : المراكز الثقافية في السودان الغربي و علاقاتها

- 263-187 بالمغرب الأوسط

212-187 الفصل الأول

- المؤسسات الثقافية و العلمية بالسودان الغربي
190-187 تمهيد
200-190 أولا : المساجد
198-191 أ- مسجد تمبوكتو
199-198 ب- مسجد جني و دوره الإشعاعي
200-199 ج- مسجد غاو
203-200 ثانيا : المدارس و الكتاتيب
203-201 - مراحل التعليم
205-203 ثالثا : المعاهد العليا
212-205 رابعا : العلوم النقلية و العلوم العقلية
210-205 1- العلوم النقلية
212-210 2- العلوم العقلية

الفصل الثاني

- 235-214 أعلام السودان الغربي و دورهم في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية
215-214 تمهيد
225-215 أولا : أعلام تمبوكتو
228-225 ثانيا : أعلام جني

235-228 ثالثا : الكتب و التأليف المتداولة بالسودان الغربي

263-237 الفصل الثالث

..... الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي

237 تمهيد

أولا : أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و الديني بإقليمي توات

252-238 و السودان الغربي

252-238 1- أثره بإقليم توات

243-238 أ- إقليم توات التسمية و الموقع

249-243 ب- أثره بإقليم توات

252-249 2- أثر محمد بن عبد الكريم المغيلي الفكري و الديني بإقليم السودان الغربي...

254-252 ثانيا : تأثير المغرب الأوسط في الفن و العمارة بالسودان الغربي

254-252 - الجانب الفني و المعماري

263-254 ثالثا : دور الروايات و طرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الإسلامية

263-254 * الطرق الصوفية

258-255 1- الطريقة القادرية

259-258 2- الطريقة الشاذلية

263-259 3- الطريقة العظمية

الباب الرابع : العلاقات الاقتصادية و التجارية بين المغرب

331-266 الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان..

الفصل الأول

283-266 الحياة الاقتصادية و النشاط التجاري بالمغرب الأوسط في عهد دولة بني زيان....

271-266 أولا : الحياة الاقتصادية

269-266 1- الفلاحة

268-266 أ/ الزراعة

269-268 ب/ الثروة الحيوانية

271-269 2- الصناعة

274-271 ثانيا : التجارة الداخلية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني

283-274 ثالثا : الموارد المالية بالمغرب الأوسط

- 277-275 1- الضرائب
 283-277 2- السكة و النقود

الفصل الثاني

- 306-285 الحياة الاقتصادية و التجارية بالسودان الغربي
 295-285 أولا : الحياة الاقتصادية
 290-285 1- الفلاحة
 288-285 أ/ الزراعة
 290-288 ب/ الرعي و الثروة الحيوانية
 295-290 2- الصناعة
 292-290 أ/ الثروة المعدنية
 295-292 ب/ الصناعات التقليدية
 305-295 ثانيا : أسواق السودان الغربي
 296- 295 - تآدمكت
 296 - غاو
 298-297 - تمبوكتو
 298 - تغازا
 299 - جني
 300-299 - أودغست
 300 - غانة
 301 - ولاتة (إبولاتن)
 305-301 - توات
 306-304 ثالثا : العملة

الفصل الثالث

- 339-308 العلاقات الاقتصادية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي
 310-308 تمهيد
 314-310 أولا : المسالك التجارية بين الإقليمين
 316-314 ثانيا : نظام سير القوافل
 ثالثا : المكاييل و الموازين و المقاييس المستعملة في المغرب الأوسط و السودان
 321-317 الغربي

319-317*	المقاييس و الموازين و المكايل المستعملة في السودان الغربي
318-317	أ/ المقاييس
318	ب/ الموازين
319-318	ج/ المكايل
321-319*	المكايل و الموازين و المقاييس في المغرب الأوسط
320-319	أ/ الموازين
320	ب/ المكايل
321	ج- المقاييس
332-321	رابعا : السلع و البضائع المتبادلة بين الإقليمين
325-324	1- المواد الحرفية
327-325	2- المواد الصناعية
327	3- المعادن
327	أ/ معدن النحاس
329-327	ب/ الذهب
330-329	ج/ الملح
331-330	د/ العبيد
332	العاج
339-333	الخاتمة

فهرس المصادر المرجع

363-340 فهرس المصادر و المراجع
347-341 1- المصادر
354-348 2- المراجع العربية
357-355 3- الرسائل الجامعية
360-358 4- المجلات و الدوريات
363-360 5- المراجع الأجنبية
378-364 الملاحق
391-379 فهرس الأماكن و المدن و الدول
423-392 فهرس الأعلام و القبائل
430-424 فهرس الموضوعات